مسيح القرآن ومسيح المسلمين



سلسلة الحقيقة الصعبة (١٧)

مَسيحُ القُرْآن ومَسيحُ المُسْلمين

أ. جوزف قزّي

دار لأجل المعرفة
ديارعقل–لبنان
٢٠٠٦

سلسلة "الحقيقة الصعبة"

دار لأجل المعرفة،

ديارعقل–لبنان. قياس (١٧×٢٤)

١. **قسّ ونبيّ** بحث في نشأة الإسلام، أبو موسى الحريري، ٢٠٠١، ٣١٤ ص.

٢. **نبيّ الرحمة**، بحث في مجتمع مكّة، أبو موسى الحريري، ١٩٨٥، ٢٠٨ ص.

٣. **عالم المعجزات**، بحث في تاريخ القرآن، أ. موسى الحريري، ١٩٨٦، ٢٥٠ ص

٤. **أعربيٌ هو؟** بحث في عروبة الإسلام، أبو موسى الحريري، ١٩٩٠، ٢٥٤ ص

٥. **العلويّون النّصَيريّون** بحث في العقيدة والتاريخ، أ.م. الحريري، ٢٧٢ ص

٦. **بين العقل والنبيّ**، بحث في العقيدة الدرزيّة، أنور ياسين، ١٩٨١، ٤٦٤ ص.

٧. **رسائل الحكمة**، (كتاب الدروز المقدّس)، حمزة بن عليّ، إسمعيل التميمي، بهاء الدّين السّموقي، طبعة ٥، ١٩٨٦، ٨٦٤ صفحة.

٨. **مصادر العقيدة الدرزيّة**، حامد بن سيرين، ١٩٨٥، ٥٧٦ صفحة.

٩. **السلوك الدرزي** أنور ياسين، ١٩٨٦، ٢١٨ صفحة.

١٠. **مذبحة الجبل**، (حسر اللّثام عن نكبات الشام، تاريخ الحرب الأهليّة الدامية في لبنان سنة ١٨٦٠)، شاهين مكاريوس، ١٩٨٣، ٣١٠ صفحات.

١١. **المسيحيّة في ميزان المسلمين**، (ردّ على كتاب "الإسلام والمسيحيّة في الميزان" لـ شريف محمّد هاشم)، أبو موسى الحريري، ١٩٨٩، ٢٥٦ ص.

١٢. **نَزَعنا القناع**، (ردّ على كتاب "أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح"، لـ أحمد زكي)، ١٩٩٧، ٣٦٠ ص

١٣. **رغبات النفس والجسد**. (ألحياة الجنسيّة في الإسلام)، أبو موسى الحريري، ٢٠٠٠، ٢٨٨ ص.

١٤. **موازين «الحقيقة الصعبة»** (ردّ الحريري على ردود مسلمين)، ٢٠٠٠، ٢٣٦ ص.

١٥. **نصارى القرآن ومسيحيّوه**، أ.جوزف قزّي، ٢٠٠٢، جزآن في ٦٤٠ صفحة.

١٦. **المسيحيّة في ردود المسلمين** أ. جوزف قزّي، ٢٠٠٢، جزآن في ٦٤٠ ص.

١٧. **مسيح القرآن ومسيح المسلمين**، أ. جوزف قزّي، ٢٠٠٦، ٢٢٤ صفحة.

١٨. **بين المسيحيّة والإسلام**، أ.جوزف قزّي، ٢٠٠٦، ٤١٤ صفحة

١٩. **هذا هو الإسلام**، أ. جوزف قزّي، (قيد الطبع).

مقدّمة

نقصد الكشفَ عن حقيقة مفهوم القرآن والمسلمين لشخص يسوع المسيح وعن حقيقة موقف كلٍّ منهما، ورأيهما في ما يتعلّق به من معتقداتٍ حدّدتها الكنيسة وعلّمتْها عبر التاريخ، كالتجسّد، والصلب، والموت، والفداء، والقيامة...

ولن نكونَ غيرَ دقيقين إنْ قلنا بأنّ ثمّة موقفاً ثابتاً، يعتمده المسلمون، وخطًّا محدَّداً ينتهجونه في معالجتهم شخصَ المسيح، ومختلف الموضوعات المتعلّقة به وبالمعتقدات المسيحيّة عامّة.

يؤكّد كلامَنا هذا أحدُ أكثر المهتمّين بـ «**الفكر الإسلامي في الرّدّ على النّصارى**»، **عبدُ المجيد الشرفي**، الذي قال: «لقد أدّتْ بنا مقارنةُ كتبِ الرّدّ على النّصارى إلى نتيجة لم نكنْ نتوقّعها في البداية، وهي أنّ هذا الجدل قد **اكتملتْ معالمه** في نهاية القرن الرابع الهجري، وأنّ الردود المؤلّفة في القرون الموالية إنّما كانت **تُرَدِّد ما كُتِب** في القرون الأربعة الأولى»[1].

---

(١) عبد المجيد الشرفي؛ **الفكر الإسلامي في الرّدّ على النّصارى، إلى نهاية القرن الرّابع/العاشر**؛ تونس والجزائر؛ ١٩٨٦؛ قياس (١٧×٢٤)؛ ٥٨٠ صفحة؛ أنظر: صفحة ٦.

وقال أيضاً: إنّ ردود القــرون الموالية كانت «**إجتراراً كلّياً**، أو جزئيّــاً، للمؤلّفات الســابقة»[٢]. وكذلك قال أيضــاً: «تبيّن لنا، بعد طول تفكير ومقــارنة، أنّ مواضيع الجدل قد تحدّدتْ، بصــفةٍ شبه نهائــيّة... في أواخر القــرن الرابع/العاشــر، واستــقرّتْ أغــراضُه الكبرى وسمــاته المميَّزة على نحوٍ يغنينا، فــيما نعتقــد، عن تتبّع ما كُتب في هذا المجال بعد هذا التّاريخ»[٣].

يؤيّد هذا الكلام باحثٌ آخــر في الفكر الإسلامي، **الدكتــور منير خوّام**، في كتابه « **المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المســيحيّة**»، إذ قال هو أيضاً : «إنّ الكتّاب الجدد يستشــهدون غالباً بالكتّاب القدماء، وأنّ الكتّــاب اللاّحقين يســتشــهــدون بالكتّاب الســابقين»[٤]. ولا شيء جديد، بالنسبة إليه، إلاّ في طريقة العرض والمعالجة.

لهذا، نأمل ألاّ يمــلّ القارئ من نقلنا لهــذه الآراء والمواقف، مع ما فيها من تكرار وترداد؛ لأنّ هذين التكرار والترداد هما مطلبنا.

ومع هذا فإنّــنا سنستعــرض أهمّ الكتّاب المسلمــين، القديمين والمعاصرين، لنتــأكّد منهم أنّ المسيرة لا زالت تتوالى هي نفــسها، والخطّ هو هو. ولا شــيء اليومَ يــختلف عمّــا كان بالأمس؛ ذاك لأنّ المرجع هو نفســه، أي القرآن الكريم، والأحاديث النبويّة الشريفة.

---

(٢) ألمرجع السابق نفسه، ص ١٤.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ١٥.

(٤) الدكتور مــنير خوّام، **المسيح في الــفكر الإسلامي الحديث وفي المســيحــيّة**، سلسلة المسيحيّة والإسلام، رقم ١، بيروت ١٩٨٣، (١٧×٢٤)، ٤٦٢ صفحة؛ رَ: ص ٣٨.

ولكنّنا، منذ الآن نقول : مسيحُ القرآن مسيحان، ومسيح المسلمين مسيحان أيضاً :

مسيحٌ يعظّمه القرآن جدًّا، فيضفي عليه أسماءَ وألقاباً وصفاتٍ ومميّزاتٍ إلهيّةً، لا تُقال إلاّ على اللّه وحدَه، ولم تُطلَقْ على أحدٍ من الأنبياء، ولا حتّى على محمّد نفسه... ومسيحٌ يعتبره القرآن نبيًا كسائر الأنبياء، جاء برسالةٍ خاصّة إلى بني إسرائيل، ليكمّل شريعة موسى، ويُعِدَّ لمجيء خاتم الأنبياء، محمّد.

وفيما يحتار الباحثون في هويّة مسيح القرآن الحقيقيّة، نرى المسلمين أيضاً يقولون بمسيحَين : مسيح القرآن النبيّ، ومسيح الأناجيل. فهم يأخذون بالأوّل؛ ويرفضون الثاني رفضاً جازماً.

هذا هو رأي المسلمين كافّة، منذ البدء حتّى اليوم وإلى ما بعد اليوم : فالمسيح ليس إلهاً، ولا إبناً للّه، كما يقول المسيحيّون، ويغلون في قولهم، ويؤنّبهم القرآن بشدّة، فيقول:«قُلْ: يا أهلَ الكتاب! لا تَغْلُوا في دينكم غير الحقّ» (٥/٧٧)، ويردّد: «لا تَغْلُوا في دِينِكم ولا تقولوا على اللّه إلاّ الحقّ» (٤/ ١٧١).

أمّا مسيح الأناجيل فلا يقبل به المسلمون إطلاقاً؛ بل هم يرفضونه رفضاً قاطعاً، أي يرفضون أن يكون المسيحُ إلهاً أو إبناً للّه، أو أحدَ الأقانيم الإلهيّة الثلاثة؛ ويرفضون أن يكون قد صُلب وقام من بين الأموات؛ ويرفضون أن يكون مخلِّصاً وفادياً، كما يقول المسيحيّون؛ ويرفضون أيضاً أن يكون أسّس كنيسة، وأنشأ لها أسرارًا ومقدّسات، ويحيا فيها ومعها حتّى منتهى الدهر.

وأيضاً، ثمّة إشكال آخر، وهو أنّ الأسماء والألقاب والميّزات الإلهيّة، التي أضفاها ألقرآنُ على المسيح، قد «فرَّغها» المسلمون من مضمونها التاريخي واللاّهوتي والروحي الذي لها، وأعطَوها تفسيراتٍ تناسب مفهومَهم ومقصودَهم : فكلماتٌ وتعابير مثل: «روح القدس»، و«كلمة اللّه»، و«روح اللّه»، و«المسيح»، و«يسوع»، أي «عيسى»، و«الوحي»، و«المائدة»... كلّها كلمات ذات مدلول مسيحيّ لاهوتيّ تاريخيّ معروف... إلاّ أنّها أصبحتْ مع المسلمين ذا مدلول مغاير تماماً... وفي أحسن الأحوال، يردّد المفسِّرون قولهم المألوف هذا: «اختلف أهلُ التأويل والمفسِّرون في معنى ذلك».

لهذا، فإنّنا نعالج، بكل وضوح وصراحة وتأكيد، موقفَي القرآن المتناقضَين من هويّة المسيح، وموقف المسلمين من مسيح الأناجيل، من بدء الإسلام حتّى اليوم. ونُرجع هذه المواقف إلى مصادرها، متّبعين تصميماً بسيطاً في المعالجة؛ وذلك ابتداءً من البشارة بعيسى، ومولده، وحياته، وأعماله، وتعاليمه، وموته وقيامته، إنتهاءً بمجيئه الثاني ونزوله إلى الأرض.

بهذا سوف تكون لنا، بعد هذا العرض، كلمة الفصل في هويّة مسيح القرآن ومسيح المسلمين. فلا يعودُ أحدٌ يرغب بالتسلّي بخداعنا بين ما ينوي وبين ما يقول.

الفصل الأوّل

مواقف "أهل الكتاب" من المسيح

أهل الكتاب في القرآن هم حصـراً، أليهود، والنصارى. ولكنّ اليهود طائفتان والنّصارى أيضاً طائفتان:

أوّلاً – أليهود

١ . **طائفة تُقيم التوراة**، من دون تحريف أو تبديل، تماماً كما نزلتْ على موسى، وأخَذ بها النبيّون من بعده. هذه الطائفة لم يكونوا في أيّام محمّد، ولم يتعرّف محمّد إليهم. وهم أيضاً لا يوجدون اليوم. بحسب المسلمين، زالوا من التاريخ وانقرضوا.

٢ . **وطائفة حرّفتْ وبدّلتْ في التوراة**. وما آمنَتْ بعيسى ابن مريم نبيًّا. هؤلاء هم «**شَرّ البَرِيّة**» (البيّنة ٩٨/٦)، «سمّاعُونَ للكَذِبِ أكّالُونَ للسُّحْتِ (أي للحرام)»[١]، «يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ»[٢]. و نصيبهم، في نهاية الأمر، «فِي نارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ

(١) سورة المائدة ٥/٤١؛ ر: ٥/٤٢؛ ٥/٦٣.

(٢) سورة النساء ٤/٤٦؛ ٥/١٣ و٤١.

فيهـا» (٩٨/٦). هؤلاء تعرّف إليهم محمّـد، وحذّره اللّهُ منهم، منذ ولادته.. ولمّا ابتـدأ برسـالته، كـانوا أوّلَ الذين حـاربوه وقـاتلوه؛ فاسـتولى على أرزاقهم وأموالهم وسـرْحهم، وأخذ منهم السـبايا والمغانم. وهم يهود اليوم.

ثانياً - النّصارى

١ . **طائفة** «الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ. أولئكَ **همْ خَيرُ البريَّة**» (٩٨/٧). آمنوا بعـيسى ابن مـريم على أنّه نبيّ جـاء يكمّل ناموس موسى. وكـانوا يُقيمونَ التوراةَ والإنجـيلَ وما أُنزِلَ إلَيهِمْ من ربِّهم (٥/٦٨). هم أمّة وسَط (٢/١٤٣)، «أمّة مـقتصدة» (٥/٦٦) في عقـيدتها، لا تظلم حقَّ عيـسى كاليهود، فـتعتبـره إنساناً عاديًا؛ ولا هي تغلو فيه كالمسيحيّين، فتعتبره إلهاً أو ابناً للّه. هؤلاء النصـارى، «جَـزَاؤُهم عِندَ ربِّهِمْ جَنَّاتُ عَـدْنٍ تَجْـرِي مِنْ تَحـتِهَـا الأنْهارُ. خَالِدينَ فِيها أبداً. رَضِـيَ اللّهُ عَنهُمْ ورَضُوا عنْهُ» (٩٨/٨).

٢ . أمّا الطائفة الثانية فهم «**المسيحيّون**» الذين تعـرّف إليهم مـحمّـد في السنة التـاسـعة للهـجـرة/ ٦٣١ م.، مع وفد نجـران النسطوري. هؤلاء «غَلُوا» في إيمانهم بالمسيح، فاعـتبروه ابناً للّه. لقد حذّرهم القرآن في إنذاره لهم فقال: «يَا أهْلَ الكِتَابِ! لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ. وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إلاّ الحَـقَّ: إنّمَا المَسِيحُ عيـسَى ابنُ مَرْيَمَ رسُولُ اللّه.. ولا تَقُولـوا ثلاثةٌ انتَهُوا خيراً لكُمْ. إنّـما اللّهُ إلهٌ واحدٌ. سُبحانَهُ أنْ يَكُونَ له وَلَدٌ لَه مَا في السَّمَوَاتِ ومَا في الأرضِ. وكَفَى باللّهِ وكيلاً» (٤/١٧١-١٧٢؛ رَ: ٥/٧٧).

ثالثاً - المسلمون

أمّا **المسلمون** الذين اتّبعوا محمّداً فإيمانهم هو إيمان النصارى. والإسلام هو النَّصرانيّة نفسها، يدعو دعوتَها، ويؤمن بإيمانها، ويُقيم شعائرَها، ويعلّم تعاليمَها، وينهج نهجَها، ويعظِّمُ عيسَى المسيحَ ابنَ مريم نبيَّها، ولا يفرّق بين النبيّين.

ولكن، إذا كان للقرآن موقفَان مختلفَان من "أهل الكتاب"، اليهود والنصارى؛ فإنْ للمسلمين، منذ زمن القرآن حتّى اليوم، موقفاً واحداً لا غير. إنّهم يرفضون اليهوديّةَ، والمسيحيّة، جملةً وتفصيلاً. بل إنَّهم لا يعرفون اليوم إلاّ اليهوديّة التي حرّفتْ وبدّلتْ؛ ولا يعرفون أيضاً إلاّ المسيحيّة التي تؤمن بالمسيح إلهاً.

لهذا كتبوا في ذمّ هؤلاء المسيحيّين والردّ عليهم ردوداً جريئة، مفصِّلين موضوعات عقيدتهم، وأخلاقهم، وسلوكهم، وتعاليم كنائسهم، و شريعة إيمانهم».

إنّ تعاليم عيسى، بحسب المسلمين، بسيطة، سهلة، يقبلها العقل، وتخضع للمنطق. وكذلك كانت حياتُه ومعجزاته بسيطة يقبلها كلّ إنسان. فعيسى إنسانٌ اختاره اللّهُ، كما اختار غيرَه من الأنبياء. هو نبيٌّ، مثله مثل إبراهيم ويعقوب والأسباط وموسى وداود، وأيّوب، وشعيب وهود وصالح... ومحمّد.

صحيح أنّ عيسى، في نظر المسلمين، تميّز عن النبيّين بولادته، ومعجزاته، وموته وبعثته ورفعه، ومجيئه قبل يوم الدين... ولكنّ رسالتَه لم تكن خاتمة الرسالات السماويّة، وتعاليمَه

ليست صالحةً لكلِّ عصرٍ ومصر. لهذا جاء محمّد خاتماً لكلِّ اتّصالٍ بين الأرض والسماء، ومكمِّلاً لجميع تعاليم النبيّين السابقين.

لقد جاءَ عيسى، في رأي المسلمين، بإنجيلٍ فيه تعاليم إلهيّة تناسب إنسانَ عصره. إنّما هذا الإنجيل قد ضاع، أو ضُيِّعَ، أو حرِّف[٣]. وما يوجد بين أيدي المسيحيّين اليوم ليس إنجيل عيسى، بل هو روايات كتبها رسلٌ وتلاميذ، ورسائل كتبها أناسٌ ليسوا بأنبياء ليكون فيها وحيٌ سماويّ... وليس بوسع أحدٍ أن يعرف الإنجيلَ الأصل. إنّما أوحى اللّهُ إلى النبيّ محمّد، وفي القرآن نفسه، بحقيقة هويّة عيسى وإنجيله الحقيقيّ.

فما يقوله القرآن عن عيسى، في رأي المسلمين، هو الحقيقة. والنصرانيّة الحقّة هي التي يتكلّم عليها القرآن. ونأخذها منه لا من الأناجيل التي تتداولها الكنيسة وتعتمد عليها في تعاليمها. هذه هي الحقيقة كلّها: ألقرآن وحده يُعلمنا العلم الحقَّ عن عيسى وحياته ومعجزاته وموته ورفعه وبعثه وتعاليمه. وما تقوله الكنيسة، وما يعلّمه المسيحيّون اليومَ، ليس هو الحقيقة.

وبسبب ذلك، للمسلمين من مسيح المسيحيّين اليوم موقف صريح واضح : ألمسيحيّون، بما يقولون في اللّه وعيسى وأمّه وروح القدس، مشركون حقًّا. واللّه لن يغفر لهم شرْكَهم هذا..

---

(٣) كما سنرى في الفصل التالي.

الفصل الثاني

الإنجيل ليس مرجعاً لمعرفة هويّة المسيح

بالرغم من أنّ محمّداً آمن بالكتب التي نزلت على النبيّين والرسل، وحثّ أتباعَه على أن يؤمنوا بها، وهي : صحف إبراهيم، والتوراة، والمزامير، والإنجيل، وقال: «قُولُوا آمَنَّا باللَّهِ، ومَا أُنْزِلَ إلَينا، ومَا أُنْزِلَ إلَى إبْراهِيمَ وإسْماعِيلَ وإسحَاقَ ويعْقوبَ والأسْباطِ، ومَا أُوتِيَ موسَى وعيسَى، ومَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ ربِّهِمْ. لا نُفَرِّقُ بينَ أحدٍ منهمْ. ونحنُ له مُسْلِمون»[1]. وأتباع محمّد هم «الذينَ يؤمنون بمَا أُنْزِلَ إليكَ، ومَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ» (٢ / ٤). وهم الذين يقرّون ويعلنون دائماً بأنّهم لا يفرّقون بين أحدٍ من النبيّين.

وبالرغم من أنّ أهلَ الكتاب أنفسَهم يؤمنون خاشعين بما أُنزِل عليهم وبما أُنزِل على محمّد؛ ولا يبدّلون كلامَ اللّه بأيّ شيءٍ مهما بلغ ثمنه، ويقول: «وإنَّ مِنْ أهلِ الكتابِ لَمَنْ يُؤمِنُ باللَّهِ وما أُنْزِلَ إليكُمْ (أي القرآن)، ومَا أُنْزِلَ إليهِمْ (أي التوراة والإنجيل) خاشعينَ للَّهِ. لا يَشتَرونَ بآياتِ اللَّهِ ثمَناً قليلاً» (٣ / ١٩٩).

---

(١) سورة البقرة ٢ / ١٢٦؛ر: ٢ / ٢٨٥؛ سورة آل عمران ٣ / ٨٤.

والنّصـارى، بنوع خـاصّ، أي «الرَّاسِخُونَ فـي العِلْمِ منهمْ والمؤمِنونَ يؤمِنونَ بمَا أُنْزِلَ إليكَ ومَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ» (٤/ ١٦٢)؛ بل يعلنون عن فرحهم بما يسمعون من القرآن (١٣/ ٣٦). ولا يجدون أيَّ اختلافٍ بين ما يقرأون في كتبهم وبين ما يسمعون من القرآن (٢٩/ ٤٦).

وبالرغم من أنّ هذه الكتب جميعها، التوراة والإنجيل والقرآن، هي واحدة، وتستمدّ تعاليمها من مصدرٍ واحدٍ، موجودٍ في السماء العليا، منذ الأزل، وهو «اللّوح المحفوظ»؛ أي القرآن المجيد نفسه[٢]. ويتمنّى محمّد على أهل الكتاب جميعهم، كما على أتباعه أيضاً، أن يؤمنوا بالكتب جميعها (رَ: ٥/ ٦٨).

بالرغم من كلّ ذلك، نجد القرآنَ يهاجم أهلَ الكتابِ بسبب تحريفهم لبعض الآيات، وتزويرها، وتبديلها، وكتمانها، وإخفاء ما فيها، وإلباسها ثوب الباطل. يقول: «يا أهلَ الكتاب! قد جاءَكم رسولُنا يبيّن لكم كثيراً ممّا كنتم تُخْفُونَ من الكتابِ، ويعفو عن كثيرٍ (فلا يبيّنه). قد جاءكم من اللّه نورٌ وكتابٌ مبين» (٥/ ١٥).

وفي آيات عديدة ينبّهُ القرآنُ اليهودَ والنصارى على صنيعهم هذا. يقول: «لا تُلْبِسوا الحقَّ بالباطل، وتكتموا الحقَّ وأنتم تعلمون» (٢/ ٤٢)؛ ويقول أيضاً: «يا أهلَ الكتاب! لِمَ تُلبِسونَ الحقَّ بالباطل، وتَكتمون الحقَّ، وأنتم تَعلمون» (٣/ ٧١). وكذلك أيضاً،

---

(٢) البروج ٨٥/ ٢١-٢٢؛ رَ: النساء ٤/ ٤٤ و٥١؛ آل عمران ٣/ ٧؛ الواقعة ٥٦/ ٧٧-٨

فهو يتّهم كثيـرين منهم بالكذب على اللّه. يقول: «وإنّ منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتـاب لتحسبوه من الكتـاب وما هو من الكتاب. ويقـولون هو من عند اللّه ومـا هو من عند اللّه. ويقـولون على اللّه الكذب وهم يعلمون» (٣/ ٧٨).

والنتيجة إنّ اللّه، بسـبب تحريف الكتب وتزويرها، جعل بين اليهود بعضـهم مع بعض، والنصـارى بعضـهم مع بعض، واليهود والنصارى بعـضـهم مع بعض، عداوةً وبغـضـاء إلى يوم القيـامة. قال: «فأغـرينا بينهم العداوة والبغـضـاء إلى يوم القيـامة. وسوف ينبئهم اللّه بما كانوا يصنعون» (٥/ ١٤).

***

واليوم يميل المسلمون، في معظمهم، إلى القول بتحريف أهل الكتاب لكتبهم. هذا التحريف يدفعهم إلى رفض الكتاب المقدّس كلّه، في عهدَيه القديم والجديد. ومـا في أيدي المسيحيّين، من أناجيل لا يمثّل إنجيل عيسى ولا رسائلهم تحتوي تعاليمه.

والإنجيل، برواياته الأربع، وبالرغم من احتمال صحّة نسبة بعض مـا فيـها إلى اللّه وعـيسى، تبـقى في مجـملها غـير أمـينة، وليست جديرة بالثقة، ولا مقـبولة من المسلمين، لأنّ المسيحيّين قد مـحوا وأخـفوا كلَّ مـا يتـعلّق بمحمّـد (٥/ ١٥)، ذاك النبيّ «الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل» (٧/ ١٥٧).

ومع هذا، وبالرغم من هذا كلّه، نجد القـرآنَ لا ينفكّ يؤكّد ما جاء في الإنجيل. لهذا يدعو مـحمّداً، إن شكّ بدعوته، أن يسـأل أهلَ

الكتـاب: «فإنْ كنتَ في شكٍّ ممّا أنزَلنا إليكَ، فـاسألِ الذينَ يَـقرَأونَ الكتابَ مِن قبلِكَ. لقد جَـاءكَ الحقُّ مِن ربِّكَ. فَلا تَكونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ (أي الشاكّين فيه» (١٠/ ٩٤).

والحقّ يُقـال : ليس من آيةٍ صـريحـةٍ فـي القـرآن تتّـهم النّصارى بالتـحريف، كما هـو حال اليهود. إلاّ أنّ المفـسّرين، على حسب عادتهم، يلصـقون بالنصارى كلّ ما يعـود إلى اليهود. وفي ذلك يقول حديثاً **المستشـار محمّد العـشماوي** : «ألقرآن لم يذكر شيئاً على الإطلاق عن تحريف الإنجيل (العهد الجديد) بمختلف ما فيه من أناجيل وأعمال ورسائل ورؤى. إنّه لم يتّهم المسيحيّين بأيّ تحريف... إنّ المقـصود بالتحـريف هو تحريف اليـهود في المدينة (أيّام النبيّ) لآيات التوراة تحريفاً معنويًا بتغيير مدلولها، أو بإمالة اللّفظ عن معناه، أي تفسيرها تفـسيراً يوافق أهواءهم وأغراضهم، ويخالف التفسير الصحيح المقصود منها»[٣].

وهو أيضاً رأي **علي بن ربّن الطبري**، قديماً، الذي لا يشير، في كتابه **الردّ على النصارى**، إلى أكثر من ذكر بعض « التناقض والكبـائر التي في الإنجـيل». فهـو، لا يقـول، لا هنا ولا في كتـاب «**الدين والدولة في إثبات نبوّة النبيّ محمّد**»، بأنّ هناك تحريفاً في الأناجيل، كما يقول معظم المسلمين. وقد يكون السبب أنّه كان، قبل اعتناقه الإسلام، يؤمن بها ككتب سماويّة.

---

(٣) **الإسـلام والأديان الأخرى**، مـ**جلّة الأزمنة**، المجلّد ٣، عدد ١٣: ١٩٨٨؛ص١٠-٢٣.
وهو أيضاً رأي **بلاشير** في ترجمته للقرآن وتعليقه على سورة النساء ٤ آية ٤٦.

ومع هذا، فإنّ المسلمين يُجمعون على تحريف الإنجيل، أي إنّ الإنجيل الذي بين أيدي الكنيسة ليس هو إنجيل عيسى الحقيقي. هذا الإنجيل ضاع، أو أُخفي، واستبدل بأربع روايات متناقضة.

ويتمنّى **الإمام محمّد أبو زهرة**، شيخ الأزهر، على الكنيسة أن تكشف عن إنجيل المسيح الحقيقي الذي أُنزِل عليه، فقال: «ليتَ هذا الإنجيل كان قائماً، وحرصت الكنيسةُ على بقائه، وقامت بحياطته، ليكون فيصلاً بين المختلفين، وحكماً بين الفِرَق والمفترقين، وليكون قسطاسَ الجامع القديمة والحديثة التي حكمت حين الانشقاق، وليكون مصدراً علميّاً لمن يكتب في المسيحيّة الأولى، ويتبعها في مدارجها في أحقاب الزمن وملابسات التاريخ»[٤].

ويعتبر إمام الأزهر أن يكون إنجيل برنابا هو الأقرب إلى إنجيل عيسى، وأنْ الأناجيل الموجودة بين أيدي المسيحيّين غير موحاة[٥].

ويقول **شريف محمّد هاشم**[٦]: «إنّ القرآن والمسلمين والمؤمنين به لا يعترفون إلاّ بإنجيل واحدٍ، هو إنجيل النبي عيسى بن مريم، وهو الإنجيل الذي كان يخاطبه القرآن ويعنيه. وليس ذنب القرآن والمسلمين إذا كان هذا الإنجيل قد ضاع في زحمة

---

(٤) الإمام محمّد أبو زهرة، **محاضرات في النّصرانيّة**، ص ٥٦.

(٥) المرجع السابق نفسه، ص ٧٨–٨١.

(٦) **الإسلام والمسيحيّة في الميزان**، ص ١٠٥.

الأناجيل المتـعددة المتضـاربة المتناقضة التي ظلّـت تتكاثر وتتزايد قرنًا بعد قرن».

ثمّ «إنّ المسلمين يؤمنون بأنّ النبي عـيسى قد ترك للبـشرية إنجيلاً سمـاويًا، وأنّ أتباعه أضاعوه في زحمة أنـاجيلهم المتعددة، وأنّ أنصار التثليث قـضوا قضاءً مبرمًـا على كلّ أثرٍ لهذا الإنجيل، بعدمـا أحّلوا محلّه نظرياتِ بولس. وعليه، فـإنّنا نرى أنّ من العبث التفتيش عن إنجيل المسيحيّة الحـقيقي، بعدما غاب إلى الأبد بغياب صاحبه. هذه الحقيقة لا جدال فيها ولا مواربة»[٧].

والذي حصل من «ضـياع الإنجـيل الحقيـقي» كثـرةُ البدع والشيع في المـسيحـيّة، بل الاقتـتالُ بين الكنائس التـي تدعو إلى كتابها. فـ «إنّ البدع والمسيحـية توأمان... وما كانت تلك البدع في المسيحيّة لتكون لو انّ إنجيل عيسى الحقيقي كان موجوداً، فتسير المسيـحيّـة على هديه، وتسـتنير بنوره، فـيصـونها من الضـياع، ويحـفظـهـا من التـمـزّق، ويـصـوّب نظرتهـا إلـى أمـور الكون والحياة»[٨].

وفي رأي سماحـة مفتي الجمهـوريّة اللبنانيّة **الشيخ حسن خالد** إنّ الإنجيل الحقـيقي «لا يمكن أن يكون أناجيل، ولا يمكن أن يكون أناجيل مخـتلفة اختلافًـا عرضيًا أحيـانًا وجوهريًا أخرى...

---

(٧) المرجع السابق نفسه، ص ١٦٨.

(٨) المرجع السابق نفسه، ص ٢٠٩. مأخـذنا على هذا القول أنّ القرآن، بالرغم من كونه كتاباً واحداً، «لا ريب فيه»، تفرّق المسلمون بعده، وبسببه إلى ٧٣ فرقة.

ولو كان كذلك لما صحّ أن يكون كتابًا واحدًا، بل كتبًا... ولما صحّ أن يكون من عند اللّه، لأنّ ما يكون من عند الله يستحيل أن يقع فيه الإختلاف والتضاد، وأن يأتيه الباطل...»[٩].

ولكن، وأسف المفتي الكبير، أنّ النصارى ضيّعوا إنجيلَ عيسى لغايةٍ في نفس يعقوب. والغاية في نفس يعقوب هي إخفاء كلام عيسى عن النبيّ العتيد محمّد، كما «يؤكدعلماء المسلمين الأجلاّء أنّ وصف الرسول قد ورد في التوراة بصورة قاطعة لا تحمل الشك»[١٠].

وتقوم نظريّة الشيخ على أنّ اختيار كتب العهد الجديد كان على أساس تعاليم مجمع نيقية القائل بألوهيّة عيسى[١١].

***

أمّا إنجيل برنابا، الذي تُرجم إلى العربيّة، وطبع ونشر، في مصر، سنة ١٩٢٥، على يد **الدكتور خليل سعاده**، وقدّم له مشيراً إلى أنّه هو الإنجيل الحقيقي الوحيد الذي تكلّم عنه القرآن، فقد استقبله المسلمون، كمفاجأة تاريخيّة دينيّة، لا تقلّ عن مفاجأة اليهود والمسيحيّين باكتشافات البحر الميت ورأس شمرا بالنسبة إلى التوراة والإنجيل.

---

(٩) **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة**، ص٧١٣-٧١٤.

(١٠) المرجع السابق نفسه، ص ٦٢٢.

(١١) راجع: المرجع السابق نفسه، ص ٧٠٨.

هذا الإنجيل، كما يقول فيه المسلمون، هو المرجع الصادق لمعرفة حياة المسيح عيسى ابن مريم.

يقول فيه **الشيخ العاملي**: إنّه «أعظم كتاب تملكه الكنيسة، وتفتخر به.. فهو الكتاب الوحيد الذي يشبع العقل ويروي الظمآن من الحيرة، ويعصم من الانحراف والتشكيك الذي تزرعه الأناجيل الأربعة في قلب مطالعيها. إنّه الكتاب الذي يروي حياة المسيح، وينقل أقواله وحكمه المضيئة التي تتلألأ نوراً على صفحاته بما لا يدع مجالاً للشكّ في أنّ هذه الحكمة ليست لإنسان عادي، بل هي لرسول اللّه عيسى بن مريم. وهو الكتاب الوحيد الذي يجب أن يعتمد عليه في فهم العقيدة النصرانيّة الحقيقيّة»[١٢].

ويقول الشيخ **محمّد أبو زهرة** رئيس الأزهر: «وإنجيل برنابا هذا يمتاز بقوّة التصوير، وسموّ التفكير، والحكمة الواسعة، والدّقة البارعة، والعبارة المحكمة، والمعنى المنسجم، حتّى إنّه لو لم يكن كتابَ دينٍ لكان في الأدب والحكمة من الدرجة الأولى لسموّ العبارة وبراعة التصوير..

«ولقد كنّا نظن أنّ ظهورَ ذلك الإنجيل كان يحمل الكنيسة على التفكير من جديد في مصادر الدين، لتعرف أي الكتب أقرب نسَباً بالمسيحيّة الأولى. أذلك الإنجيل بما خالف، أم الرسائل والأناجيل التي توارثتها؟ ولكنّهم سارعوا في الرفض والإنكار...

---

(١٢) **الكتاب المقدّس في الميزان**، ص٢٨٠.

«والأمور التي خالف ذلك الإنجيلُ فيها ما عليه المسيحيّون الآن تتلخّص في أربعة أمور:

«أوّلها: إنّه لم يعتبر المسيح ابنَ اللّه، ولم يعتبره إلهاً..

«الأمر الثاني: إنّ الذبيح الذي تقدّم به إبراهيم الخليل للفداء هو إسماعيل وليس بإسحق..

«الأمر الثالث: إنّ مسيّا، أو المسيح المنتظر، ليس هو يسوع، بل محمّد. وقد ذَكَرَ محمّداً باللّفظ الصريح المتكرّر في فصول ضافية الذيول، وقال إنّ رسول اللّه، وإنّ آدم، لمّا طُرد من الجنّة، رأى سطوراً كتبت فوق بابها بأحرفٍ من نور: "لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه"..

«الأمر الرابع: إنّ هذا الإنجيل يبيّن أنّ المسيح لم يُصلب، ولكن شبّه لهم، فألقى اللّهُ شبهَه على يهوذا الإسخريوطي. ويقول في ذلك برنابا: "ألحقّ أقول إنّ صوتَ يهوذا، ووجهَه، وشخصَه بلغتْ من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذُه والمؤمنون به كافّة أنّه يسوع»[١٣].

أمّا **أحمد زكي** فقد كان أكثر المعتمدين على إنجيل برنابا «الذي أفلت من الحرق والدمار. ويعود الفضل في ذلك إلى الأب فرامينو، الذي سرقَه من مكتبة الفاتيكان. وبعدها شاع وذاع»[١٤].

---

(١٣) **محاضرات في النصرانيّة**، ص ٦٤-٦٦.

(١٤) أحمد زكي، **أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**، ص ٨٥٥.

وتعود أهمّيّة هذا الإنجيل، في رأيه، إلى أنّه «يتكلّم عن اللّه الواحد، وليس عن ثلاثة آلهة. كما أنّه لا يعترف بصلب المسيح»[١٥].

***

إنّ موقف المسلمين عامّة، من التوراة والإنجيل، هو واحد، وهو أنّهم يؤكّدون أنّ فيهما تحريفًا وتبديلاً.

هذا الموقف هو نفسه منذ القديم حتى اليوم.

وسندهم هو القرآن الذي يؤكّد في قوله: «يَا أَهْلَ الكتابِ! قد جاءَكم رَسُولُنا يُبيِّنُ لكم كثيرًا ممّا كنتم تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ، ويَعْفو عن كثير (فلا يبيّنه خشية افتضاحكم)» (٥/ ١٥).

واستناداً إلى هذا، لن يكون لنا، في معرفة هويّة المسيح عيسى في القرآن والإسلام إلاّ ما جاء في القرآن وتفاسير المسلمين. والرجوع إلى المصادر المسيحيّة غير جائز، لأنّ حقيقة النصرانيّة ومعتقداتها نأخذها، في رأي المسلمين كافّة، من مرجعها الحقيقي الذي هو القرآن.

---

(١٥) المرجع السابق نفسه، ص٢٤٢.

الفصل الثالث

ولادة المسيح عيسى

لنبدأ بالبداية، أي بالكلام على ولادة مريم، وحياتها في الهيكل نذيرةً للرب؛ ثمّ بالكلام على بشارتها بميلاد ابنها عيسى. وننهي بسردٍ طويل في آراء أبرز الكتّاب المسلمين عبر التاريخ الإسلامي، منذ البدء حتّى اليوم.

نظرة القرآن والنّصارى إلى مريم أمّ عيسى نظرة جليلة. بسببها يفترقان عن اليهود الّذين يتّهمهم القرآن بالكفر وقول الزور: «وَبِكُفْرِهِم وَقَولِهم عَلى مَريمَ بُهتاناً عَظيماً» (٤/ ١٥٦).

تحتلّ مريم في القرآن مقاماً رفيعاً جدّاً. إنّها المرأة الوحيدة التي ورد اسمُها فيه، أي ٣٤ مرّة. وعادة ما يُسمِّي عيسى بابن مريم بخلاف التسميات الساميّة المألوفة التي تَنسب الابنَ إلى أبيه؛ ممّا يدلّ، من جهة، على ولادته المعجزة، أي من دون أبٍ بشريّ؛ ومن جهة ثانية، على شرف أمّه ومكانتها، إذ هي وابنها، كما يقول عنهما: «وجَعَلْناها وابنَها آيةً للعالمين» (٢١/ ٩١)، «وَجَعَلْنا ابنَ مريمَ وأمَّه آيةً» (٢٣/ ٥٠).

أوّلاً – في ولادة مريم

١. يعتـرف القرآن والنّصـارى بكثرة الإنعـامات التي خصّ اللّهُ بهـا **أجدادَ مـريم**، وكـان لهم ذلك بسـبـبـها. وكـلا القـرآن والنصارى يقـدّم إثباتاً لائقاً بشرف انتـسابها إلى سلالة الأنـبياء: من آدم إلى نوح، إلى ذرّيّة إبراهيم وآل عمران :

في القــرآن «إنّ اللّهَ اصْطَفَى آدمَ ونوحــاً وآل إبراهيمَ وآلَ عمرانَ على العـالمين: ذرّيّة بعضـها من بعض. واللّهُ سـميعٌ عَليمٌ. إذ قالتِ امـرأةُ عِمرانَ: رَبِّ إنّي نَذرتُ لكَ مَا فـي بَطني مُحَرَّراً. فَتَـقَبَّلْ مِنِّي. إنَّكَ أنتَ السَّميعُ العَليمُ» (٣/ ٣٣–٣٥).

وفي المصادر النصرانيّة، «نقـرأ في تواريخ أسباط إسرائيل الإثني عشر... وذلك ليـتبيّن لنا شرف انتساب المسـيح وأمّه مريم إلى ذرّيّة يعقوب»[(١)]...

٢. أمّا عن **مولد مريم** العجـائبيّ فيُـضيف القـرآن أنّه، «لمّا وَضَعتْها (أمُّها حنّةُ جـاريةً)، قالتْ : ربِّ! وَضَعتُها أُنثى. واللّهُ أعلمُ بما وَضَـعتْ. وليسَ الذَّكـرُ (الذي طَلبـتْ) كالأنـثى (التي وُهِبَتْ). وَإنّي سَمَّيتُها مريمَ. وإنّي أُعيذُها بكَ وذُرِّيَّتَها مِنَ الشيطانِ الرَجيم. فَتقَبَّلَها ربُّها بقَبولٍ حَسَنٍ. وَأنبتَها نَباتاً حسَناً» (٣/ ٣٦–٣٧).

وفي المصـادر النّصرانيّة: قـال ملاك الرب: «حَنّة، حنّـة! لقد استـجاب الربُّ صـلاتك. إنّك ستـحبلين وتلدين. وسـيُتـحدَّث عن

---

(١) Protévangile de Jacques, 1, 1. ؛ سنجعل المـراجع القرآنيّة بالأرقـام وفي متن النصّ، إلاّ إذا تعدّت المرجع الواحد؛ فيما المراجع النصرانيّة سنجعلها في الحواشي.

ذرّيتك في الأرض كلّها». قالت حنّـة: «حَيٌّ الربّ. إنْ وضعتُ للعالم ولدًا، صبيّـاً كان أم ابنة، سأقدّمه للربِّ الأله. وسيكون في خـدمته طول أيّام حياته».

(وبعدما ولدت) «قـالت للقابلة: ماذا وضعتُ للـعالم؟ أجابتِ القابلة: ابنةٌ. وأعطتْ حنّة لابنتها إسمَ مريم».

(وصلّى يواكـــيم قـائلاً:) أيّـهـا الربّ! أنظر إلى ابـنتك هذه، وتقبّلْها، وحلَّ عليها بركتَكَ. وكانت الصبية تنمو يوماً بعد يوم» (٢).

ثانياً – مريم في الهيكل

٣. عن **دخول مريم إلى الهيكل** واحتجابها فيه، يقول القرآن: «وَاذكرْ في الكتاب مريم إذ انتبذَتْ من أهلها مَكانًا شرقياً. فاتَّخذتْ من دونِهم حـجاباً» (**١٩**/ ١٦–١٧). ثمّ «كفّلهـا زكريّا» (**٣**/ ٣٧). ويتوجّـه إلى محمّـد قائلاً: «وَمَا كنتَ (يـا محمّـد) لدَيهمْ إذْ يُلْقُونَ أقْلامَهُمْ (في الماءِ يقترعـون ليظهر لهم) أيُّهُمْ يَكْفُلُ مريمَ. وَما كنتَ لَدَيهِمْ إذْ يَخْتَصِمُونَ (في كفالتها فتعرف ذلك) (**٣**/ ٤٤).

وفي المصادر النصرانيّة: قاد يواكـيم ابنتَه إلى الهيكل. وكان لها من العمر ثلاث سنوات. وكلّف ملاكُ الرّبِ زكريّا رئيسَ الكهنة، ليكفُلَ مريم، ويجدَ لهـا زوجاً. واستشار زكريّا حكمـاء اليهود في ذلك (٣).

---

(٢) Protév. de Jq. 4, 5, 6.

(٣) Protév. de Jq. 78.

وروت هذه المصادر قصّةَ الكفالة (ليوسف لا لزكريّا) كما يلي: «*فدخلَ الكاهنُ قدسَ الأقداس، وقد لبس رداءَه ذا الإثنَي عشر جُرَيساً، وأخذ يصلّي. وإذا بملاكٍ للربِّ ظهر قائلاً: " يا زكريّا! يا زكريّا! أُخْرُجْ واستَدْعِ كلَّ أراملِ الشعب. وليأتِ كلُّ واحدٍ بقلَمٍ. ومَن يُظهر له الربُّ علامةً يجعلُ منها امرأتَه. وتفرَّقَ بُشَراءُ في بلاد اليهوديّة كلِّها، ودوّى بوقُ الربِّ فإذا بهم يهرعون كلُّهم. ورمى يوسفُ فأسَه ومضى هو أيضاً ينضمُّ إلى الجماعة. وتوجّهوا معاً إلى عند الكاهن مع أقلامهم. فأخذ الكاهنُ الأقلامَ، ودخلَ الهيكلَ وصلّى. وإذ أنهى صلاتَه استعادَ الأقلامَ. وتلقّى يوسفُ قلَمَه أخيراً؛ وإذا بحمامةٍ طارتْ من قلمِه وحطّتْ على رأسه. إذّاك قال الكاهنُ: " يا يوسف! يا يوسف! أنتَ المختارُ. فأنتَ الذي سيأخذ عذراءَ الربّ "*»[٤].

٤ . وبحسب القرآن، «كلَّما دَخلَ علَيها زكريّا المِحْرابَ **وجَدَ عندَها رِزْقاً**. قالَ: يا مريم! أنّى لَكِ هذا؟ قالتْ: هو مِنْ عندِ اللّه. إنّ اللّه يَرزقُ مَن يَشاءُ بغيرِ حِسابٍ» (**٣/ ٣٧**).

أمّا بحسب الأناجيل المنحولة فجاء عن طعام مريم العجائبي: «*وكانت مريمُ مُرَبَّاةً كحمامةٍ في هيكل الربّ. وكانتْ تتلقّى طعامَها من يدِ ملاك*»[٥].

---

(٤) إنجيل يعقوب التمهيدي، ٨/ ٣-٩/ ١؛ رَ: متّى المزعوم، ٨/ ٢-٣.

(٥) إنجيل يعقوب التمهيدي، ٨/ ١؛ هذا الموضوع موجود كذلك في منحولَين آخرَين هما إنجيل متّى المزعوم (٣/ ٧)، وأسئلة برتلماوس (٤/ ٢١).

ثالثاً – في ميلاد عيسى

وبقيتْ مريمُ في الهيكل على هذه الحال إلى أن آن أوان بشارتها بميلاد ابنها عيسى.

١. وها مريم في الهيكل، فأرسل اللّهُ إليها (الملاك جبريل)، بهيئة بشر (١٩/١٧)، وكلّمها الملاك: «يا مريمُ! إنَّ اللّهَ اصطفاكِ وَطهَّرَكِ (من مسيس الرجال)، وَاصْطَفاكِ على نساءِ العالمين» (٣/ ٤٢). وأنبأها بأنّ اللّهَ «يُبشّرُكِ بكلمةٍ منهُ اسمُهُ المسيحُ عيسَى ابنُ مريمَ، وَجيهاً في الدنيا والآخِرةِ، ومِن المقرَّبين. ويُكلِّمُ الناسَ في المهدِ وكَهْلاً وَمِنَ الصَالحِين» (٣/ ٤٥).

وقالت مريم: «إنّي أعوذ بالرحمن منكَ إنْ كنتَ تقيّا» (١٩/ ١٨). ثمّ قال الملاك: «إنّما أنا رسولُ ربِّكِ لأهبَ لكِ غلامًا زكيّا» (١٩/ ١٩). فقالت مريم: «أنَّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر، ولم أك بغيّا» (١٩/ ٢٠).

قال: «كذلك اللّه يخلق ما يشاء. إذا قضى أمراً فإنّما يقول له كنْ فيكون» (٣/ ٤٧). أو: «قال: كذلك قال ربُّكِ وَهُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ. ولنجعلْه آيةً للنّاسِ ورحمةً مِنّا وكانَ أمرًا مقضياً» (١٩/ ٢١).

وفي المصادر النّصرانيّة: «أرسل اللّهُ الملاكَ جبرائيل للعذراء يقول لها: لا تخافي، إنّكِ وَجَدتِ عند اللّه نعمةً، وستحبلين بكلمته. والمولود منكِ يُدعى ابن العليّ، وتسمّيه يسوع»[٦].

---

(٦) Protév. de Jq. 11.

وفي لوقا ما يشبه ذلك. يقول: *ودخل إلى العذراء ملاك يقول لها: السلام عليكِ يا ممتلئة نعمة. الربّ معك.. واضطربت لهذا الكلام، وقالت في نفسها: ما معنى هذا السلام.. قال الملاك: لا تخافي يا مريم، قد نلتِ حظوة عند اللّه..*

«فقالت مريم للملاك: أنّى يكون هذا ولا أعرف رجلاً.. فأجابها الملاك: إنّ الروح القدس يحلّ بك وقدرة العليّ تظلّلكِ، لذلك يكونُ المولود قدوساً وابن العليّ يُدعى.. قالت مريم : فليكن لي كما قلت» (٧).

٢. وعن **ميلاد يسوع،** يقول القرآن: ولمّا آن المخاض، «حملتْه (مريم أمُّه) فانتبذتْ (تنحّتْ) به مكاناً قصيّاً (بعيداً عن أهلها)»، أي: في البرّيّة حيث وجدتْ شجرةَ نخلٍ جلستْ تحتها تنتظر مولودَها. «فَأَجَاءَها المخاضُ إلى جذعِ النَّخلَة. قالتْ: يا ليتَني مِتُّ قَبلَ هذا، وكنتُ نَسْياً مَنْسِيًّا. فَناداها (صوتٌ) مِنْ تَحتِها(٨): «لا تحزَني. قد جَعلَ ربُّكِ تحتَكِ سَرِيًّا (أي ينبوع ماء يَسري، أي

---

(٧) أنظر إنجيل لوقا ١/٢٦-٣٥.

(٨) يختلف المفسّرون في شخصيّة الذي نادى مريم: أهو مولودها أم الملاك، فالنص القرآني مبهم تماماً... إلاّ أنّ المقابلة بين ما ورد في القرآن وما نرى في سيرة هَاجَر وابنِها اسمعيل يرجّح أنّ اللّهَ تكلّم بواسطة ملاكه مع مريم، كما تكلّم مع هاجر. ويثبت ذلك انتقال القرآن من متابعة الكتب النصرانيّة إلى متابعة أخبار هَاجَر امرأة ابراهيم. فولادة عيسى أشبه ما تكون بولادة إسمعيل، لا في «مذود» كما في لوقا ٢/٧، ولا في «مغارة» كما في الأناجيل المنحولة، بل في البريّة، كما هو حال إسمعيل الذي اهتمّ بسقايته ملاك الرب، فأوجد له بئراً ليشرب (وهو بئر زمزم الذي لا يزال يشرب منه الحجّاج للتبرك)، كما أوجد لعيسى ينبوع ماء، كما في متن النّص.

يجري)، وهُزِّي إليكِ بجِذعِ النّخلةِ تُسَاقِطْ عليكِ رُطَباً جَنيًا» (١٩/ ٢٢-٢٥).

وفي *المصادر النّصرانيّة*، جاء في سفر *التكوين* عن *هاجر* *إمرأة إبراهيم التي تاهت في البرية، ونفذ معها الماء، فطرحت* *إسمعيل ابنها تحت الشجرة. وجلست قبالته حزينةً تبكي ويبكي* *الغلام معها. وسمع اللّهُ بكاءَهما، وقال لها: ما لكِ يا هاجر! لا* *تخافي، فإنّ اللّه قد سمع صوت الغلام. قومي فخذي ابنك... فرأت* *بئر ماء وسقَتِ الغلام وكان اللّه معه* [٩].

وفي كتب النصارى، كما في التفاسير الإسلاميّة، إنّ النخيل انحنى لمريم وتدانى منها يقدم لها الثمر الطيّب لتطعم ابنها في سفرها إلى مصر[١٠].

٣. في القرآن، **اضطرب زكريّا**، من حبل مريم وولادتها من غير رجل. وتجول مخيّلة مؤلّفي روايات الحبل والولادة فتضفي على الواقع شيئاً من أساطير الأقدمين؛ أوجزها القرآن بلومةِ عارفٍ ببراءة مريم في قوله: «يَا أختَ هَارونَ! ما كان أبوكِ امرأ سوءٍ. ومَا كانتْ أمُّكِ بَغِيًا» (١٩/ ٢٨).

أمّا في المصادر النّصرانيّة فيوسف هو الذي اضطرب. وعبثاً حاول يوسف أن يبرِّئ نفسه، وقد عهد إليه شيوخ بني إسرائيل

---

(٩) سفر التكوين ٢١/ ١٤-٢٠.
(١٠) Protév. de Jq. 11.

حمايتـها؛ فتخلّف عن هذه الحـماية. فهو، من جهـة، يعرف امرأته عَفيفة، وأكبر من أن تزلّ كسائر النساء.

«نهضَ يوسفُ عن كيسِه ونادى مريمَ: "أنتِ مُدَلَّلةُ اللّهِ! ماذا صنعتِ؟ لِمَ ألحَقْتِ العارَ بنفسِكِ؟ أنتِ التي رُبِّيتِ في قدسِ الأقداس، وتلقَّيتِ الطعامَ من يد الملاك؟!"»[١١]*؛ لهذا «نوى طلاقَها سِرًّا»*[١٢].

٤ . بحسب القرآن، لقد **كانت الولادة في الصحراء**، عند جذع نخلة، حيث وضعتْ مريمُ مولودَها من دون أوجاع.

أمّا في الأناجيل فكانتِ الولادة في بيت لحم: «وَبَينا كانا (أي يوسف ومريم) هناك (في بيت لحم)، حان وقتُ مريمَ لتَلدَ مولودَها. فولدتِ ابنَها البكر، وقمّطَتْه، وأضْجَعَتْه في مَعلَف؛ لأنّه لم يكن لهما موضعٌ في قاعةِ الضيوف»[١٣].

يَجمعُ القرآن، في شأن ولادة عيسى، بين التوراة التي تروي قصّة هاجر، خادمة إبراهيم، التي أساءتْ سيّدتُها معاملتَها، والتي هربت إلى الصحراء، حيث كادت تموت عطشاً قبل أن يُنقذَها نبعٌ عجائبيّ[١٤]، وبين قصّة الأناجيل المنحولة التي تتكلّم على النخلة

---

(١١) إنجيل يعقوب التمهيدي، ١٣/٢.

(١٢) إنجيل متّى ١/١٩.

(١٣) إنجيل لوقا ٢/٦-٧. وثمّة تقليد آخر يقول بأنّ يسوع ولد في مغارة. وهذا يعود إلى القديس يوستينوس (١١٠-١٦٣).

(١٤) سفر التكوين ٢١/١٧-١٩.

التي انحنتْ لتُقدِّم رُطَبَها لمريم، والنبع الذي يتفجّر من تحت النخلة؛ وذلك أثناء هربها إلى مصر[١٥].

٥ . ولمّا جاءتْ مريمُ أهلَها ومولودُها في حضنها. دُهشوا ممّا رأوا: «يَا مريمُ! لقد جئتِ شيئًا فَرِيًّا. يا أختَ هارونَ ما كانَ أبوكِ امرأَ سوءٍ ومَا كانتْ أمُّكِ بَغِيًّا» (**١٩**/٢٨). وللحال همُّوا في قتلها لظنّهم أنّها اقترفتْ إثماً فظيعاً. فأشارتْ للتوِّ إلى ابنها بأنْ يكلّمَهم عن براءتها. فكلّمهم وهو لا يزال طفلاً في المهد. كلّمهم عن نفسه، مَن هو ومَن سيكون، وعن أمّه وبراءتها وطهارتها.

وكلام يسوع عن أمِّه وعن نفسه موجود في الأناجيل المنحولة حيث يقول يسوع: «لا تعتبراني طفلاً؛ لأنّني كنتُ دائماً رجلاً كاملاً»[١٦].

قال عن نفسه: إنّه عبد اللّه، ونبيّه، ورسوله، وكلمته، وروح منه. آتاه اللّه بالإنجيل، مصدّقا لما بين يديه من التوراة. وهو مبارك أينما وُجد. أوصاه ربُّه بالصلاة والزَّكاة، أي بتسبيح اللّه وعمل البرّ. وقد عرف سلامَ اللّه عليه من ولادته حتى موته، ثمّ قيامته حيّاً، ورفعِه إلى السماء (**١٩**/٢٣-٣٣).

وقال عن أمّه: إنّها بارّة، تقيّة، طاهرة. تخافُ اللّه. وتسمع كلمته. وهي خير المطيعات له. لم تأتِ بشيء منكَر. بل هي خير من

---

(١٥) إنجيل متّى المزعوم، ٢٠/١-٢.

(١٦) إنجيل متّى المزعوم، ١٨/٢؛ راجع أيضاً إنجيل الطفولة العربي.

اختار اللّه من بناتِ البشر. إنّها وابنها آية للعالمين[١٧].

لقد خشيتْ، لسموِّ طهارتها ولقرب ابنها من اللّه، أن يعتبرهما الناسُ إلهَين (٥/ ١١٦)؛ فيما هما وُجدا بأمر اللّه وكلمته الخالقة: كنْ[١٨]، ويستطيع اللّهُ «أن يُهلكَ المسيحَ ابنَ مريم وأمَّه» (٥/ ١٧)[١٩] ساعةَ يشاء.

---

(١٧) رَ: آل عمران ٣/ ٣٦ و٤٢ و٤٤؛ النساء ٤/ ١٥٦؛ المائدة ٥/ ١٧ و١١٠؛ مريم ١٩/ ١٦ و٢٧؛ المؤمنون ٢٣/ ٥٠؛ التحريم ٦٦/ ١٢.

(١٨) سورة مريم ١٩/ ٢٣–٣٥؛ سورة آل عمران ٣/ ٤٢–٤٤ و٤٨.

(١٩) نقل أوريجينوس عن الإنجيل العبراني قولاً للمسيح: «حَملتْني أُمِّي الروح القدس» (متّى المنحول ١٠–١١). ويعلّق القديس جيروم مفسّراً: «ممّا يدل على اعتقادهم (أي الإبيونيّين) بأنّ الرّوح القدس هو أمّ المسيح» (تفسير على إرميا ١٥/ ١٤).

ومردّ هذا الخلط هو أنّ «الروح القدس» في اللّغة الآراميّة مؤنّث؛ فيما هو في العربيّة مذكّر. ومع هذا، شاعت جنسيّة «الرّوح القدس» المؤنّثة وأمومتُه للمسيح في أوساط عربيّة عديدة ومتنوعة؛ فنجد اليعقوبي، مَثَلاً، يقول: «فلمّا عمّدَه (يحيى بن زكريّا) خرجتْ رُوحُ القُدُسِ على الماء» (تاريخ اليعقوبي ١/ ٧٢)؛ كما هو مكتوب تماماً في إنجيل العبرانيّين: «الروح القدس تخاطب يسوع في عماده بقولِها: أنت ابني الحبيب» (رَ: جيروم، تفسير على أشعيا ١١/ ٢؛ وأيضاً تفسير على ميخا ٧/ ٦). ونجد أيضاً عند أفراهات، أحدِ آباء الكنيسة السريانيّة، هذا القول: «إنّ الرجل يُحبّ اللّهَ أباه، والرُّوحَ القدس أمَّه» (البيّنات ١٨/ ١٠).

فالروح القدس، إذاً، من جنس «المؤنّث»، وهو، بسبب علاقته الحميمة باللّه، اعتُبر «أمّ المسيح» وكأحد الأقانيم الثلاثة مع الأب والابن. ومن هنا، يجب أن نفهم ما جاء في القرآن عن لوم اللّه عيسَى قائلاً: «أأَنْتَ قلتَ للناسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَينِ مِنْ دُونِ اللّه» (٥/ ١١٦).

فاللّه، في القرآن العربي، يردّ، إذاً، على الذين يؤلّهون روحَ القدس، ويعتبرونه ثالثَ ثلاثة؛ لا على الذين يؤلّهون مريم، كما يزعم مفسّرو القرآن، إبتداءًا من الطبري، حتّى آخر واحدٍ منهم..؛ عِلماً بأنّ مريم كرّمها المسيحيّون، وقدّسوها، ومجّدوها،

٦ . ثمّ طمْأنَ جبريل مـريمَ بأنّ كلّ ذلك إنّما يكون بقدرة اللّه العليّ. والمولود منهـا سيكون آيةً للنّاس ورحـمة. وهو كلمـة اللّه، وروحٌ منه. يكون وجيـهاً في الدّنيا والآخرة، ومن أقـرب المقرّبين. يكلّم الناس في المهد، ويعلّـمه الكتابَ والحكمة والتـوراة والإنجيل (٣/ ٤٢-٤٨).

رابعاً – ولادة عيسى وإشكالاتها عند المسلمين

١ . لقد بدا لنـا كم يجلّ القرآن البشـارة بعيـسى والحبلَ به وميـلاده بالتكريم والتـعظيم. أمام هذا الإجـلال الكبيـر، نتـساءل دائماً: لِمَ هذه الأهمّـيّة الخارقـة لولادة عيسى؟ ولِمَ حُـبل به وحدَه بهذه الطريقة الفريدة التي لم يعرف التاريخ البشـري لها مثيلاً؟!

ثمّة أجـوبة عديدة قـدّمهـا المسلمون عـبر التـاريخ عن هذه الفرادة التي تميّز بها عيسى عن سائر النّبيّين والرسل.

فقال **الطبري**: كانت مدّة الحمل مثلاً: سـتة أشـهر، أو سبعة، أو ثمانيـة. ولم يعشْ مولودٌ وُضـع لثمـانية إلاّ عيـسى. وقيل ثلاث ساعات: حملتْه في ساعة، وصُوِّر في ساعة، ووضعتْه في ساعة.

وعن **ابن عـبّاس**: كـانت مدّة الحـمل سـاعة واحـدة؛ وذلك لسببَين: **الأوّل**: لقوله تعالى: "**فَـ** حملته، **فَـ** انتبذت به. **فَـ** أجاءَها

وعظّمـوها جداً، حـتّى قدّم بعـضُهم لهـا القرابين، مـثل «الكْلِيريّينَ»، من «كلّـيرس» اليونانيّة التي تـعني أقراصاً من الرقاق... إلاّ أنّ هذه القلّة لم يكن لهـا أثر ولا انتشار ولا كتاب. ولا التكريم كان تأليهاً.

المخاض. فَـ ناداها من تحتها" . **والفاء** للتعقيب. فدلّت هذه **الفاءات** على أنّ كلّ واحد من هذه الأحوال حصل عقيب الآخر من غير فصل.. **والثاني**: لقوله تعالى في وصف عيسى: "إنّ مَثَلَ عيسَى عند اللّهِ كَمَثَلِ آدم، خَلَقه من تراب. ثمّ قال له: كنْ فيكون" (٣/ ٥٩). وهذا ممّا لا يُتصوّر فيه مدّة الحمل، وإنّما تُعقل تلك المدّة في حقّ من يتولّد من النطفة[٢٠].

أمّا د. **محمّد الصادقي** فيقول أيضاً بأنّ «الحبل دام مدّة قصيرة، لأنّه، برأيه، لو دام كما يدوم عند سائر النساء، لرأى الناسُ، ولا سيّما الأهلُ والأقارب، علاماتِ الحَبَل، فهاجموها منذ تلك اللّحظة، وصار مصيرُها في خطر لا يُدافِع عنها ذاك الطفل البارّ، لأنّه لم يولد بعد»[٢١].

٢ . ثمّ اختلفوا في **عمر مريم** عند حبلها: فقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة. وقيل بنت عشر. وقد كانت حاضت حيضتَين قبل أن تحمل.

٣ . واختلفوا في أين هو **المكان القصي**: فقيل: أقصى الدار. وقيل: وراء الجبل. وقيل: سافرت مع ابن عمّها يوسف..

٤ . واختلفوا في **المنادي**، كما رأينا: منهم من قال إنّه عيسى. ومنهم من قال إنّه جبريل وإنه كان كالقابلة للولد.. ومنهم من قال:

---

(٢٠) رَاجع : **الطبري** (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)، **جامع البيان في تفسير القرآن**.

(٢١) الدكتور محمّد الصادقي، ص ٤٩٨؛ رَاجع د. منير خوّام، **المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحيّة**، ص ١٧٠

"مَنْ" فيكون الذي تحتها عيسى، ومَن قال "مِنْ" لا يقتضي قوله أن يكون جبريل؛ لأنّ الموضع موضع اللوث والنظر إلى العورة وذلك لا يليق بالملائكة[٢٢].

٥ . واختلفوا في مَن يكون «**هَارُونَ**»:

الأوّل: إنّه رجل صالح من بني إسرائيل يُنسب إليه كلّ من عُرف بالصلاح. والمراد أنّكِ كنتِ في الزهد كهرون، فكيف صرت هكذا؟.. ذُكر أن هارون الصالح تبع جنازته أربعون ألفاً كلّهم يسمّون هارون تبرّكاً به وباسمه.

الثاني: إنّه أخو موسى، وعن النّبي إنّما عنوا هارون النّبي وكانت من أعقابه، وإنّما قيل أخت هارون، كما يقال: يا أخا همدان، أي: يا واحداً منهم.

الثالث: كان رجلاً معلَنا بالفسق فنُسبتْ إليه بمعنى التشبيه لا بمعنى النسبة.

الرابع: كان لها أخٌ يسمّى هارون من صلحاء بني إسرائيل فعُيِّرت به. وهذا هو الأقرب.. وذلك، أنّ في وصف أبويها بالصلاح، يكون التوبيخ أشد، لأنّ مَن كان حال أبويه وأخيه هذه الحالة يكون صدور الذنب عنه أفحش.

٦ . ويشرح **إبن عربي** معنى لفظة «**سَوِيًا**» (٥/١٧): إنّ الملاك «إنّما تمثّل لها بشراً سويّ الخلق، حسن الصورة، لتتأثّر

---

(٢٢) رَاجع : حاشية ٩ من هذا الفصل، ص ١٤.

نفسُها به، وتستأنسَ، فتتحرّك على مقتضى الجبلة، ويسري الأثر من الخيال في الطبيعة، فتتحرّك شهوتُها فتنزل كما يقع في المنام مِن الاحتلام، وتنقذف نطفتُها في الرحم، فيتخلّق منه الولد»[٢٣].

وكذلك يفسّر **محمّد عبدو**، على ضوء العلم الحديث، فيقول: «ونحن نرى علماء الغرب متّفقين على إمكان التولّد الذاتي، أي تولّد الحيوان من غير حيوان، أو من الجماد. وهم يبحثون ويحاولون أن يصلوا إلى ذلك بتجاربهم. وإذا كان تولّد الحيوان من الجماد جائزاً فتولُّدُ الحيوان من حيوان أولَى بالجواز وأقرب إلى الحصول. ونحن نستدلّ على وقوعه بالفعل بخبر الوحي الذي قام الدليلُ على صدقه. ويمكن تقريب هذه الآية من وجهَين:

أحدهما : إنّ الاعتقاد القوي الذي يستولي على القلب، ويستحوذ على المجموع العصبي، يُحدث في عالم المادّة من الآثار ما يكون على خلاف المعتاد. فكم من سليمٍ اعتقد أنّه مصابٌ بمرضِ كذا، وليس في بدنه شيءٌ من جراثيم هذا المرض، فوَلّدَ له اعتقادُه تلكَ الجراثيم الحيّة، وصار مريضاً! وكم من امرئ سُقي الماء القراح، أو نحوه، فشربه معتقداً أنّه سمٌّ ناقعٌ، فمات مسموماً به! والحوادث في هذا الباب كثيرة أثبتتها التجارب.

إذا اعتبرنا بها في أمر ولاد المسيح، نقول: إنّ مريم، لمّا بُشِّرتْ بأنّ اللّه سيهب لها ولداً بمحض قدرته، وهي على ما هي عليه من صحّة الإيمان وقوّة اليقين، انفعل مزاجُها بهذا الاعتقاد

---

(٢٣) رَاجع : **ابن عربي** (ت ٥٤٣/١١٤٨)، **أحكام القرآن**.

انفعالاً فعلَ في الرحم فعْلَ التلقيح، كما يفعل الاعتقاد القويّ في مزاج السليم فيمرض أو يموت، وفي مزاج المريض فيبرأ. وكان نفخ الروح الذي ورد في سورة أخرى متمّماً لهذا التأثير.

الوجه الثاني : وهو أقرب إلى الحقّ، وإنْ كان أخفى وأدقّ. وبيانه يتوقّف على مقدّمة وجيزة في تأثير الأرواح في الأشباح... واللّطيف في الكثيف.. فإنّ اللّه المسخِّر للأرواح المنبثّة في الكائنات، وقد أرسلَ روحاً من عنده إلى مريم، فتمثّل لها بشراً، ونفخ فيها، فأحدثتْ نفختُه التلقيحَ في رحمها، فحملت بعيسى. وهل حملتْ إليها تلك النّفخة مادّةً أم لا؟ اللّه أعلم. أما البحث في تمثّل لهذه الأرواح التي تسمّى بلسان الشرع الملائكة، فهو كذلك من قوله: " فَأَرْسَلْنَا إِلَيها روحَنا فَتَمَثَّلَ لها بَشَراً سَوِيّاً " (**١٩**/١٧)[٢٤].

ويشرح **محمّد حسين فضل اللّه** قدرة اللّه في تغيير نظام الطبيعة فيقول: «وجاءت قصّة ولادة مريم لعيسى لتخرق هذا القانون الطبيعي بقوّة، ولتعرف البشريّة مخلوقاً وُلد من أمّ دون أب، ولتفرض ولادته تصوّراً جديداً في أجواء العقيدة، من خلال التعمّق في فهم سرّ قدرة اللّه في عمليّة الإيجاد المتنوّع في كلّ مظاهره، الدّالّة على وحدانيّة اللّه وقدرته»[٢٥]...

٧. واختلفوا في معنى «**الفرج**» في آية «والّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا. فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا» (**٢١**/٩١).

---

(٢٤) رَاجع : **الإمام الشيخ محمّد عبده** (ت ١٣٢٣/١٩٠٥)، **تفسير جزء عمّ**.

(٢٥) رَاجع : الشيخ **محمّد حسين فضل اللّه**، **من وحي القرآن**.

يقول **الطبري:** أحصنتْ: حفظتْ ومنعتْ فرجها ممّا حرّم اللّهُ عليها إباحتَه فيه. ويقول أيضاً : اختُلف في "الفرج" الذي عنَى اللّه أنّها أحصنتْه. فقال بعضهم: عنى بذلك فرْج نفسها أنّها حفظتْه من الفاحشة. وقال آخرون: عنى بذلك جيبَ درعِها أنّها منعتْ جبريلَ منه قبل أن تعلم أنّه رسولُ ربِّها، وقبل أن تُثبتَه معرفةً. والذي يدلّ على ذلك قوله: «فَنَفَخْنَا فِيهَا» (أي: في جيب درعها)[٢٦].

٨ . واختلفوا في معنى « **مِنْ رُوحِنَا**»،فقال **الرازي:** «في الكلام إشكال ظاهر: لأنّه يدل على إحياء مريم؛ فيما الحقيقة، معناه أوّلاً: فنفخنا الروح في عيسى فيها، أي أحييناه في جوفها. وثانياً: فعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل، لأنّه نفخ في جيب درعها، فوصل النفخ إلى جوفها»[٢٧].

أمّا **إبن عربي** فيقول معنى «في رُوحِنَا»، أي «من تأثير روح القدس، بنفخ الحياة الحقيقيّة، فولدت عيسى»[٢٨].

٩ . واختلفوا في معنى «وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ» (٢٣ / ٥٠)،

فيقول **الطبري:** «واختلف أهل التأويل في المكان الذي وصفه اللّه بهذه الصفة، وآوى إليه مريم وابنَها. فقال بعضهم: هو الرملة من فلسطين.. وقال آخرون: هي دمشق. وقال ابن المسيب: ربوة

---

(٢٦) الطبري، المرجع المذكور آنفاً.

(٢٧) رَاجع : **فخر الدين الرازي** (ت ٦٠٦/ ١٢٠٩)، **مفاتيح الغيب.**

(٢٨) إبن عربي، المرجع المذكور آنفاً.

من ربى مصر.. وقال آخرون: هي بيت المقدس.. وكان كعب يقول: بيت المقدس أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً.. وأولى هذه الأقوال، بحسب الطبري: إنّها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر؛ وليس كذلك صفة الرملة لأنّ الرملة لا ماء بها معين».

ويضيف الطبرسي احتمالاً آخر، فقال: و«قيل حيرة الكوفة وسوادها. والقرار مسجد الكوفة. والمعين الفرات. والمعين: ماء جارٍ ظاهر للعيون»(٢٩).

أمّا **محمّد حسين فضل الله** فيفسّر ذلك بأنّ الربوة هي «رَبْوَة في فلسطين التي ولد فيها السيّد المسيح، ذَاتِ قَرَارٍ يستقرّ فيه الإنسان ويطمئنّ ويهدأ، وَمَعِينٍ، أي وماء جارٍ يرتوى منه».

وأمّا **سيّد قطب** فيقول بأنّ اللّهَ أراد، من خلق عيسى بدون أب، أن يظهر للعالم قدرتَه العظيمة التي لا تتقيّد بمبدأ السببيّة. فهو السيّد المطلق؛ وكلّ شيء يخرج من إرادته الفائقة(٣٠).

وأمّا **أبو زهرة** فقال بأنّ اللّه يهدف من وراء ذلك، إلى إعطاء الشعب اليهودي البرهانَ القاطع عن وجود الروح وجوداً حقيقيّاً، إذ إنّ الروح المادّيّة قد سيطرت عليه، وأعمتْ عينَيه عن هذه الحقيقة التي لا مفرّ منها... وهذا هو السبب الثاني الذي دفع اللّه ليخلق عيسى مباشرة بنفخة منه(٣١).

---

(٢٩) رَاجع: **الطَّبَرسي** (ت ٥٤٨/١١٥٣)، **مجمع البيان لعلوم القرآن.**

(٣٠) رَاجع: **سيّد قطب**، (ت ١٣٨٦/١٩٦٦م)، **في ظلال القرآن.**

(٣١) أبو زهرة، **محاضرات في النصرانيّة**، ص ١٦-١٧.

ولكثرة المعـجزات في ولادة عيـسى، يقول **عبد العـزيز عبد المجيد**: «إنّ ولادة عيـسى من أمٍّ عذراء قد اسـتحقّت أعظم احـترام ممكن، لأنّه من روح اللّه الذي تجسّد على صورة إنسان»(٣٢).

أمّا **محمّـد الصادقي**، فإنّه يرفض أن يكون المسيح من نسل داود. ويعتـبر نفـسَه في هذا الموقف أنّه يحـترم المسـيح احتـراماً يفوق احترام الآخرين له. ويصرّح أنّ الذين نسبوه إلى هذه الذرّيّة هم جمـاعة من ضعـفاء العقـول جهّـال. فالمسيح هو ابن مـريم قد خلقه اللّه بطريقة مباشرة(٣٣).

ولكنّ المسلمين، رغم هذا الإطراء والمديح، لا يعـتبرون ولادة عيـسى تفوق ولادة آدم. يقولون: إنْ كانت ولادة عـيسى تمّت من دون واسطة أب، فولادة آدم تمّت من دون واسطةِ أبٍ ولا أم(٣٤).

***

هذا كان في اختـلاف المفسّرين في تفسير كـلام القرآن. أمّا عن كيـفيّة التحـام اللاّهوت بالناسوت، كمـا يقول به المسيحـيّون، فملاحظات المسلمين عليها عديدة وانتقاداتهم كثيرة:

يسـأل **الباقلاني** النصـارى عن إيمانهم في ميـلاد عيسى من مريم؛ فهل ولدتْ مـريمُ الإبنَ دون الأب ودون روح القدس، مع أنّ الجميع واحد غير منفصلِين بعضـهم عن بعض؛ وهل مريم هذه هي

(٣٢) عبد العزيز عبد المجيد، **المسيح**، سلسلة اخترنا لك، دار المعارف بمصر، (د.ت.).

(٣٣) الصادقي، ص ٥٠٥: يرى في ذرّيّة داود ذرّيّة زنى.

(٣٤) رَاجع : شبلي، ص ٢٦ (الحاشية): إنّه موقف المسلمين بالإجماع.

إنسانٌ كلّي أم إنسان جزئي؟ فإنْ قالوا: إنّها إنسانٌ كلّيّ، تجاهلوا... وإنْ قالوا: مريم إنسان جزئي، قيل لهم: فالإنسان الذي ولدتْه أليس هو الذي اتّحد الابنُ به بولادته، وهو إنسان كليّ، وأمُّه التي هي مريم إنسانٌ جزئي؟ وهذا طريف جداً... فكيف يكون الجزئي والداً للكلّي؟»[٣٥].

وتساءل **ابن حزم** عن حبل مريم بواسطة روح القدس: لماذا الذي وُلد من أمّ يحيى لم يكن إلهاً، فيما الذي وُلد من مريم كان إلهاً؟ علماً بأنّ الإثنَين وُلدا من روح القدس!!»[٣٦].

ويأخذ **ابن قيّم الجوزية** على النصارى إيمانَهم بأمومة مريم للّه، والذين «يدعونها ويسألونها سعةَ الرزق، وصحّةَ البدن، وطولَ العمر، ومغفرةَ الذنوب، وأن تكون لهم عند ابنها ووالده سورًا وسندًا وذخرًا وشفيعًا وركنًا. وهم يعظّمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيّين والمرسلين ويسألونها ما يسأل الإله من العافية والرزق والمغفرة...

«هذا، والأوقاح الأرجاس من هذه الأمّة تعتقد أنّ اللّه سبحانه اختار مريم لنفسه ولولده، وتخطاها كما يتخطّى الرجل المرأة»[٣٧].

ويقول **الشيخ العاملي** عن مريم العذراء بأنّ المسيحيّين، في تكريمهم لها، كالوثنيّين. ويذهبون في تعظيمها حتّى العبادة التي

---

(٣٥) **كتاب التمهيد**، الباب الثامن، ص٩٥-٩٧.

(٣٦) **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ٢/٧٣.

(٣٧) إبن قيّم الجوزيّة، **هداية الحيارى**، ص ١٣٩.

لا تجوز إلاّ للّه وحده. يقول : «وأمّا المسيحيّون فإنّهم يعتقدون بالعذراء مريم نفس اعتقاد الوثنيين، ويُنشدون لها الأناشيد، ويتضرّعون إليها في أيّام خاصّة يسمّونها الأيام المريميّة، ويلقبّونها ملكة السماء، ووالدة الإله، وصاحبة المجد. وربّما تصوّر بعضهم بأنّه يتقرّب بذلك من السيّد المسيح الذي هو أسمى من أن يُتَّصل به مباشرة. وقد بالغ المسيحيّون في تكريم العذراء وتعظيمها حتى ساووها بولدها»(٣٨).

ويقول أيضاً : إنّ النصارى عبدوا مريم كما عبدوا المسيح. وهذا «كما تجد عند الوثنيين والدات للآلهة يعظّمونهنّ ويلقّبونهنّ بألقاب التمجيد والتفخيم، كذلك نجد عند النصارى والدة للإله يعظّمونها ويلقّبونها بالألقاب التي يلقّب الوثنيّون بها والدات آلهتهم»(٣٩).

إلاّ أنّ **أحمد زكي**، في معالجته موضوع مريم العذراء، يرى أنّ الكنيسةَ قد عظّمت مريم، وكرّمتها، حتّى رفعتْها، في أحد مجامعها، إلى مرتبة الألوهة. وقرّرتْ لها، في مجمع أفسس، سنة ٤٣١، عندما لم تجد لها في الثالوث مكاناً، أن تكون "أمّ اللّه".

ويعلّق على قول الملاك بأنّ مريم وُجدتْ "حبلى من الروح القدس" (متى١ / ٢٠)، فيقول: هذا الكلام «هو أكبر كلمة كفر وتجديف على إله النّصارى، لأنّ روحَ القدس لا يحبِّل أحداً».. وهذا

---

(٣٨) الشيخ العاملي، **الكتاب المقدّس في الميزان**؛ ص ٣٨٩.

(٣٩) المرجع نفسه، ص٣٩٠.

الكلام المبهم وضعه كاتب الإنجيل المزيّف «ليحملَ جهَلَتُهم الأمرَ على وجه آخر، تقشعرٌّ له الأبدان، ولا يتصوّرُه عقل، إذ أراد أن ينسبَ إلى إلهِهم عملاً لا يقوم به إلاّ البشر والحيوانات»[٤٠].

ومريمُ المفتي **خالد**، كمريم القرآن، قد حظيت بنعم اللّه، و«فازت برعايته، وحفظه، وعنايته... فأكرمها كلّ الإكرام.. ولم يتّفق أن وقع مثله لأنثى غيرها. وقد طهّرها وعصمها من الكفر والعصيان، وأغناها من مسيس الرجال، ونقّاها من الحيض والنفاس، وخلاّها من الأفعال الذميمة، والتصرّفات القبيحة، والعادات البشعة، وأكّد لها ولكل الناس، الذين كانوا يلقونها ويهتمّون بأخبارها، أنّها طاهرة، ومبرّأة ممّا ينسبه إليها اليهود».

هذا وإنّ «حمْلها كان ظاهرة خارقة للعادة، وهي التي سبق وأكرمها اللّه، ورعاها، واصطفاها، وطهّرها، وأحاط نشأتها بالخوارق.. فرفعها إلى المستوى البشري الذي لا تُرفع إلى مثله أنثى من العالمين»[٤١].

***

في **الختام**، نقول : إنّ القرآن يكرّم مريم من دون شكّ. يعترف بأنّها، وابنها، آيةً من آيات اللّه، وبأنّ اللّه اختارها من نساء العالمين، وطهّرها، وجعل ابنَها يبرّأها من تِهم بني إسرائيل لها.

---

(٤٠) **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**، ص ٢٤٩.

(٤١) حسن خالد، **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة**، ص٦٥٥-٦٥٨.

لقد ذكر القرآن اسمَها ٣٤ مرّة؛ فيما لم يذكر من النساء غيرَها. وقد حبلت وولدت بعيسى بطريقة معجزة، أي لم يحبل ولم يلد من النساء بهذا الشكل سواها.

إلاّ أنّ المسلمين، بالرغم من اعترافهم بما جاء في القرآن عن مريم، تصدّوا أكثر ما تصدّوا لتعاليم الكنيسة في مريم. فهم رفضوا أن تكون مريم «أمًّا للّه»، أو أن تلد إلهاً؛ ورفضوا أن تنتقل إلى السماء بكامل كيانها، كما رفضوا أن تكون مشاركةً ابنها في فداء البشر، أو أن يُعطى لها أن تتشفّع بمن يلوذ إليها.

وبالنتيجة، إنّ ولادة عيسى من مريم، بالرغم من أهمّيّتها، وغرابتها، ليست ولادة إنسان عادي، ولكن أيضاً، ليست ولادة إلهٍ، كما يقول المسيحيّون.

الفصل الرابع

ألوهيّة مسيح القرآن

مقدّمة

في القرآن، كما قدَّمنا، نظرتان مختلفتان إلى المسيح: نظرةٌ يضفي عليه صفاتٍ ومميّزاتٍ وأسماءَ وألقاباً لا تصحّ إلاّ على اللّه وحدَه.. ونظرةٌ يعتبرُهُ نبيًّا كسائر الأنبياء. نقف، في هذا الفصل، على «ألوهيّة المسيح في القرآن»؛ ونترك إلى الفصل القادم «نبوّة المسيح في القرآن».

وهذا التناقض ليس مأخذاً على القرآن، بمقدار ما هو وجهات نظر مختلفة باختلاف المصادر التي أخذت عنها. ومع هذا، فلا القرآن مسؤول عن هذا التناقض، ولا المصادر المختلفة مسؤولة هي أيضاً. إنّما الألفاظ والتعابير اللّغويّة الموروثة بقيت هي هي عبر التاريخ، فيما مضامينها حملتْ ما حملتْ من المعاني المختلفة.

فالمشكلة الأساسيّة تكمن هنا : أسماء المسيح وصفاته ومميّزاته وألقابه ومعجزاته وأعماله وتعاليمه جعلت المسيحيّين يؤلّهون المسيح؛ وهي نفسها، كما وردتْ في القرآن، فسّرها

المسلمون تفسـيراً مغايراً، جعلتْ من المسيح نبـيًا فحسب... وعلى البـاحث، لكي يصل إلى الحقـيـقة، أن يعـود، قطعاً، إلى المصـادر. عندئذ تنكشف له الحقيقة العلميّة والتاريخيّة بكلّ أبعادها.

أوّلاً – أسماء مسيح القرآن وألقابه الإلهيّة

يتمتّع عيـسى القرآن بمميّزاتٍ لم يتمتّع بهـا أحد من البشر؛ ويجتـرح معجزات لم يجـترحها غـيرُه؛ ويتميّـز بما وهبه اللّهُ من تعظيم وتكريم، مـا يضعـه فـوق مسـتوى كلِّ مـخلوق. ألأسمـاء والألقاب التي يطلقها القرآن على عيـسى هي أسماء وألقاب بيبليّة، ولهـا أبعاد بيـبليّـة. ولا تُفهم إلاّ بالـرجوع إلى البـيبـليا وتعـاليم الكنيسة. ومَن يسير على غير هذه الطريق، فقد لا يصل إلى هدفه.

من هذه الأسـمـاء والألقـاب المألوفـة فـي البـيـبليـا، والتي استعملها القرآن استعمالاً مألوفاً :

١ . **عيسى**. وهو الإسم الأكثر استعمالاً. ورد في القرآن **٢٥** مرّة[١] : ١٦ مرّة «عيسى ابن مريم»؛ و٣ مرّات «ألمسيح عيسى ابن مريم»؛ و٦ مرّات «عيسى» فقط؛ و٤ مرّات مقترناً بموسى.

عيسى هو نفسه "يسوع" المسيحيّين. وهو نفسه "يِشُوَعْ" لدى العبرانيِّين و"يِشُوعُو" لدى الـسريان الغربيّين، و"يِشُوعَا"،

(١) **٢**/٨٧ و١٣٦ و٢٥٣؛ **٣**/٤٥ و٥٢ و٥٥ و٥٩ و٨٤؛ **٤**/١٥٧ و١٦٣ و١٧١؛ **٥**/٤٦ و٧٨ و١١٠ و١١٢ و١١٤ و١١٦؛ **٦**/٨٥؛ **١٩**/٣٤؛ **٣٣**/٧؛ **٤٢**/١٣؛ **٤٣**/٦٣؛ **٥٧**/٢٧؛ **٦١**/٦ و٦١.

أو "إيْشُوعَـا" عند السريان الشرقـيّين، بحسب مدرسة نصـيبين، ويختـصرونه "إيْشَا" أو "إِيسَـا". ويحرّفه العرب قـبل الإسلام بـ"عِيْسَا". ثمّ يكتـبونه، تماثـلاً باسم "موسى"، "عـيسى"[٢]. وهكذا وصل إلى القرآن.

واسم "يســوع" الذي أطلق على يـســوع الناصــري، منذ ختانته، مـثل كلّ أطفال اليهود[٣]، ليس غريباً في إسرائيل[٤]. وهو يعني: "الربّ يخلّص"[٥]. والإسم، عادةً، في الكـتاب المقدّس، كـما في التقاليـد الشرقيّة، يعني دورَ الشـخص في تاريخ الخلاص[٦]، كما يعني المهمّة الموكلة إليه في مجتمعه.

أمّا المفسّرون المسلمون فـفسّروا اسم «عيسى»، على هواهم، من دون تدقيق في اللّغة، ومن دون العودة إلى التاريخ أو التقاليد:

فقال **الألوسي**: «وعيـسى أصله بالعبـرانيّة يشوع، بهـمزة ممالة بين بين، أو مكسورة. ومـعناه: السيّد. قيل: المبـارك. فعُرِّب. والنسبة إليه عيسِيّ، وعيسَوِيّ، وجمعه: عيسَون بفتح السين»[٧].

---

(٢) راجع إيليا عيـسى: «لفظة "يشوع" (يسوعْ) وكيف أصبحت "عـيسى" عند العرب المسلمين» (مخطوط).

(٣) رَاجع: لوقا ١/ ٣١؛ ٢/ ٢١؛ متى ١/ ٢١ و٢٥.

(٤) رَاجع: يشوع بن سيراخ ٥١/ ٣٠.

(٥) تثنية الاشتراع ٣١/ ٧-٨.

(٦) رَاجع: خر ٣/ ١٤؛ رسل ٣/ ١٦.

(٧) رَاجع: مـحمـود **الألوسي** (ت ١٢٧١/ ١٨٥٤)، **روح المعـاني في تفـسير القـرآن العظيم والسبع المثاني**.

وقال **المراغي**: «وعيسى بالسريانيّة: يسوع. ومعناه: السيّد أو المبارك»[٨].

وقال **القاسمي**: «عيسى إسم معرّب أصله يسوع. لفظة يونانيّة بمعنى مخلّص. ومثله يشوع في اللغة العبرانيّة». وقال أيضاً: «أصل كلمة "عيسى" يسوع. فحرّفه اليهود إلى "عيسو"، تهكّماً، فحوّله العرب إلى "عيسى"، تشبّهاً باسم موسى»[٩].

وفي كلِّ حال، إنّ إسم «عيسى» إسمٌ مميّز لعيسى المسيح ابن مريم؛ ولم يكن لأحدٍ قبله بين العرب. وكذلك معناه اللغوي يتضمّن معنىً إلهيًّا، وهو «اللّه يُخلِّص».

***

٢ . **المسيح**. ورد **١١** مرّة[١٠]: في ٣ منها «المسيح عيسى ابن مريم»؛ وفي ٤ «المسيح ابن مريم»؛ ومرّتَين «المسيح» فقط؛ ومرّة واحدة «المسيح ابن اللّه».

« لفظة "المسيح" هو لقب الشخص الذي كان يُمسَح بالدهن والطيب، دلالة على تكرّسه للّه، مَلِكاً كان أو حَبْراً أو نبيًّا... ثمّ عنى "المسيح"، في إيمان بني إسرائيل، المخلّص الموعود المنتظر، الذي سيحمل مُقدَّرات شعبه وتاريخه، ويبلغ به الخلاص التامّ[١١]. أطلق

---

(٨) رَاجع : محمّد مصطفى **المراغي** (ت ١٣٦٢/ ١٩٤٥)، **تفسير المراغي**.

(٩) رَاجع : **القاسمي** (ت ١٣٣٣/ ١٩١٤)، **محاسن التنزيل**..

(١٠) ٣/٤٥؛ ٤/١٥٧ و١٧١ و١٧٢؛ ٥/١٧ (مرّتَين) و٧٢ (مرّتَين) و٧٥؛ ٩/ ٣٠و٣١.

(١١) رَاجع : أشعيا ٦١/١.

الرسل والمبشِّرون والإنجيليّـون لقب "المسيح" على يسوع. وكان بطرس أوّل مَن أطلقه [١٢]. أمّا يسوع فقد قبل اللّقب بتحفّظ، لمدلوله السياسي الخالص في ذهن معاصريه» [١٣].

أمّـا المسلمـون، وبنوع خاص المـفسّـرون، فـفهـمـوا بلقب «المسيح»، مفاهيم مختلفة ومتنـوّعة. ومعظمها لا علاقة لها بالمعنى البيبلي الأصلي:

فالطبري مثلاً، في تفـسيره على (٤/ ١٧١)، يقول: «وأصل المسيح: الممسـوح. صُرف من مفعول إلى فعـيل. وسمّاه اللّه بذلك لتطهيـره إيّاه من الذنوب. وقيل: مُـسح من الذنوب والأدناس التي تكون في الآدمـيّين، كمـا يمسح الشـيء من الأذى الذي يكون فـيه فيطهّره منه. وقد زعم بعض النّاس أن أصل هذه الكـلمة عبرانيّة أو سريانيّـة "مَشِيحَـا"، فعُرِّبتْ... غـير أنّه، لو كان المسيح من غـير كلام العرب، ولم تكن العرب تعقل معناه، ما خوطبت به».

أمّا **الرازي**، في تفسيره على (٣/ ٤٥) [١٤]، فيقدّم احتمالات عديدة. ويقول: «المسيحُ إسم مشتق وعليه الأكثرون. وفيه وجوه:

ألأوّل : إنّما سُمّي عيسى مسيـحاً، لأنّه ما كان يَمسح بيده ذا عاهة إلاّ برئ من مرضه.

---

(١٢) رَاجع : مرقس ٨/ ٢٩.

(١٣) رَاجع : حاشية أونجليون على مر ١/ ١.

(١٤) رَاجع : **فخر الدين الرازي** (ت ٦٠٦/ ١٢٠٩)، **مفاتيح الغيب**.

ألثاني : سمّي مسيحاً لأنّه كان يمسح الأرض، أي يقطعها. ومنه مساحة أقسام الأرض. وعلى هذا المعنى يجوز أن يقال لعيسى: مسِّيح، كما يقال للرجل: فسِّيق وشرِّيب.

ألثالث : أنّه كان مسيحاً، لأنّه كان يمسح رأس اليتامى للّه تعالى. فعلى هذه الأقوال: هو فعيل بمعنى فاعل، كرحيم بمعنى راحِم

ألرابع : أنّه مسح من الأوزار والآثام.

ألخامس : سمّي مسيحاً لأنّه ما كان في قَدَمه خمص، فكان ممسوحَ القدَمَين.

ألسادس : سمّي مسيحاً لأنّه كان ممسوحاً بدهنٍ طاهرٍ مبارَك، يُمسَح به الأنبياء، ولا يُمسَح به غيرُهم. ثمّ قالوا: وهذا الدهن يجوز أن يكون اللّهُ تعالى جعله علامةً حتى تَعرفَ الملائكةُ أنّ كلَّ مَن مُسِح به وقت الولادة فإنّه يكون نبيّاً.

ألسابع : سمّي مسيحاً لأنّه مَسحَه جبريل بجناحه وقت ولادته ليكون ذلك صوناً له عن مسّ الشيطان.

الثامن : سمّيّ مسيحاً لأنّه خرج من بطن أمّه ممسوحاً بالدهن».

أمّا **الآلوسي**، في تفسيره على (٤/ ١٥٦–١٥٩)، فيقول: «قال الرّاغب: سُمّي عيسى بالمسيح لأنّه مسحتْ عنه القوّة الذميمة، من الجهل والشره والحرص وسائر الأخلاق الذميمة. كما أنّ

الدّجّال مسحت عنه القوّة المحمودة من العلم والعقل والحلم والأخلاق الحميدة. وقال شمر: لأنّه مسح بالبركة، وهو قوله تعالى: "وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ" (**١٩** / ٣١)، أو لأنّ اللّه مسح عنه الذنوب. وذكر في اشتقاقه ستة وخمسين قولاً».

فالمسيح، إذاً، لفظ أطلقه القرآن على عيسى وحده، وبه تميّز عن سائر الناس. وهو نفسه اللّقب الذي أطلقه اليهود على الملك الموعود المنتظَر، الذي سوف يأتي ويخلّص شعبه، ويستمرّ ملْكُه إلى آخر الدهر. وهو اللّقب نفسه الذي أطلقه المسيحيّون على يسوع الناصري، على أنّ «كلّ روحٍ يَعترِفُ بيسوعَ المسيحِ المتجسِّدِ يكونُ مِنَ اللّه»[١٥]؛ لأنّ يسوع المسيح هو اللّه.

***

٣ . **كلمة اللّه، وكلمة من اللّه.** ورد إسم "كلمة" في القرآن على عيسى **مرّتَين** : في قوله: «إنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ (يا مريم) بِكَلِمَةٍ مِنْهُ، اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» (**٣** / ٤٥)؛ وفي قوله: «إنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ» (**٤** / ١٧١).

«ألكلمة»، في العهد الجديد، ولا سيّما عند يوحنّا الإنجيلي[١٦]، وفي الجماعة المسيحيّة الأولى، وفي كتابات الآباء وتعاليم الكنيسة، هي اسم ليسوع المسيح، وتعنيه هو نفسَه، كما

---

(١٥) ١ يوحنا ٤ / ٢.

(١٦) راجع : ١ يو ١ / ١؛ رؤ ١٩ / ١٣؛ لو ١ / ٢؛ رسل ٦ / ٢-٤.

تعني دورَه الخلاصي الفريد. هذه «الكلمة»، بمعانيها الإلهيّة، أعدَّ لها الوحيُ القديم[١٧]: إنّها قوّة فعّالة تحقّق مقاصد اللّه[١٨]؛ ويبعثها اللّه كرسولٍ حيّ[١٩]؛ ويسهر عليها من أجل أن يحقّقها[٢٠]. إنّها، فعلاً، تحقّق دائماً ما تبشّر به[٢١].

هذا المفهوم الديناميكي للكلمة لم يكن مجهولاً في الشرق القديم الذي كان يعطيها قوّة شبه سحريّة[٢٢]؛ ولا أيضاً مجهولاً عند الفلاسفة الإسكندريّين، الذين كانوا يشدّدون على دور الكلمة، أي «اللّوغوس»، في الخلق.

وكذلك أيضاً لم يرد، في أيّ مكان من البيبليا، القول بأنّ «كلمة اللّه» وُجِّهتْ إلى يسوع، كما كانتْ توجَّه إلى الأنبياء؛ بل كان يُقال دائماً إنّ المسيح هو نفسه «الكلمة»، أي «كلمة اللّه»[٢٣].

غير أنّ المسلمين، بالرّغم من إطلاق القرآن لفظة «الكلمة» على عيسى، لم يعطوها حقَّها، ولم يستخرجوا معانيها اللاّهوتيّة والروحيّة. ومع أنّ المفسّرين توقّفوا على اختلافات أهل التأويل فيها، لم يعودوا إطلاقاً إلى مصادرها الحقيقيّة :

---

(١٧) رَاجع : مثل ٨/٢٢-٣٦؛ حك ٧/٢٢-٣٠؛ سير ٢٤/٣-٣٢؛ أش ٥٥/١٠-١١.

(١٨) رَاجع : يشوع ٢١/٤٥؛ ٢٣/١٤؛ ١ ملوك ٨/٥٦.

(١٩) راجع : أشعيا ٩/٨؛ مز ١٠٧/٢٠

(٢٠) رَاجع : إرميا ١/١٢.

(٢١) رَاجع : عدد ٢٣/١٩؛ إشعيا ٥٥/١٠-١١.

(٢٢) راجع : معجم اللاّهوت الكتابي، مادّة : كلمة اللّه، ص ٦٦٢-٦٦٨.

(٢٣) رَاجع : يوحنّا ١/١، وتفاسير المفسّرين عليها، في إونجليون مثلاً.

قال **الطبري** في تفسـيره على (٣/ ٤٥): «بِكَلِمَةٍ مِـنْهُ»، إنّها تحمل معـان عدّة. «قيل: الكلمة هي قوله "كُنْ". وقـيل: سمّاه اللّهُ كلمتَه لأنّه كان عن كلمته. وقـيل: الكلمة هي إسم لعيسى سمّاه اللّه بها كما سمّى سائر خلقه بما شاء من الأسماء. وأقرب الوجوه إلى الصواب عندي القول الأوّل».

وقـال أيضاً في تفـسـير "وَكَلِمَـتُـهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَـرْيَمَ" (٤/ ١٧١): «يعني بالكلمة: الرسالة التي أمرَ اللّهُ ملائكتَه أن تأتي مريمَ بها، بشـارةً من اللّه لها. "وَكَلِمَـتُهُ" هو قوله: كـنْ فكان، "أَلْقَاهَا" يعني: أعلَمها بها وأخبرها وأوصلها اللّه إليها.

أمّا **الرازي** فقال بأنّ " بِكَلِمَةٍ مِنْهُ" « لها وجهان :

ألأوّل : لمّا لم يكن لعيـسى أبٌ، فلا جرم كان إضـافة حدوثه إلى الكلمة أكمل وأتم. فجُعل بهذا الـتأويل كأنّه نفس الكلمة؛ كما أنّ مَن غلب عليه الجود والكرم والإقبال، يقال فيه، على سبيل المبالغة، إنّه نفس الجود، ومحض الكرم، وصريح الإقبال. فكذا هـهنا.

والثـاني : إنّ السلطان الـعادل قـد يوصف بـأنّه ظلُّ اللّه في أرضـــه، وبأنّه نور اللّه، لِما أنّــه سـببٌ لظـهـور ظلِّ العـــدل ونورِ الإحسان؛ فكذلك كـان عيسى سبـباً لظهور كلام اللّه بســبب كثرة بياناته وإزالة الشبهات والتحريفات عنه؛ فلا يبعد أن يسمّى بكلمة اللّه تعالى على هذا التأويل».

ويقول **القرطبي** : إنّ "كَلِمَتهُ" تعني أنّ عـيسى مكوّن بكلمة "كُنْ"، فكان بشـراً من غـيـر أب. والعـرب تـسـمّي الشيء باسم

الشيء إذا كان صادراً عنه. وقيل: "كَلِمَتُهُ" بشارة اللّه تعالى مريم عليها السلام، ورسالته إليها على لسان جبريل (٣/ ٤٥). وقيل: "الكلمة" ههنا بمعنى الآية، نظيره قوله: "وصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ ربِّها" (٦٦/ ١٢)، "مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللّهِ" (٣١/ ٢٧). ومعنى "أَلْقاها إلى مريمَ"، أمرَ بها مريمَ[٢٤].

ويقول **ابن كَثِير** : "وكَلِمَتُهُ أَلْقاها إلى مريم"، أي: إنّ اللّه خلقَه بالكلمة التى أرسل بها جبريل إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربّه، فكان عيسى، وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها، فنزلت حتّى ولجتْ فرْجَها بمنزلة لقاح الأب والأم... ولهذا قيل لعيسى إنّه كلمة اللّه وروح منه، لأنّه لم يكن له أب تولّد منه، وإنّما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها "كن فكان"، والروح التي أرسل بها جبريل.

ويَنقل عن ابن يحيى قولَه في قول اللّه «وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ»، قال: ليس الكلمة صارت عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى. أي إنّ الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم فنفخ فيها بإذن اللّه فكان عيسى»[٢٥].

ويقول **محمّد عبده** في تفسيره «بكَلِمَةٍ مِنْهُ»: « في لفظ "كلمة" أربعة وجوه :

---

(٢٤) رَاجع : أبو عبدالله **القرطبي** (ت ٦٧١/ ١٢٧٢)، **الجامع لأحكام القرآن، والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وأحكام الفرقان.**

(٢٥) رَاجع : أبو الفداء إسماعيل **ابن كَثِير** (ت ٧٧٤/ ١٣٧٢)، **تفسير القرآن العظيم**.

أحـدها : أنّ المراد بالكلمـة كلمـة التـكوين، لا كلمـة الوحي.. فكلمة "كُنْ" (٣٦/ ٨٢) هي كلمة التكـوين. وإنّ كلّ شيء قد خُلق بكلمة التكوين. إلاّ أنّ عـيسى قد خُصّ بكلمـة التكوين هذه، وجُعِلَ كأنّه هو نفسُها مبالَغةً.

ألوجـه الثاني : أنّـه أُطلق على المسيـح للإشارة إلى بشـارة الأنبياء به. فـهو قد عُرف بكلمـة اللّه، أي بوحيه لأنبيـائه. والكلمة تُطلق على الكلام، كـقوله: «ولَقد سَبَـقَتْ كَلِمَتُنا لعِـبادِنا المرسَلين» (٣٧/ ١٧١).

ألوجه الثالث : أنّه أُطلق عليه لفظ الكلمة لمزيد إيضاحه لكلام اللّه الّذي حرّفـه قومُه اليـهودُ حتّى أخـرجوه عن وجهـه، وجعلوا الدين مادّياً مـحضـاً.. فكذلك كان عـيسى سبـباً لظهـور كلام اللّه بسبب كثرة بياناته له وإزالة الشبهات والتحريفات عنه.

ألوجه الرّابع : أنّ المراد بالـكلمة كلمة البـشارة لأمّه. فـقوله بكلمـة منه، معناه بخـبرٍ من عنده، أو بشـارة. وهو كقول الـقائل: "ألقى إلى فلان كلمـةً سرّني بها"، بمعنى: أخـبرني خبـراً فرحتُ به... هذا المبشَّر به "إسْمُهُ المَسِيْحُ عِيسَى".

أمّا **سيّد قطب** فيقول في تفسيـر «وكَلِمَتُه ألْقَاها إلى مَريمَ» : إنّ «أقرب تفـسير لهذه الـعبارة، أنّه سبـحانه، خلق عيـسى بالأمر الكوني المباشـر، الذي يقول عنه في مواضع شـتّى من القرآن: إنّه "كُنْ فَيَكُونُ" (٣/ ٥٩). فلقـد ألقى هذه الكلمـة إلى مريم فـخلق عيسى في بطنها من غير نطفة أب، كما هو المألوف في حياة البشر

غيـر آدم. والكلمــة التي تخلق كلّ شـيء من العدم، لا عــجب في أن تخلق عيسى في بطن مريم من النفخة التي يعبّر عنها».

وكذلك يفسّر **محمّد حسين فضل اللّه** «وَكَلِمَتُهُ»: «هي كلمة "كن" التكوينيّـة التي أُلقيتْ إلى مـريم البتـول المذكورة في قـوله تعالى: «إنَّ مَثَلَ عيسَى عندَ اللَّـهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرابٍ ثمّ قَالَ له كُنْ فيَكُونُ» (٣/ ٥٩). وتمثِّل مظهـرَ قدرةِ اللّهِ تعـالى وتعبِّـر عن إرادته من دون تخلل الأسباب الطبيعيّة.

وبالنتيجة، نقول : ليس من نبيٍّ أو رسـول يتكلّم عليه القرآن، اسـتـحقّ لقب «الكلمــة»، أو «كلمــة من اللّه»، إلاّ عـيـسـى المسـيح. ومــحمّـد نفـســه لم يلقَّب بذلك. ولقب " الكلـمة " ، كـمـا رأينا في مصادره البيبليّة، هو من الألقاب الرفيعة والسامية الذي يُطلَق على يسوع الـناصري؛ وفي مـصـادره الفلسـفيّة، هو «الـلوغوس»، أي العنصــر الإلـهيّ الأزلي الذي أوجده اللّه منذ الأزل، والذي كـان في أساس الكائنات كلّــها. لهذا كـان المسيح، وحده، في القـرآن، «كلمة اللّه».

***

٤ . **روح من اللّه. مرّة واحدة** : «إنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، **وَرُوحٌ مِنْهُ**» (٤/ ١٧١).

جـاء في مــعـجم اللاّهوت الكتـابي في مـادّة «روح» قــوله: «الروح أقـرب دائمــاً إلى الدلالة على العنـصر الجـوهري وغـيـر المحســوس في كائنٍ ما، وعلى ما يجـعله يحيا، ومــا يصدر عنه من

غيـر إرادته. وهو أكثـر شـيء يشكّل كيانه الذاتيّ، ولا يـستطيع أن يتحكّم هو فيه»[٢٦].

يَظهر «الروح»، في الوحي القديم، قوّةً إلهيّة تُحوِّل الشخصَ البشـريّ إلى شخصٍ جـديد، وتجعله جـديراً بتصـرّفاتٍ خـارقة، وتصنع منه كائناً مكـرَّساً للّه، ومقدَّسـاً. وتمنحه الحركةً والحـياةَ والوجودَ والخلود...

أمّا بالنسبـة إلى يسوع، فإنّ الروحَ لا يصنع منه شخـصيّةً جديدة. بل هـو يسكن فيه، وقـد منحه الوجـود من أوّل لحظةٍ من الحـبَل به، حـيث جـعلَ منه ابناً للّه. وحـدَه الروح عـمل في مـريم العذراء، فأصبح يسوع ليس فقط مكرَّساً للّه، وإنّما «قدّوساً» بذات كيانه[٢٧].

وفي كلّ حيـاته ومسلكه، يُظهـر يسوعُ عملَ الروح فـيه[٢٨]. ولم ينلْ أحدٌ الروحَ بقدر ما ناله هو، «بغـير حساب»[٢٩]. وكذلك لا نرى في يسوع أيَّ أثر لضغطٍ، قد نرجعـه إلى إلهام خارجيّ.. فهو لا يختبر الروح كـقوّة تأتيه من الخارج لتغمره، وإنّما طبـيعيًّا، هو في الروح، والروح فيه: فهو روحه الخاصّ[٣٠].

---

(٢٦) معجم اللاّهوت الكتابي، مادّة : روح، ص ٣٨٤.

(٢٧) رَاجع : لوقا ١/ ٣٥.

(٢٨) رَاجع : لوقا ٤/ ١٤.

(٢٩) يوحنّا ٣/ ٣٤.

(٣٠) رَاجع : يوحنا ١٦/ ١٤-١٥.

والقديس بولس لم يفصل ما بين المسيح، والروح، والحياة. يقول : «ألحياة للمسيحي «هي المسيح» (غل ٢ / ٢٠)، وهي أيضاً الروح (رو ٨/٢ و١٠). فمن يكون «في يسوع المسيح» (رو ٨/١) يسلك في سبل الروح (رو ٨/٥).

وهكذا، «بعد عهد الحرف الذي يُميت، يأتي عهد الروح الذي يُحيي (٢ قور ٣/٦). وبدل الخطيئة التي كانت تقتضي شريعةَ الجسد، تحلّ شريعة الروح والبرّ (رو ٧/١٨و٢٥؛ ٨/٢-٤). وبدل أعمال الجسد تظهر ثمار الروح (غل ٥/١٩-٢٣). وبدلاً من الإدانة التي كانت تثقّل على الخاطئ «شدّة الغضب الإلهي وضيقه» (رو ٢/٩)، يحلّ السلام والفرح بالروح (١ تس ١/٦؛ غل ٥/ ٢٢)».

«وشهد يوحنّا قال: «رأيتُ الروحَ نازلاً كحمامة من السماء. ثمّ استقرَّ عليه.. والذي أرسلني هو قالَ لي: مَن تَرى الروحَ يَنزل ويستقرُّ عليه، فذلك هو المعمَّدُ بروحٍ قُدُسٍ» (يو ١/٣٢-٣٣). تحدّد هذه الآية هويّة يسوع، وشخصيّتَه وعملَه الخاص؛ لأنّ الروح قد غمرَه هو وحدَه واستقرّ عليه[٣١].

أمّا المفسّرون المسلمون فكانوا دائماً يردّدون عبارة: «واختلف أهلُ التأويل في معنى الروح»؛ فلكأنّهم، بهذا الاختلاف، أقرّوا بعجزهم عن فهم مقصود القرآن بالروح :

---

(٣١) رَاجع : أش ١١/٢؛ ٤٢/١.

يقول **الطبري** في "وَرُوحٌ مِنه" : «إنّ أهل العلم اختلفوا في تأويلهم :

فقال بعضهم: ونفخة منه، لأنّه حدث عن نفخة جبريل في دِرْع[٣٢] مريم بأمر اللّه إيّاه بذلك، فنسب إلى أنّه روح من اللّه، لأنّه بأمره، كان. قال: وإنّما سُمِّي النفخ روحاً لأنّها ريح تخرج من الرّوح..

وقال بعضهم: إنّما معنى قوله: "ورُوحٌ مِنه" وحياة منه، بمعنى إحياء اللّه إيّاه بتكوينه.

وقال بعضهم: معنى قوله "ورُوحٌ مِنه"، أي: ورحمة منه.

وقال آخرون: معنى ذلك: وروح من اللّه خَلَقها فصوّرها، ثمّ أرسَلها إلى مريم، فدخلتْ في فِيها، فصيّرها اللّه تعالى روحَ عيسى.

وقال آخرون: معنى "الرّوح" ههنا، جبريل.

ثمّ ختم الطبري وقال : ولكلٍّ هذه الأقوال وجه ومذهب غير بعيد من الصواب.

أمّا **الرازي** فيقول في تفسير "ورُوحٌ مِنهُ" : في ذلك وجوه :

ألأوّل : أنّه جرت عادة الناس أنّهم، إذا وصفوا شيئاً بغاية الطهارة والنظافة، قالوا: إنّه روح. فلمّا كان عيسى لم يتكوّن من

---

(٣٢) درع المرأة: قميصها الذي يحميها من أعين الناظرين، كما تحمي الدرعُ لابسَها.

نطفة الأب، وإنّما تكوّن من نفـخة جبريل وُصف بأنّه روح. والمراد من قوله "مِنْهُ" ألتشريف والتفضيل، كما يُقال: هذه نعمة من اللّه.

ألثانـي : أنّه كان سبـباً لحـياة الخلق في أديانهـم. ومَن كان كـذلك وُصف بأنّه روح. قـال تعالى في وصـف القرآن: «وَكَـذَلِكَ أَوْحَيْنَا إليكَ رُوحاً من أمْرِنَا» (٤٢/ ٥٢).

ألثالث : روح منه، أي رحـمة منه... لمّا كان عيـسى رحمة من اللّه على الخلق، من حـيث أنّه كـان يرشـدهم إلى مـصالحـهم في دينهم ودنياهم، لا جرم سمّي روحاً.

ألرابع : أنّ الروح هو الـنفخ في كـلام العــرب. فـإنّ الروح والريح متقاربان. فالروح عبـارة عن نفخة جبريل. وقوله: "مِنْهُ" يعني أنّ ذلك النفخ من جبريل كـان بأمر اللّه وإذنِه، فهو منه. وهذا كقوله: «فَنَفَخْنَا فِيها مِن رُوحِنا» (٢١/ ٩١).

ألخامس : قوله: "رُوح"، فـي صيغة النكرة، يفيـد التعظيم. فكان المعنى: وروحٌ من الأرواح الشريفـة القدسيّة العـالية. وقوله: "مِنْهُ" إضافة لذلك الروح إلى نفسه لأجل التشريف والتعظيم.

وكذلك يجد **الطبرسي** في تعبير "ورُوحٌ مِنهُ" أقوالاً عدّة :

أحدها : أنّه إنّما سمّاه روحاً لأنّه حدث عن نفخة جبرائيل في درع مريم بأمـر اللّه تعالى، وإنّما نسـبُه إليه كان بأمـر، وقيل: إنّه إضافة إلى نفسه تفخيماً لشأنه.. وقد يسمَّى النفخ روحاً.

والثاني : أنّ المراد به يُحـيي به الناسَ في دينهم كما يحـيون

بالأرواح. فـيكون المعنى أنّه جـعله نبيّـاً يُقـتدى به ويُسـتنّ بسنّتـه ويُهتدَى بهداه.

والثالث : أنّ معناه إنســان أحياه اللّه بتكوينه بلا واسطة من جماع أو نطفة، كما جرت العادة بذلك(٣٣).

والخامس : أنّ معناه روح اللّه، من اللّه خلقــها، فصوّرها، ثمّ أرسلها إلى مريم، فدخلتْ في قلبها، فصيّرها اللّه تعالى عيسى.

والســادس : أنّ معنى الروح هاهنا جـبـرائيل، فتكون عطفـاً على ما في ألقاها من ضمير ذكر اللّه، وتقديره ألقاها اللّه إلى مريم وروح منه، أي من اللّه، أي جبرائيل ألقاها أيضاً إليها.

أمّا **البيـضاوي** فـيقـول إنّ تعبـيـر "ورُوحٌ مِنهُ"، يعني أنّه (عيسى) كـسائر الأرواح التي خلقها اللّه تعالى، وإنّمـا أضافه إلى نفسه على سبيل التشريف والتكريم، كما يقال بيت اللّه وناقة اللّه. وهذه نعمة من اللّه يعني أنّه تفضّل بها..

ثمّ يقدّم الـبيضــاوي ما قاله بـعض المفسّرين فـيقـول قولاً طريفاً : إنّ اللّه تعالى، لمّا خلق أرواح البـشر، جعلها في صلب آدم، وأمسك عنده روحَ عـيسى. فلمّا أراد اللّه أن يخلقـه، أرسل بروحه مع جبريل إلى مريم، فنفخ في جيب درعها، فحملت بعيسى(٣٤).

---

(٣٣) والرابع : أنّ معناه "ورحمة منه"، أي برحمة منه. فجعل اللّه عيسى رحمة على مَن آمن به واتّبعه، لأنّه هداهم إلى سبيل الرشاد.

(٣٤) رَاجع : **البيضاوي** (ت ٦٨٥/١٢٨٦)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل.**

وأمّا **القرطبي** فيقول في تفسير "ورُوحٌ مِنهُ": «هذا الذي أوقع النصارى في الإضلال، فقالوا: عيسى جزء منه، فجهلوا وضلّوا». ثمّ يردّد ما قاله سابقوه.

ويضيف **الأندلسي** في تفسير "ورُوحٌ مِنهُ" على ما قاله المفسّرون قوله : «قيل: سمّي روحاً لإحياء الناس به، كما يحيون بالأرواح. ولهذا سمّي القرآن روحاً. وقيل: المعنيّ بالروح هنا الوحي، أي: أوحي إلى جبريل بالنفخ في درعها، أو إلى ذات عيسى أنْ "كُنْ".

ويقول أيضاً: «"مِنْهُ" هنا لابتداء الغاية، وليست للتبعيض، كما فهمه نصرانيّ، فادّعى أنّ عيسى جزء من اللّه تعالى. فردّ عليه علي بن الحسين بن وافد المروزي، حين استدلّ النصراني بأنّ في القرآن ما يشهد لمذهبه، وهو قوله: "وروحٌ منه"، فأجابه المروزي بقوله: "وَسَخَّرَ لكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضَ جَميعاً مِنْه" (١٣/٤٥). وقال: إنْ كان يجب بهذا أن يكون عيسى جزءاً منه، وجب أن يكون «مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضَ» جزءاً منه. فانقطع النصراني وأسلم[٣٥]

وجاء عند **القاسمي** في تفسير "وروحٌ منه": أي: بتخليقه وتكوينه، كسائر الأرواح المخلوقة. وإنّما أضافه إلى نفسه على سبيل التشريف والتكريم.

---

(٣٥) رَاجع : **ابو حيّان الأندلسي** (ت ٧٤٥/ ١٣٤٤)، **البحر المحيط**.

وقيل: ألروح هو نـفخ جبريل في جـيب درع مريم، فـحملتْ بإذن اللّه..

وقيل: سمّي روحاً لإحيائه الموتى بإذن اللّه..

وقيل: لإحيائه القلوب، كما سمّي به القرآن..

وقيل: أريد بالروح الوحي الذي أوحي إلى مريم بالبشارة..

وقـيل: جـرت العـادة بأنّهـم إذا أرادوا وصف شيء بغـاية الطهـارة والنظافة، قـالوا: إنّه روح. فلمـا كان عـيسى مـتكوّناً من النفخ، لا من النطفة، وُصف بالروح[٣٦]..

ويردّد **محمّد عبده** أقوال مَن سبقه، ويؤكّد أنّ المراد بالروح هنا النفخ، أي نفْخ المَلَك بأمـر اللّه في مريم. فـإنّه استُعـمل بمعنى النّفخ والنّفَس الذي ينفخ. والـروح الذي يحيـا به الإنسانُ مـأخوذ من اسم الريح.. كما أنّ اسم النّفْس من النَّفَس.

والمعنى الجامع: أنّ الروح هو ما به الحياة. والحـياة قسمان: حسّـيّة ومـعنويّة. فالأُولى مـا به يشعـر الإنسان ويدرك ويتـفكّر ويتذكّر؛ والثـانية ما به يكون رحيماً حكيـماً فاضلاً محِبّـاً محبوباً نافعاً. وقد سمَّى اللّهُ الوحيَ روحاً، فقال لرسوله: "وكذلك أوحينا إليكَ روحاً من أمرِنا" (٤٢/ ٥٢)، وقال: "يُنَزِّلُ الملائكةَ بالرّوحِ من أمرِه على مَن يشاءُ من عبادِه" (١٦/ ٢). وكلا المعنيين متحقق في عيسى على وجه الكمال. فلهذا جوّزنا الوجهين.

---

(٣٦) رَاجع: **القاسمي** (ت ١٣٣٣/ ١٩١٤)، **محاسن التنزيل**.

أمّا **سيد قطب** في تفسيره لـ "وَرُوحٌ مِنْهُ"، فيردّ على النصارى الذين ألّهوا عيسى بسبب أنّه «روح»، ونسوا ما قاله اللّه عن خلق آدم: "فإذا سَوَّيتُه وَنَفَخْتُ فيه من روحي" (**٣٨**/ ٧٢)؛ وكذلك قال في قصّة عيسى: "والتي أحصنتْ فرجَها فَنَفَخْنَا فيها من روحِنا" (**٢١**/ ٩١). فالأمرُ، إذاً، له سابقة.. والروح هنا هو الروح هناك.. ولم يقل أحدٌ من أهل الكتاب أنّ آدم إله، ولا أقنوم من أقانيم الإله، كما قالوا عن عيسى مع تشابه الحال من حيث قضيّة الروح والنفخة، ومن حيث الخلقة كذلك. بل إنّ آدم خُلق من غير أب وأم، وعيسى خُلق مع وجود أم.

ويقول أيضاً: «وليس الروح، في الآية، تعبيراً عن الجزء الإلهي، أو الحقيقة الإلهيّة؛ لأنّ طبيعة اللّه لا تتجزّأ، فهي بسيطة كلّ البساطة، ولا يمكن أن تنتقل من مكان إلى آخر، بل المراد بهما مظهر قدرة اللّه وسرّ إبداعه، في ما أفاضه على جسد آدم الهامد الجامد الخالي من الروح، كما أفاضها على مريم الخالية عن أسباب الولادة الطبيعيّة.

نخلص ونقول: بالرغم من إجماع المسلمين على إنكارهم أهمّيّة لقب القرآن لمصدر عيسى الإلهي في قوله بأنّه «روح منه»، أي من اللّه، نحن لا نعرف نبيًّا، ولا حتّى محمّداً نفسَه، استحقّ هذا اللّقب الذي أطلقه القرآن على عيسى. فهل يكون عيسى من طبيعة الأنبياء وهو يختلف عنهم من حيث مصدره؛ أم يكون من غير طبيعتهم؟ وما هي هذه الطبيعة فوق النبويّة، أي فوق البشريّة؟

أتكون ملائكيّة أم إلهيّة؟ يبدو أنّها إلهيّة، لأنّها «روح منه»، أي من اللّه. وهي كذلك بشهادة القرآن نفسه.

***

٥ . **غُلاَماً زَكِيًا**: «قال (روحُ اللّه؟): إنّما أنَا رسُولُ رَبِّكِ لأهَبَ لَكِ غُلاَماً زَكِيًّا» (**١٩**/ ١٩).

بحسب **الطبري** «زَكِيًّا» أي : «طاهراً من الذنوب».

وبحسب **الرازي** : «الزكي يفيد أموراً ثلاثة : الأوّل : أنّه الطاهر من الذنوب؛ والثاني : أنّه ينمو على التزكية، لأنّه يُقال في مَن لا ذنب له زكي، وفي الزرع النامي زكي؛ والثالث : النزاهة والطهارة في ما يجب أن يكون عليه، ليصحّ أن يُبعَث نبيًّا.

سمّاه زكيًّا مع أنّه لم يكن له شيء من الدنيا.. ومن لم يملك شيئاً فهو شقيّ.. وإنّما الزكي مَن يملك المال. واللّه يقول: كان زكيًّا، لأنّ سيرته الفقر، وغناه الحكمة والكتاب. وأنت تسمّي بالزكي مَن كانت سيرته الجهل وطريقته المال».

البيضاوي : زكيًّا : طاهراً من الذنوب، أو نامياً على الخير، أي مترقيًّا من سنّ إلى سنّ على الخير والصلاح؛ مثل قول الإنجيل: «وكان الولَد يكبر، ويَقوى، ويمتلئ حكمة. وكانت نعمةُ اللّهِ عليه»[٣٧].

---

(٣٧) لوقا ٢/ ٤٠؛ «وكان يسوعُ يتسامى حكمةً، وقامةً، وحظوةً عند اللّه والناس» (لوقا

الخازن : غلاماً زكيًا، أي: ولداً صالحاً طاهراً من الذنوب[٣٨].

النسفي : زكيًا : طاهراً من الذنوب، أو نامياً على الخير والبركة[٣٩].

الفيروزبادي: غلاماً زكيًا، أي: ولداً صالحاً[٤٠].

الطبرسي : غلاماً زكيّاً، أي : ولداً طاهراً من الأدناس. وقيل: نامياً في أفعال الخير. وقيل: يريد نبيًا.

المراغي : زكيًّا، أي طاهراً من الأدناس والأرجاس.. طاهراً مبرّأً من العيوب.

الألوسي : «إنّ الغلام مِن الملاك، فهو الذي يهب لا اللّه. ولو كان اللّه لقال: ليَهَبَ لكِ». ولكنَّ الأصوب أن يكون «روحُنا» روحَ اللّه، أكثر من أن يكون الملاك. وبذلك يكون الغلام من روح اللّه، أي روح القدس.

و زكيًا، طاهراً من الذنوب. وقيل: نبيًا. وقيل: نامياً على الخير، أي مترقّياً من سنٍّ إلى سنّ على الخير والصلاح. فالزكا شامل للزيادة المعنويّة والحسّيّة.

نخلص ونقول: نحن لا نعرف في القرآن نبيًا، ولا حتّى محمّداً نفسَه، استحقّ أن يكون «زكيًا» مثل ما قال القرآن عن

٢/ ٥٢)؛ رَاجع قوله: «وكان الطِّفلُ يكبُرُ، وروحُه تتقوّى» (لو ١/ ٨٠).

(٣٨) رَاجع : أبو الحسن علي **الخازن** (ت ٧٤١/ ١٣٤٠)، **اللّباب في معاني التنزيل**.

(٣٩) رَاجع : **النسفي** الحنفي (ت ٧١٠/ ١٣١٠)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**.

(٤٠) رَاجع : **الفيروزابادي** (ت ٨١٧/ ١٤١٤)، **تنوير المقياس في تفسير ابن عبّاس**.

عيسى، منذ مولده. فهل يكون عيسى، بهذه الصفة «الزكيّة» من جبلة الأنبياء؛ أم يكون من غير جبلتهم؟ وما هي هذه الجبلة فوق النبويّة، أي فوق الإنسانيّة؟ أتكون إلهيّة. وهي كذلك بشهادة القرآن نفسه؛ علماً بأنّ القرآن يعترف بالبرّ والزكا لمن جاهد وناضل واستحقّ، لا لمن لم يعمل ولم يجاهد، ولم يستحقّ.

هذا ويعترف محمّد في حديث له أنّ عيسى نجا منذ صغره من لمزات الشيطان وتجاريبه، ولا يد للشيطان عليه، ولا على أمّه.

***

٦ . **آية** : «وَلْنَجْعَلْهُ آيَةً للنَّاسِ» (**١٩**/ ٢١)؛ «وَجَعَلْنَاها وَابْنَها آيَةً للعَالَمِين» (**٢١**/ ٩١)؛ «وَجَعَلْنَا ابنَ مريمَ وأمَّهُ آيَةً» (**٢٣**/ ٥٠).

يسوع المسيح في الإنجيل هو الآية الكبرى (يو ١٢/ ٣٣)، التي تحقّقت في ارتفاعه على الصليب وارتفاعه إلى المجد، ليجمع شمل المشتّتين (يو ١١/ ٥٢)، ويخلّص العالم من إبليس؛ ليبقى هو الآية الوحيدة على مدى الدهر، وإلى آخر الأزمنة (متى ٢٤/ ٣).

أمّا عيسى القرآن فقد جعله اللّهُ «آيةً» للناس، أي علامة وحجّة وبرهاناً ودلالة وعبرة لهم. إنّه «آية» لأنّه يتوجّب عليهم اتّباعه والاقتداء به. «الآية» في القرآن هي من اللّه، يأتي بها اللّه نفسه[٤١]. وهو الذي «جعلها». وإذا كان كلّ شيء في القرآن «آية»

---

(٤١) ترد لفظة «آية» في مختلف صيغها أكثر من ٤٣٠ مرّة في القرآن.

من آيات اللّه؛ غـير أنّ أحـداً من البـشر لم يسـمّه القـرآن «آية» إلاّ عيسى وأمّه مريم، دون سواهما من البشر.

قال **الطبري** في مـعنى «وَلْنَجْـعَلْهُ آيَةً للنَّاسِ» : كي نجعل الغلام الذي نهبه لك علامةً وحجّة على خلقي أهبه لك.

وقال **الرازي** : إنّ لفظة «آية» تحتمل وجهَين : الأوّل أن تكون راجعة إلى الخلق، أي أنّ خلْقـه عليّ هيّن، ولنجعل خلقه آية للناس، إذ وُلد من غير ذَكَر.. والثاني أن ترجع إلى الغلام، وذلك لأنّ مريم، لمّا تعجبت من كيفيّة وقوع هذا الأمر، على خلاف العادة، أُعلِمتْ أنّ اللّه تعالى جاعل ولدها آية على وقوع ذلك الأمر الغريب.

ويقول **الخازن** و **النسفي** و **الفيروزبادي** و **البيضاوي** : آية للناس، أي علامة لهم، وبرهاناً علـى قدرتنا، ودلالة لبني إسرائيل، ولداً بلا أب.

ويقول **إبن كـثيـر**: ولنجـعله آية للناس، أي دلالة وعلامـة للناس على قـدرة بارئهم، وخـالقهم الذي نوّع فـي خلقهم، فـخلق أباهم آدم من غـيـر ذكَر ولا أنثى، وخلق حـوّاء من ذكـر بلا أنثى، وخلق بقيّـة الذرّيّة من ذكر وأنثى إلاّ عيسى، فـإنّه أوجده من أنثى بلا ذكر، فـتمّت القسـمة الرباعيّـة الدالّة عن كمـال قدرته، وعظيم سلطانه، فلا إله غيره ولا ربّ سواه.

ويقول **الطبرسي** : ولنجـعله آية للناس، مـعناه : ولنجـعله علامة ظاهرة وآية باهرة للناس على نبوّته ودلالة على براءة أمّه.

ومع كلّ هذه التفاسير، فنحن لا نعرف نبيًّا، ولا حتّى محمّداً نفسَه، استحقّ أن يكون «آية للناس»، أي حجّةً وبرهاناً ودلالةً وقدوةً وعلامةً ظاهرةً وآيةً باهرةً وعبرةً عظيمة لأحدٍ من البشر. هذا اللقب الذي أطلقه القرآن على عيسى، منذ مولده، وقبل أن يستحقّه بأعماله و«نبوّته»، هل يكون لقباً إلهيًّا؟ إنّه كذلك بشهادة القرآن نفسه، إذ يعتبر القرآنُ عيسى وأمَّه آية واحدة من آيات اللّه: «فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنَها آيةً للعالمين» (**٢١**/ ٩١)؛ «وجعلنا ابنَ مريم وأمَّه آية» (**٢٣**/ ٥٠).

وآيات القرآن هي نفسها كلام اللّه. إنّها أزليّة كاللّه، صادقة وفاعلة بقوّة ذاتها. وآيات القرآن ليست معجزاتٍ في ذاتها فحسب، ولا تدلّ على معجزات؛ بل هي معجزات بحدّ ذاتها، من حيث مبدإها ودلالتها ووجودها. وعيسى من طراز هذه الآيات.

***

٧. **وَرَحْمَةً مِنَّا**: «ولنجعله آية للنّاس وَرَحْمَةً مِنَّا» (**١٩**/ ٢١): والرحمة هي الصفة المألوفة للّه: إنّه «رحمن رحيم»[٤٢]، و«غفور رحيم»[٤٣]، و«توّاب رحيم»[٤٤]، و«ذو رحمة واسعة» (**٦**/ ١٤٧)، و«خير الراحمين» (**٢٣**/ ١١٨).

---

(٤٢) «رحمن رحيم» تعبير يرد في البسملة، وفي حوالي ٦٠ مرّة..

(٤٣) ٢/ ١٧٣ و١٨٢ و١٩٢ و١٩٩ و٢١٨ و٢٢٦، ٣/ ٣١ و٨٩ و١٢٩؛ ٤/ ٢٥؛ ٥/ ٣ و٣٤ و٣٩ و٧٤ و٩٨؛ ٦/ ٥٤ و١٤٥ و١٦٥؛ ٧/ ١٥٣ و١٦٧ إلخ...

(٤٤) ٢/ ٣٧ و٥٤ و١٢٨ و١٤٣ و١٦٠...

هذه الرحمة هي عمل اللّه في المؤمنين؛ لكنّ عيسى هو وحدَه «رحمة من اللّه»؛ وليس أحد سواه قيل عنه ذلك. فكما أنّ اللّه هو رحمن رحيم، فكذلك عيسى هو «رحمة»، أي مثل اللّه رحمن رحيم. هكذا فهم المفسّرون هذا القول:

قال **الطبري** : ورحمة منّا لكِ، ولمن آمن به وصدّقه.

وكذلك قال **البيضاوي** و **النسفي** و **القرطبي** : ورحمة منّا: لمن آمن به .

وقال **الرازي** : إنّ قوله «ورحمة منّا» يحتمل أن يكون معطوفاً على «ولنجعله آية للناس»، أي فعلنا ذلك رحمة منّا. ويحتمل أن يكون معطوفاً على الآية أي (ولنجعله آية ورحمة) فعلَنا ذلك. ورحمة منّا يرحم عبادنا بإظهار هذه الآيات حتّى تكون دلائل صدقه أبهر، فيكون قبول قوله أقرب.

الفيروزبادي : ورحمة منّا تعني: على العباد أن يهتدوا بإرشاده.

الخازن : ورحمة منّا أي ونعمة لمن تبعه على دينه إلى بعثة محمّد.

إبن كثير : ورحمة منّا، أي ونجعل هذا الغلام رحمة من اللّه نبيًا من الأنبياء، يدعو إلى عبادة اللّه تعالى وتوحيده.

الطبرسي : ورحمة منّا: له ولنجعله نعمة منّا على الخلق يهتدون بسببه.

القاسمي : ورحمـة منّا أي عليكِ بهذه الكرامـة، وعلى قومك بالهـداية والدعـاء إلى عـبادة اللّـه وتوحيـده، فـيـهتـدون بهـديه ويسترشدون بإرشاده.

الشوكـاني : ورحمـةً منّا: معطوف على «آية»، أي ولنـجعله رحمـة عظيمة كـائنة منّا للناس لما ينالونه منه من الهداية والخـير الكثير، لأنّ كلّ نبيّ رحمة لأمّته[٤٥].

حسين فـضل اللّه : ورحمـة منّا في ما نريد أن نـعدَّه له من دور في حـمْل الرســالة للناس، وفي رفع مـســتـواهم الروحي والفكري والحياتي...

وبالنتـيجـة نقول : بالرغـم من كلّ هذه التفـاسيـر، نحن لا نعرف نبيًا، ولا حتّى محمّد نفـسه، استحقّ هذه الصفة التي أطلقها القرآن على عيـسى، منذ مولده. بل إنّ محمّـداً أُرسِل، في نبوّته، لا منذ مولده، رحمة للعالَمين (٢١/١٠٧)، «للرحـمة»، بحسب تفسير الجلالَين وغيـرهما. وليس هو في ذاته، كعيـسى، «رحمة من» اللّه. فهل يكون عيسى، بهذه «الرحمة» الإلهيّة من طبيعة الأنبياء؛ أم من طبيعة «اللّه الرحمن الرحيم»؟ إنّها كذلك بشهادة القرآن نفسه.

***

٨. «وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَالآخِرَة» (٣/ ٤٥):

الطبري : يعني: «ذا منزلة عالية عند اللّه وشرف وكرامة».

---

(٤٥) راجع : **محمّد الشّوكاني** (ت ١٢٥٠/١٨٤٣)، **فتح القدير**.

الرازي : معنى الوجيه: ذو الجاه والشرف والقدر. وفي ذلك ثلاثة أقوال: الأوّل : قال الحسن: كان وجيهاً في الدنيا بسبب النبوّة، وفي الآخرة بسبب علو المنزلة عند اللّه تعالى؛ الثاني : إنّ عيسى عليه السلام، فهو وجيه في الدنيا بسبب أنّه يُستجاب دعاؤه ويُحيي الموتى، ويُبرئ الأكمه والأبرص، بسبب دعائه؛ ووجيه في الآخرة بسبب أنّه يجعله شفيعَ أمّتِه المحقّين، ويقبل شفاعتهم فيهم، كما يقبل شفاعة أكابر الأنبياء عليهم السلام؛ والثالث: أنّه وجيه في الدنيا بسبب أنّه كان مبرّأً من العيوب التي وصفه اليهود بها؛ ووجيه في الآخرة بسبب كثرة ثوابه وعلوّ درجته عند اللّه تعالى...

محمّد عبده : معناه أنّه يكون ذا وجاهة وكرامة في الدارَين... إنّ كون المسيح ذا جاه ومكانة في الآخرة ظاهر. وأمّا وجاهته في الدنيا فهي قد تكون موضع إشكال لِما عُرِف من امتهانِ اليهودِ له ومطاردتِهم إيّاه على فقره وضعف عصبيّته.

والجواب عن ذلك سهلٌ وهو أنّ الوجيه في الحقيقة مَن كانت له مكانة في القلوب، واحترام ثابت في النفوس. ولا يكون أحد كذلك حتّى يكونَ له أثرٌ حقيقيٌّ ثابت، من شأنه أن يدوم بعده زمناً طويلاً أو غير طويل. ولا يُنكِرُ أحدٌ أنّ منزلة المسيح في نفوس المؤمنين به كانت عظيمةً جدًّا، وأنّ ما جاء به من الإصلاح هو من الحقِّ الثابت. وقد بقي أثره بعده.

فهذه الوجاهة أعلى وأرفع من وجاهة الأمراء والملوك الذين

يُحتَرمون في الظواهر لظلمهم، واتّقاء شرهم، والتزلّف إليهم، رجاء الانتفاع بشيء ممّا في أيديهم من عرض الحياة الدنيا...

ويقول **حسين فضل اللّه** : «يفيض الملائكة الحديث عن صفاته (عيسى)، للإيحاء بأهمّيّة هذا المولود، وما يحقّقه للحياة من خير وبركة، وما يمنحه لأممهم من شرف ورفعة : «وجيهاً في الدنيا» فستكون له الوجاهة في الدنيا من خلال موقعه الرسالي في ما يثيره من قضايا ومواقف، ومن خلال إيمان الناس بنبوّته ورسالته، وتبجيلهم وتقديسهم له، «والآخرة» وسيحصل على الوجاهة في الآخرة في ما يرفعه اللّه من درجات جزاءً لجهاده وتضحياته وآلامه القاسية التي تحمّلها في سبيل اللّه.

هذه الوجاهة تفرّد بها عيسى في القرآن دون سائر الأنبياء والبشر. فهو كذلك، أي وجيهاً في هذه الدنيا بين البشر، وفي العالَم الآخَر بين الملائكة والقدّيسين. وليس في القرآن «وجاهة» إلاّ لعيسى وحده؛ وذلك لقربه من اللّه. لذا فهو، كما تكمّل الآية، «**مِنَ الْمُقَرَّبِينَ**».

***

٩ . «**وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**» (٣ / ٤٥). ومثلها قوله: «لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسيحُ أنْ يكونَ عبْداً للَّهِ، وَلا المَلائِكَةُ المُقَرَّبُونَ» (٤ / ١٧٢)، أي: ولا الملائكة أيضاً يتكبّرون ويأنفون أن يكونوا عبيداً للّه. مثلهم مثل عيسى: فكما هم ليسوا آلهة، ولا بنات اللّه، كما كان يقول بعض وثنيّي قريش، كذلك عيسى ليس ابناً للّه، كما يقول بعض

المسيحيّين؛ بل هو عبد. ولكنّه عبدٌ «مِنَ الْمُقَرَّبِين». غير أنّ أكثر «الْمُقَرَّبِين» إلى قلب أيٍّ شخصٍ آخر إنّما هو ابنُه، أو مَن هو بمنزلة الابن، الذي هو أكثر قربًا وقرابةً من سواه. وفي أمكنة أخرى أيضاً، يصف القرآنُ الملائكةَ بالمقرَّبين(٤٦).

يقول **الطبري:** أمّا قوله «وَمِنَ الْمُقُرَّبِينَ»، فإنّه يعني: أنّه ممّن يُقرّبه اللّه يومَ القيامة، فيُسكنه في جواره، ويُدنيه منه».

ويقول **الرازي** : أمّا قوله: «وَمِنَ الْمُقُرَّبِينَ» ففيه وجوه : أحدها: أنّه تعالى جعل ذلك كالمدح العظيم للملائكة، فألحقه بمثل منزلتهم ودرجتهم بواسطة هذه الصفة. وثانيها : أنّ هذا الوصف كالتنبيه على أنّه عليه السلام سيُرفع إلى السماء وتصاحبه الملائكة. وثالثها : أنّه ليس كلُّ وجيهٍ في الآخرة يكون مقرَّباً، لأنّ أهل الجنّة على منازلَ ودرجات.

ويقول **حسين فضل اللّه** : «وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ»، أي: وسيكون من المقرّبين إلى اللّـه، إنطلاقاً من قربه الروحي والفكري والعملي إلى اللّه في خشوع العبادة وخضوع العمل..

صفة القرب هذه جعلتْ من مسيح القرآن في درجةٍ من التمييز لم يستحقّها غيرُه. ومحمّد نفسه لم يصفه القرآن بمثل هذا القرب، ولم يميّزه عن غيره بمثل ما ميّز عيسى.

(٤٦) راجع: ٥٦/١١؛ ٨٣/٢١ و ٢٨.

ثانياً – معجزات مسيح القرآن

معـجزات مسـيح القرآن كثـيرة ومتنوّعـة. لم تكنْ لأحدٍ من الأنبيـاء، سواه. إنّهـا معـجزاتٌ من كلّ نوع: مـثل معجـزة الخلق، وشفاء المرضى، وإقامة الموتى، وعلم الغيب، وغيرها :

١ . **الخلق.** قال المسيح في القـرآن عن نفسه: «إنِّي أَخْلُقُ لكمْ مِنَ الطِّينِ كهيئَةِ الطَّيْرِ فَأنفُخُ فيهِ فيكونُ طيراً بإذنِ اللَّه» (**٣** / ٤٩)؛ وقال أيضاً :«إذْ قَـالَ اللَّهُ: يَا عِيسَى ابنَ مريمَ! اذكُـرْ نِعْمَتي عليكَ... إذْ تَخْلُقُ من الطِّينِ كَـهَيئَةِ الطَّـيرِ بإذْني، فتَنفخُ فـيها فـتكونَ طَيراً بإذْني» (**٥** / ١١٠).

يعلّق **ابن عربي** على ذلك في قوله: «ولم يضف (اللّه) نـفخاً في إعطاء الحياة لغير عيـسى، بل لنفسه تعالى». أي إنّ هذه القدرة على الخلق هي من خصائص اللّه وحـدَه، دون سواه، إذ هو وحدَه، بحسب القـرآن، «الخَلاَّقُ العَلِيم»[21]؛ و«خالِقُ كلِّ شيءٍ»[22]؛ «هُوَ اللَّهُ الخالِقُ البارئُ المصوِّرُ» ٥٩ / ٢٤)؛ و«هـل مِنْ خالِقٍ غيرُ اللَّه؟!» (**٣٥** / ٣). ثمّ يصف اللّهُ نفسَه : «نَحْنُ الخَالِقُون» (**٥٦** / ٥٩). واللّهُ أعلم لماذا صفـة الجمع هذه؟ وَمَن هم الذين يتّصفـون مع اللّه بهذه الصفة؟ أليس عيسى أحقُّ المحقِّين بذلك؟

صفـة الخلق هذه، كـما يبـدو في القرآن، أنعم بهـا اللّهُ على المسـيح وحـدَه؛ وحـتّى مـحمّـد، لم يكن لـه ذلك، مع أنّه، في نظر

---

(٢١) سورة الحجر ١٥ / ٨٦؛ سورة يس ٣٦ / ٨١.

(٢٢) سورة الأنعام ٦ / ١٠٢؛ الرعد ١٣ / ١٦؛ الزمر ٣٩ / ٦٢؛ غافر ٤٠ / ٦٢.

المسلمين، هو خير خلق اللّه وخاتم النّبيِّين والرسل؛ بل منع اللّهُ عن محمّد حتّى مجرّد أن يُعيد السمْع إلى الصمّ، كما يردّد القرآن ذلك: «فإنّكَ... لاَ تُسْـمِعُ الصـُّمَّ الدُّعَاءَ»[٢٣]. وهذا، طبعـاً، أهون عليه من الخلْق من العدم؛ ومع ذلك لم يكن له.

وكذلك تحدّى اللّهُ، في القرآن، البشـرَ وآلهة الأصنام جميعاً، أن يخلقـوا ولو ذبابةً: «إنَّ الَّذِيـنَ تَدْعُـونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُـوا ذُباباً، وَلَوِ اجْـتَـمَعُـوا لَهُ (أي لخلْقـه)» (**٢٢**/٧٣)؛ في حين أعطى المسيحَ القدرةَ على خلْقِ الطَّير.

يفسّر **الإمام مـحمّد عـبده** معجزةَ «خلْق» عـيسى الطيرَ من الطين بقوله: «مقتـضى مذهب الصوفيّة أنّ روحانيّـةَ عيسى كانت غالبةً على جثـمانيّته أكثر من سائر الـروحانيّين، لأنّ أمّه حملتْ به من الروح الذي تمثّـل لهـا بشـراً سـويّاً، فكـان تجـرّدُه من المادة الكثيفة للتصرّف بسلطان الروح من قبيل الملكة الراسخة فيه.

«وبذلك كان، إذا نـفخ من روحه في صورةٍ رطبـةٍ من الطين حلَّها الحـياةَ حتّى تهتزَّ وتـتحرّك. وإذا توجّه بروحانـيّته إلى روحٍ فارقتْ جسدَها أمكنه أن يستحضرَها ويعيدَ اتّصالَها ببدنها.

«ولكنّ روحـانيّة البـشر لا تصل إلى درجـة إحياء مَـن مات فصـار رميماً». وكـأنّه يريد أن يقول: هذا من شأن روحـانيّة اللّه. فهل يكون عيسى إلهاً؟

---

(٢٣) سورة الرّوم ٣٠/٥٢؛ رَاجع: ٢٧/٨٠؛ ٢١/٤٥؛ ٤٢/١٠؛ ٤٣/٤٠.

معــجزة الخلق هذه نعمة خـاصّة مميِّزة أحـدثها اللّه على يد عيسـى. وتعبير «بِإِذْنِ الـلَّه»، المكرّرة، لا يقلّل من أهمّيّة إتيانها على يده؛ بل تشير إلى أنّ أعمالَ عيـسى وحياتَه كلَّها كانت تحت هيمنة اللّه؛ لأنّه، وهو الذي وُلد بواسطة روح القدس، وعاش حـياتَه كلَّها تحتَ هيمنته، يستطيع أن يعملَ أعـمالَ اللّه. وليس سواه من البشر وُلد مثل ما وُلد، وعاش مثل ما عاش.

***

٢ . **النطق عند الولادة**. حين وَلدت مـريم ابنَها تناولهـا أبناءُ قومهـا بالتأنيب، ظنًّا منهم بأنّها حـملتْ به سَفاحاً. فـأشارتْ إليهِ ليكلّمهم، ويعلن براءَتها، فقال لها رؤساء اليـهود متعجِّبين : «كَيفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَـانَ في المَهـدِ صَبِـيًّا؟ قَـال: إنِّي عبـدُ اللَّه. آتَانِي الكِتَـابَ وَجَعَلَني نَبِيًّا» (١٩ / ٢٩–٣٠).

هذه القـدرة على النطـق عند الولادة لم تحـدثْ، في القـرآن، لأحدٍ من الأنبيـاء، ولا حتّى لمحمّد نفسه. إنّها ميزة مـسيح القرآن، تقرب المستحيلات في منطوق العالم.

***

٣ . **شفاء المرضى** : أللّهُ وحده، في القـرآن، يشفي المرضى، فـجاء علـى لسان إبراهيم الخـليل: «وَإِذا مَرِضْتُ فَـهُـوَ (أي اللّه) يَشْفِـينِي» (٢٦ / ٨٠)؛ وفي الحـديث الصحـيح، جاء على لســان محمّـد: «أللَّهُمَّ! لا شِفاءَ إلاَّ شِفَاءَكَ». أمّـا مسيح القرآن فـيقول عن

نفسه: «أُبْرِئُ الأكْمَهَ (أي مَن وُلد أعمى)، وَالأبرَصَ» (وهو، بحسب الطبري، مرض لا علاج منه يَضرب الجلد).

عيسى وحده، في القرآن، يَشفي الأمراض المستعصية على أنواعها. وليس أحدٌ سواه من الأنبياء يستطيع أن يقوم بهذه المهمّة المستعصية، التي هي من خصائص اللّه وحده. وعيسى، على ما يبدو، هو من اللّه، أو هو اللّه.

***

٤ . **إحياء الموتى** : أللّهُ وحده، في القرآن، يُحيي ويُميت، ولا يستطيع أحدٌ غيره أن يفعل ذلك. قال: «وإنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ. ونَحْنُ الوَارِثُونَ» (**١٥** / ٢٣)؛ وقال: «إنَّا نَحْنُ نُحْيِي الموتَى» (**٣٦** / ١٢)؛ وقال: «إنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ. وَإلَيْنَا المَصِيرُ» (**٥٠** / ١٢)؛ وقال: «هُوَ الذِي أَحْيَاكُمْ ثمَّ يُمِيتُكُمْ ثمَّ يُحْيِيكُمْ» (**٢٢** / ٦٦)؛ وقال: «لا إلهَ إلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ» (**٧** / ١٥٨).

هذه القدرة على إحياء الموتى لم تكن، في القرآن، بعد اللّه، إلاّ للمسيح وحدَه. فهو القائل عن نفسه بضمير المتكلِّم: «وَأُحْيِي المَوتَى بِإذْنِ اللَّهِ» (**٣** / ٤٩). هذا «الإذْن الإلهيّ» لم يُعطَ، في القرآن، لأحدٍ من النّبيّين، ولا حتّى لمحمّد نفسه. وحدَه المسيح أُعْطِيتْ له هذه القدرة الإلهيّة على إحياء الموتى.

***

٥ . **المسيح هو المتكلِّم عن نفسه لا اللّه.** المسيح هو الذي يقول عن نفسه بنفسه: «**إنّي** عَبدُ اللَّه» (**١٩** / ٣٠)؛ و «**إنّي أخْلُقُ**»

(٣/ ٤٩)؛ و «أُبْرِئُ الأكْمَـه والأبرَصَ» (٣/ ٤٩)، و «أُحْيِي الموتَى» (٣/ ٤٩)؛ و«أُنَبِّئُكُمْ بِمَا تأكُلونَ» (٣/ ٤٩)...

ألغـريب هنا في هذه الأقـوال هـو أنّ المسـيحَ نفسـه يتكلّم بضميـر المتكلِّم، ويقول عن نفسه مـا قال؛ لا كما كان يحـدث لمحمّد فيـقول اللّهُ له : «قلْ». وهذا الأمـر ورد في القرآن على لسـان اللَّه لمحمّـد أكثـر من ٣٣٠ مـرّة؛ في حين أنّ عيـسى أُعطي له أن يتكلّم بنفسه عن نفسه. وقد كانت له القدرة على فعل ذلك.

***

٦ . **العلم بالغـيب**. مـسـيح القرآن يـعلم الغـيب، فيـقـول : «وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تأكُلُونَ ومَا تَدَّخِرُونَ فِي بيُوتِكُمْ» (٣/ ٤٩). في حين أنّ اللّهَ وحـدَه، في القـرآن، يعلم الـغـيب. قـال: «لا يَعـلَمُ مَن في السمَواتِ والأرْضِ الغَيبَ إلاَّ اللَّه» (٢٧/ ٦٥)[٢٤].

ومحمّد نفسه، بالرّغم من كـونه خير خلق اللّه وخاتم النبّيين والرسل، في نظر المسـلمين، لا يعلم الغـيب أبداً. وهو مَن قـال: «لا أقولُ لـكُمْ عندِي خَزائنُ اللّه. وَلا أعلمُ الغَـيبَ» (٦/ ٥٠)[٢٥]؛ وقال أيضاً : «ولـو كُنتُ أعلمُ الغَيبَ لاسـتَكْثَرْتُ مِنَ الخَـيرِ، ومَا مَـسَّني السُّوءُ» (٧/ ١٨٨).

---

(٢٤) رَاجع : ٦/ ٥٩؛ ١١/ ١٢٣؛ ١٦/ ٧٧؛ ٣٥/ ٣٨؛ ٤٩/ ١٨؛ ٧٢/ ٢٦.

(٢٥) رَاجع سورة هود ١١/ ٣١.

٧ . **معجزة المائدة.** جاء في القرآن :

– إذْ قَالَ الحَـوَارِيُّونَ: يا عِيسَى ابنَ مَـرْيَمَ! هلْ يَستَطيعُ رَبُّكَ أنْ يُنَزِّلَ عَلَينا مائدَةً منَ السَّماءِ؟

– قالَ: اتَّقُوا اللّهَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمنِينَ.

– قَـالوا: نُريدُ أنْ نَأْكُلَ مِنْها، وَتَطْـمَئِنَّ قُلُوبُنا، وَنَعلَمَ أنْ قَـدْ صَدَقْتَنا، وَنَكونَ عليها مِنَ الشّاهِدِينَ.

– قـالَ عـيسَى ابنُ مَـريَمَ: أللّهُـمَّ رَبَّنا! أَنْزِلْ عَلَينا مـائدةً من السَّمَاءِ. تَكونُ لَنا عِيداً لأوَّلِنا وآخِرِنا، وَآيَةً مِنكَ، وارزُقْنَا وأنتَ خيرُ الرّازِقِينَ.

– قـالَ اللّهُ: إنِّي مُنَزِّلُهـا عَلَيكم. فَـمَنْ يَكْفُرْ بَعْـدُ مِنكُم فـإنّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لا أُعَذِبُهُ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ» (٥/ ١١٢–١١٥).

هذه المعجـزة الإلهيّـة، التي نزلتْ على طلبِ عيـسى من اللّه، مميَّزة وفـريدة من نوعـها، حتّى إنّ مَـن يكفر بهـا، بعد حـدوثها، فسوف يعذِّبه اللّه عذاباً شديداً. وهو تهديد شبيه بتهديد «مَن يأكلُ ويشرَبُ جسدَ الربّ، يأكلُ ويشرَبُ دَينونةً لنفسِه»[٢٦].

مثل هذه المعـجزة لم تحصل لأحدٍ من النّبيّـين. وحدَه المسيح طلبـها من الـلّه فكان له ما طلـب. وما طلبـه أصـبح عيـداً للأوّلين والآخِـرين، وآيةً إلهيّـة إلى مـدى الدهر، ورزقاً مـن عند اللّهِ خيـرِ الرازقين، ودينونةً أبديّة لمن يأكل منها من دون استحقاق.

---

(٢٦) راجع : ١ قورنتس ١١/ ٢٩.

٨ . **نزول عيسى في آخر الزمان:** «إذ قالَ اللَّهُ: يا عيسَى! إنّي مُتَوَفِّيْكَ ورَافِعُكَ إليَّ، ومُطَهِّرُكَ من الّذينَ كَفَروا» (٣ / ٥٥).

يقول **الطبري** عن معنى «وفاة» عيسى: «اختلف أهلُ التأويل في معنى الوفاة :

فقال بعضهم : "هي وفاة نوم". ورفعه اللّه في منامه..

وقال آخرون : معنى ذلك أنّي قابضك من الأرض فرافعك إليّ.. فيكون معنى الآية: إنّي قابضك من الأرض حيّاً إلى جواري، وآخذك إلى عندي بغير موت، ورافعك من بين المشركين وأهلِ الكفر.

في ذلك قال الورّاق: ليس بوفاة موت..

وقال كعب الأحبار: ما كان اللّه عزّ وجل ليُميتَ عيسى ابن مريم.. وليس من رفعتِه عندي ميتاً، إنّي سأبعثك على الأعور الدجّال فتقتله، ثم تعيش بعد ذلك أربعاً وعشرين سنة، ثمّ أُميتُك ميتةَ الحيّ. وذلك يصدِّق حديث رسول اللّه حيث قال: "كيف تهلك أمّةٌ أنا في أوّلها وعيسى في آخرها؟".

وقال آخرون: معنى ذلك إنّي متوفّيك وفاة موت. عن ابن عبّاس قال: إنّي مميتك.. وعن وهب بن منبه قال: توفّى اللّه عيسى ابن مريم ثلاث ساعات من النهار حتّى رفعه إليه.. وعن ابن إسحق قال: والنّصارى يزعمون أنّه توفّاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه.

وقال آخرون: معنى ذلك : ومتوفّيك بعد إنزالي إيّاك إلى الدنيا..

وعن أبي هُريرة قال: قال رسول اللّه: "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنّه لم يكن بيني وبينه نبيّ.. فإذا رأيتموه فاعرفوه: فإنّه.. يدقُّ الصليبَ، ويقتلُ الخنزيرَ، ويُفيضُ المالَ، ويقاتلُ الناسَ على الإسلام، حتّى يُهلك اللّهُ في زمانه المللَ كلَّها، ويُهلك اللّه في زمانه مسيحَ الضلالة الكذّاب الدجّال. وتقع في الأرض الأمنةُ، حتى تَرتعَ الأسودُ مع الإبل، والنّمرُ مع البقر، والذئابُ مع الغنم، وتلعبَ الغلمانُ بالحيّات، لا يضرّ بعضُهم بعضاً، فيثبت في الأرض أربعين سنة، ثمّ يتوفّى. ويُصلّي المسلمون عليه ويدفنونه".

ومعلوم، يقول الطبري، أنّه لو كان قد أماته اللّه عزّ وجل لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى فيُجمع عليه ميتتين، لأنّ اللّه إنّما أخبر عباده أنّه يخلقهم ثم يميتهم ثمّ يحييهم[٢٧]...

أمّا الطبري فيقول: أولى هذه الأقوال بالصحّة عندنا قول من قال: إنّي قابضك من الأرض ورافعك إليّ؛ وذلك لتواتر الأخبار عن رسول اللّه أنّه قال: "ينزل عيسى ابنُ مريم فيقتل الدجّال، ثم يمكثُ في الأرض مدّة. ثم يموت فيُصلّي عليه المسلمون ويدفنونه".

---

(٢٧) رَاجع: ٢/٢٨؛ ٢٢/٦٦؛ ٣٠/٤٠؛ ٤٥/٢٦..

وكذلك قال **الرازي**: «وَمَا قَتَلُوه يَقِيناً؛ بل رَفَعَهُ اللّهُ إليهِ» (٤/ ١٥٨): أي: وما قتلوا يقـيناً أنّه عيسى ولا أنّه غيـره؛ ولكنّهم كانوا منه على ظنّ وشبـهة.. فرفْعُ عـيسى إلى السمـاء ثابت بهذه الآية. ونظيـر هذه الآية قوله: «إنِّي مُـتَوَفِّـيكَ وَرَافِعُكَ إلَيَّ وَمُطَهِّـرُكَ مِنَ الّذينَ كَفَروا» (٣/ ٥٥). واعلم أنّ ذلك يدلّ على أنّ رفعه إليه أعظم في باب الثواب من الجنّة، ومن كلّ مـا فيها من اللّذات الجسـمانيّة. وهذه الآية تفتح عليك باب معرفة السعادات الروحانيّة.

ويقول **إبن كثير** في قوله تعالى «إنِّي مُـتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إليَّ» (٣/ ٥٥) : «المراد بالوفاة هـهنـا النوم، كما قـال تعالى: «وَهُوَ الذِي يَتَوَفَّاكُمْ باللَّيل» (٦/ ٦٠). وقال: «اللَّهُ يتوفَّى الأنْـفُسَ حِينَ مَوتِها وَالتِي لَمْ تَمُتْ في مَنامِها» (**٣٩**/ ٤٢). وكان رســول اللّه يقول إذا قام من النوم: «الحمد للّه الذي أحيانا بعد ما أماتنا»[٢٨].

ثم يسرد إبن كـثير الأحاديث الواردة في نزول عـيسى ابن مريم إلى الأرض في آخر الـزمان قبل يوم القيامـة، وأنّه يدعو إلى عبادة الـلّه وحده لا شريك له، قال: في «البـخاري.. عن أبي هُريرة قال: قال رســول اللّه: «والذي نفسي بيده لَيُـوشِكَنَّ أنْ ينزِلَ فيكم ابنُ مـريمَ حَكَماً عـدْلاً، فيَكْسِـرُ الصليبَ، ويَقـتُلُ الخنزيرَ، ويَضَعُ الجزْيَةَ، ويُفيضُ المالَ حتَّى لا يَقْبَلَهُ أحدٌ، وحتَّى تكونَ السَّجْدَةُ خيراً له مِنَ الدنيا وما فيها»[٢٩].

---

(٢٨) صحيح البخاري ٨/ ٨٥.

(٢٩) صحيح البخاري ٤/ ٢٠٥.

أمّا العلاّمة آية اللّه العظمى **محمّد حسين فضل اللّه** فيتساءل: «ما معنى الوفاة في قصّة عيسى عليه السلام؟». ويُجيب: «أمّا عيسى فإنّ اللّهَ أراد له أن لا يقع في قبضة الكافرين الذين جاؤوا به ليصلبوه وليقتلوه. وتحرّكت الإرادة الإلهيّة الخفيّة، في ما أعلنه اللّه لعيسى عليه السلام: «إذ قالَ اللّهُ يا عيسَى إنّي مُتَوَفِّيكَ».

«وحار المفسّرون في تحديد معنى هذه الكلمة. فهل تعني الموت، أم تعني بلوغ الحدّ الذي حدّده اللّه له في الأرض؟.. ذهب البعض إلى أنّ اللّه قبضه إليه بضع ساعات، ثمّ أحياه، وذهب آخرون إلى أنّ اللّه رفعه إليه من دون أن يقبض روحه، لأنّه سيعيش إلى نهاية الحياة الدنيا.

«إلاّ أنّ للوفاة معنى لا ينطبق على الموت، لأنّ التوفّي إنّما هو أخذ الشيء أخذاً تامًا.. ثمّ إنّ المراد برفعه إليه رفعُه بروحه وجسده حيًا إلى السماء، على ما يشعر به ظاهر القرآن الشريف.

ثمّ يفسّر فضل اللّه قوله تعالى عن أهل الكتاب: «وإنْ مِنْ أهلِ الكتَابِ إلاَّ لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوتِهِ. وَيومَ القيامَةِ يكونُ علَيهِمْ شَهيداً» (٤ / ١٥٩)، بما يقول المفسّرون عن عيسى: عندما يبعثه اللّه، أو يظهره في آخر الزمان، فيرونه رأي العين، فيواجهون الحقيقة في ظروف لا يمكنهم معها الإنكار..

أمّا **سيّد قطب** فكان له في قوله تعالى «يا عيسَى! إنّي متَوَفِّيْكَ ورَافِعُكَ إليَّ، ومُطَهِّرُكَ من الّذينَ كَفَروا» (٣ / ٥٥) رأي مخالف لآراء المفسّرين كافّة. يقول: «فأمّا كيف كانت وفاته؟ وكيف

كان رفعه؟ فهي أمور غيبيّة تدخل في المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلاّ اللّه. ولا طائل وراء البحث فيها، لا في عقيدة ولا في شريعة. والذين يجرون وراءَها، ويجعلونها مادّة للجدل، ينتهي بهم الحال إلى المراء، وإلى التخليط، وإلى التعقيد، دون ما جزم بحقيقة، ودون ما راحة بال في أمرٍ موكولٍ إلى علم اللّه».

خاتمة

إنّ هذه الألقاب والصفات الإلهيّة، والأسماء الخاصّة بالمسيح، والمعجزات العديدة والمتنوّعة التي لم تكن، في القرآن، لغير عيسى... لا تدلّ على ألوهيّة عيسى، كما يعتقد بها المسيحيّون؛ إنّما هي ألفاظ وتعابير مستوردة دون مضمونها الذي لها في اللاّهوت المسيحي.

لهذا، فنحن لا نستطيع أن نقولَ بأنّ القرآن يعترف بألوهيّة عيسى، أو ببنوّته للّه. عيسى لا يزال نبيًا وعبداً للّه، وإنْ بطريقة مميّزة. ويبقى، في رأي المسلمين، دون محمّد. بل كان يُعِدُّ الطريقَ لمحمّد. وعندما جاء محمّد "نسخ" ما جاء به عيسى. ولا تنتظر البشريّة نبيًا آخر سواه، ولا ديناً آخر غير الإسلام، ولا كتاباً منزلاً من عند اللّه غير القرآن.

ألفصل الخامس

نبوّة مسيح القرآن

نبـيّن في هذا الفـصل : نبوّة مـسـيح القـرآن، على أنّه نبيّ كسائر النّبيّين، والقائلين بألوهيّته كفّار مشركون. وهذا هو موقف المسلمين كافّة، منذ نشأة الإسلام حتّى اليوم وما بعد اليوم.

أوّلاً – مسيح القرآن نبيّ كسائر الأنبياء

في إنكار الألوهيّة عن عيسى، يتّـفق القرآنُ مع «النّصرانيّة» اتفاقـاً كاملاً؛ ويختلف عن «المـسيحيّـة» إختلافاً تامّـاً. بسبب ذاك الاتّفاق، قيل عن الإسلام بأنّه هو «النّصرانيّـة» المكّيّة كما كانت في أيّام مـحمّـد؛ وبسبب هذا الاخـتـلاف، قيل عن الإسـلام بأنّه دين توحيديّ ثالث، مستقلّ عن المسيحيّة، وفي حالة صراع دائم معها.

في إنكار ألـوهيّـة المسـيـح، حـذا القـرآن حـذو المصـادر النصرانيّة، حـتّى كاد يكون هو النصرانيّة المكّيّـة بعينها. وإن نحن نقارن بينهـما، نتأكّـد ممّا ورد فيهـما؛ بل يظهر لنا مـوقف القرآن الحقيقي من هويّة عيسى.

١ . ألمسيح في القرآن هو «عيسى ابن مريم» (٢/ ٧٨)[١]، «بشرٌ سويّ» (١٩/ ١٧)، وُلد كسائر الناس، وخلقه اللّه، كما خلَق آدم من تراب (٣/ ٥٩)، وإنْ بطريقةٍ معجزة (٣/ ٤٥)[٢].

وهو كذلك في النّصرانيّة: ألمسيح هو «يسوع ابن مريم»[٣]، و «بشر بين البشر»[٥]، وُلد كسائر الناس[٦]، وخُلق كآدم من تراب[٧]، ولكنْ بطريقة معجزة[٨].

٢ . ومع كون مسيح القرآن بشراً فهو نبيٌّ ورسولٌ «خَلَتْ مِن قَبلِه الرُّسل» (٥/ ٧٥)؛ بل هو أسمى من الأنبياء والرّسل، إذ آتاه اللّهُ البَيِّنات (٢/ ٨٧ و٢٥٣) وصنَعَ المعجزات.

والنَّصارى يقولون الشيء نفسه: ألمسيح «نبيٌّ أسمى من الأنبياء جميعاً، لأنّ فيه روحاً ملائكيًا»[٩]. لم يكن في البداية مسيحاً، بل «صار مسيحاً على الاصطفاء»[١٠]، لهذا فهم ينكرون

---

(١) ورد تعبير «ابن مريم» في القرآن ٢٣ مرّة؛ رَاجع مثلاً :٢/ ٢٥٣؛ ٣/ ٤٥؛ ٤/ ١٥٧ و١٧١؛ ٥/ ١٧ و٤٦ و٧٢ و٧٥ و٧٨ و١١٠ و١١٢ و١١٤ و١١٦؛ ٩/ ٣١؛ ١٩/ ٣٤؛ ٢٣/ ٥٠؛ ٣٣/ ٧؛ ٤٣/ ٥٧؛ ٥٧/ ٢٧؛ ٦١/ ٦ و١٤.

(٢) سورة آل عمران ٣/ ٤٥؛ سورة الأنبياء ٢١/ ٩١؛ سورة مريم ١٩/ ١٧.

(٣) Actes de St. Jean. Ev. de St. Pierre.

(٥) Justinien. Dialogue avec Triphon 28.9.

(٦) Origène, Contre Cels. 5/61.

(٧) Irénée, Contre les Hérésies, 3/26.

(٨) Origène. Contre Cels. 5/65.

(٩) Tertullien, Du Corps du Christ, 14/5.

(١٠) Justinien, Dialogue avec Triphon. 29/1.

ألوهيَّتَه؛ وينسبون إليه معجزات، مثل شفاء الأبرص والأعمى وإقامة الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير[١١].

٣. وفي القرآن أيضاً إنكار تامٌّ لألوهيَّة المسيح وبنوّته لله[١٢]، لأنّ الله لم يلد ولم يولد (٣/١١٢)؛ بل يقول بأنَّ المسيح «عبد الله» (٤/٧٠) و«من الملائكة المقرّبين» (٣/٤٥)؛ واللّهُ يستطيع أن يهلكه ساعة يشاء (٥/١٧).

وهو رأي صريح للشيعة الإبيونيّة Ebionisme من النَّصارى[١٣]، كما قال عنهم أبيفان: «إنَّ المسيح ليس مولوداً من الله الآب، بل مَخلوقاً، وهو أحد رؤساء الملائكة، المالك على الملائكة وعلى كل أعمال القدير»[١٤]. وقال أيضاً: «ليس المسيح، بنظرهم، سوى ملاك»[١٥]. إنّه «أوّل رؤساء الملائكة»[١٦]. وورد أيضاً في كتاب راعي هرمس: «إنَّ الله، لمّا أراد أن يخلق الملائكةَ المقرّبين من نارٍ على عدد سبعة، قضى أن يجعل أحدَهم ابنَه»[١٧].

---

(١١) Evangile arabe de l'enfance, 26/1-2.

(١٢) سورة المائدة ٥/١٧؛ سورة مريم١٩/٣١؛ سورة يونس ١٠/٦٨.

(١٣) الإبيونيّون شيعة نصرانيّة، من كلمة «إبيون»Ebione العبريّة، أي الفقير، من تبنّيهم قول المسيح: «طوبى للإبيونيّين»، أي للفقراء. وهم يهتمّون اهتماماً بالغاً بمساعدة الفقراء.

(١٤) Epiphane, Panarion, 30/4, 6.

(١٥) Irénée, PG. 1031-1O43.

(١٦) Origène, PG. 12,207-208. Justin, PG, 6, 773-778.

(١٧) Pasteur d'Hermas, 9/12, 7.

٤ . جاء في القرآن عن صلب المسيح وموته: إنّ المسيح لم يُقتل ولم يُصلب، بل وقعَ الشَبَه على الّذين قالوا بذلك (٤/ ١٥٧)، ومكرَ اللّهُ بهم وهو خَيرُ الماكِرين[١٨]. وينكر القرآن أيضاً أن يكون المسيح قام بقوّته من الموت، بل يقول بأنَّ اللّهَ هو الذي رفعه إليه (٤/ ١٥٨؛ ٣/ ٥٥). ولهذا ليس له أيُّ دورٍ في خلاصِ الإنسان وافتدائه، وليس على أيِّ إنسان أن يطلب شفاعتَه.

كذلك يعتقد الإبيونيّون من النّصارى بأنّ «المسيح، العنصر الإلهي، نزل على يسوع يوم عماده في الأردنّ، وفارقه قبل استشهاده»[١٩]، ويقولون أيضاً : «إنّ يسوع هو الذي صُلب عندما ارتفَعَ المسيحُ عنه قبل استشهاده. لقد فارق المسيحُ يسوعَ ابنَ مريم قبل موته على الصليب»[٢٠].

وبعضهم قال: «إنّ المسيحَ يمكنه أن يتحوّل برضاه من صورةٍ إلى صورة. فلهذا ألقى شَبَهَه على سمعان، فصُلب سمعان بدلاً منه، فيما هو ارتفع حيًّا إلى الذي أرسله، ماكِراً بجميع الذين مكروا، للقبض عليه، لأنّه كان غيرَ منظورٍ للجميع»[٢١]. و «ليس له، بالتالي، صفة الفادي والمخلّص»[٢٢].

---

(١٨) سورة آل عمران٣/ ٥٤؛ الرعد ١٣/ ٤٢؛ النحل١٦/ ٢٦...

(١٩) Irénée, Contre les Hérésies, 3/3, 4.

(٢٠) Actes de St. Jean, 99; Ev. de St. Pierre.

(٢١) Irénée, Contre les Hérésies, 1/24, 4; Epiphane, Panarion, 1/2.

(٢٢) Irénée, Contre les Hérésies, 3/33; 5/8.

ثانياً – تكفير القائلين بألوهيّة عيسى

ثمّة آيات كثيرة في القرآن تكفّر القائلين بألوهيّة عيسى، وتحكم عليهم بالهلاك الأبديّ؛ آيات تعتبر عيسى عبداً للّه، لا «ولداً» ولا «ابناً» ولا «ثالث ثلاثة»، ولا «أقنوماً» إلهيًا. نذكر منها :

١ . «يَا أهلَ الكتابِ! لا تَغلُوا فِي دينِكُمْ. وَلا تَقولُوا علَى اللَّهِ إلاَّ الحقَّ.. فآمِنوا باللّهِ ورسلِه. وَلا تقولوا ثلاثة. انْتَهُوا خَيراً لكم. إنَّما اللّهُ إلهٌ واحدٌ سبحانَهُ أن يكونَ لهُ وَلَدٌ. لهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ. وَكفَى باللَّهِ وَكيلاً» (٤/ ١٧١).

٢ . «لقد كَفَرَ الذين قَالوا إنّ اللّهَ هو المسيحُ ابنُ مريمَ. وقال المسيح... إنَّه مَن يُشْرِكْ باللَّهِ فقد حرَّمَ اللَّهُ عليه الجنَّة. ومأواهُ النَّار. وما للظالمِين منْ أنصار * لقد كَفرَ الذينَ قالُوا إنَّ اللَّهَ ثالثُ ثلاثة. ومَا مِن إلهٍ إلاَّ إلهٌ واحد. وإنْ لمْ يَنتَهُوا عمَّا يَقولونَ لَيَمَسَّنَّ الذينَ كَفروا منهم عذابٌ أليم. أفلا يَتوبون إلى اللَّه، ويَستغفرونَه؟ واللَّهُ غفورٌ رحيم * ما المَسيحُ ابنُ مريم إلاَّ رسولٌ قد خلتْ من قبْلِه الرُّسُل، وأمُّه صدِّيقةٌ كانا يأكُلانِ الطَعام. أنظر كيف نبيِّن لهم الآيات» (٥/ ٧٢–٧٥).

٣ . «لقد كَفَرَ الذينَ قَالوا إنَّ اللَّهَ هو المسيحُ ابنُ مريمَ. قلْ: فَمَن يملِكُ مِنَ اللَّه شَيئاً إنْ أرادَ أن يُهلِكَ المسيحَ ابنَ مريمَ وأمَّه ومَن في الأرْضِ جميعاً» (٥/ ١٧).

٤ . «وقَالتِ اليهودُ : عُزَيرٌ ابنُ اللَّه. وقالتِ النَّصارى (أي المسيحيّون) : المَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ. ذلك قَولُهم بأفْوَاهِهِمْ (لا مستند لهم

عليه. بل) يُضاهِئُونَ (يشابهون به) قولَ الذينَ كَفَروا مِنْ قَبْلُ (من آبائهم). قاتَلَهُمْ اللَّهُ أنَّى يُؤْفَكُونَ (يَنصرفون)» (**٩**/ ٣٠).

***

هذه الآيات وكثير سواها تنكر على المسيح أن يكونَ ابناً للّه؛ بل تكفّر الذين يقولون بذلك :

فقال: «مَا كانَ للّهِ أنْ يتّخذَ مِنْ وَلَدٍ. سُبْحَانَهُ» (**١٩** / ٣٥)؛

وقال: «سُبْحَانَهُ أنْ يَكونَ لَهُ وَلَد» (**٤** / ١٧١)؛

وقال: «إنَّمــا اللَّهُ إلهٌ واحدٌ. ســبحــانَه أنْ يكونَ لَهُ وَلَد» (**٤** / ١٧١)؛

وقال: «أنَّى يكون له وَلَدٌ ولمْ تكنْ له صَاحِبةٌ» (**٦**/ ١٠١)؛

وقال: «وَقَالُوا: اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً. سُبْحَانَه!» (**٢**/ ١١٦).

فالمسيح عيسى هو ابن مريم؛ وليس ابن اللّه، ولا ابنَ أيٍّ رجلٍ من البشر. **٢٤** آية تنسب بنوّة المسيح عيسى إلى مريم؛ وتشدّد على هذه النسبة، وتنكر كلّ نسبة إلى اللّه[٢٣]. و**٢٨** آية تنفي أن يكون للّهِ ولد. منها آيات تقصد المسيحيّين الذين اتّخذوا المسيحَ ابنًا للّه؛ وآيات تقصد اليهود الذين اتّخذوا «عُزَيراً» إبناً للّه؛ وآيات تقصد بعض كفّار قريش الذين اتّخذوا «اللاّة والعزّى

---

(٢٣) «ألمسيح عيسى ابن مريم» و«المسيح ابن مريم» :٢/ ٨٧ و٢٥٣؛ ٣/ ٤٥؛ ٤/ ٣٦ و١٥٧ و١٧١؛ ٥/ ١٧ (مرّتين) و٤٦ و٧٢ و٧٥ و٧٨ و١١٠ و١١٢ و١١٤ و١١٦؛ ٩/ ٣٠ و٣١؛ ١٩/ ٣٤؛ ٢٣/ ٥٠؛ ٢١/ ٩١؛ ٣٣/ ٧؛ ٤٣/ ٥٧؛ ٥٧/ ٢٧؛ ٦١/ ٦ و١٤.

ومناة» آلهة ينتسب بعضهم إلى بعض انتساباً عائليًا؛ وثمّة بعض الوثنيّين اتّخذوا الملائكة بناتاً للّه[٢٤].

ويكفّر القرآن جميعَ هؤلاء الذين قالوا إنّ للّه بنين وبنات وشركاء وأصحاب وصاحبات. يقول : «وَجَعَلُوا للَّهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُم وَخَرَقوا لهُ بَنِينَ وَبنَاتٍ بِغَيرِ عِلْمٍ. سُبحَانَه وَتَعَالَى عَمّا يَصِفُون! بَديعُ السّمَوَاتِ والأرْضِ أنَّى يَكُونُ لهُ وَلَدٌ! وَلَمْ تَكُنْ لهُ صَاحِبَةٌ؟! وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شيءٍ عَليمٌ» (٦/ ١٠٠-١٠١).

واللّه غنيٌّ عن كلّ ولد أو شريك أو صاحبة؛ لأنّ كلّ ما في الأرض والسموات ملكه؛ فلماذا يختصّ بولد أو شريك؟! قال: «قَالُوا: اتّخَذَ اللَّهُ وَلَداً. سُبْحَانَهُ! هُوَ الغَنِيُّ. لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ» (١٠/ ٦٨)[٢٥].

يلاحظ أنّ القرآن ينفي نفياً قاطعاً أن يكون المسيحُ إلهاً أو ابناً للّه. إنّما هو نبيّ ورسول كسائر الأنبياء والرسل. ولكنّنا وجدنا لعيسى مميّزاتٍ، من الصفات والألقاب والأسماء والمعجزات، لم تكن لأحدٍ سواه. إنّها مميّزات أقلّ ما يُقال فيها إنّها إلهيّة. فما حقيقة عيسى القرآن إذاً؟ هل هو إله؟ أم نبيّ؟

هذان الموقفان المتناقضان موجودان في القرآن المكّي كما

---

(٢٤) رَاجع : ٦/ ١٠٠؛ ١٦/ ٥٧؛ ٣٧/ ١٤٩ و١٥٣؛ ٤٣/ ١٦؛ ٥٢/ ٣٩.

(٢٥) رَاجع : ١٧/ ١١١؛ ١٨/ ٤-٦؛ ١٩/ ٨٨-٩٥؛ ٢١/ ٢٦؛ ٢٣/ ٩١-٩٢؛ ٢٥/ ٢؛ ٣٩/ ٤؛ ٤٣/ ٨١؛ ٧٢/ ٣-٤؛ ١١٢/ ١-٤.

في القرآن المدني.

لا نقـول، في مـوضـوع هويّة عـيسى، إنّ القـرآن المدني «نسخ» القرآن المكّي، كـما هو الحال في سائر الموضـوعات. بل إنّ مـسيحَ القـرآن، المكّي والمدني، نبيٌّ، مـثله مثل مـسيح النصـارى، يتميّـز بصفات وألقاب وأسمـاء وأفعال إلهيّـة؛ ولكنّ هذه الصفات والألقاب «مفرَّغة» من مضمونها الإلهي، ولا تُعطيه هويّةً إلهيّة.

لهذا، فإذا كنّا نتأكّد من هويّة عيسى النبويّة؛ فإنّنا نتأرجح، بل نحار، في مـعاني تلك الأسمـاء والألقاب والصفات والمعـجزات التي تكلّمنا عـليهـا في الفـصل السـابق. هذه الألقـاب والأسمـاء والصفـات، كما قلنا، لها مـضمون مسـيحيّ لاهوتيّ عظيم؛ ولكنّ مضـمونهـا الإسلامي لا يخـوّلنا القـيام بتـقاربٍ بين المسـيحـيّة والإسلام، كما يفعل معظم الباحثين في الإسلام.

ولهـذا نقول أيضـاً بأنَّ مـسيحَ المسـلمين هو دون مسـيح القرآن، من حيث هويّته الحقيقيّة المتّصفة بمعظم الصفات الإلهيّة.

ثالثاً – هويّة مسيح القرآن الحقيقيّة

هذه الهـويّة الحـقيـقـيّة نـأخذها من بعـض أقوال القـرآن وتفاسيـر المفسّرين المسلمين عليها. فـالنّصارى الذين يقولون بأنَّ «المَسِـيح ابْن اللَّهِ»، هم، بحسب القـرآن كفّـار ومشـركون. وربّمـا يُعتبرون أكثر كفراً من عابدي الأوثان :

« قالتِ النَّصَارى: المَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ. ذلك قَولُهم بأفْواهِهِمْ، يُضاهِئُونَ (يشابهون به) قولَ الذينَ كَفَروا مِنْ قَبْلُ. قاتَلَهُمْ اللَّهُ أنَّى يُؤْفَكُونَ » (٩/ ٣٠).

يقول **الرازي** معلِّقاً على هذا القول: «إنّ كفْرَ عابِدِ الوثَن أخفُّ من كفْر النصارى، لأنّ عابدَ الوثن لا يقول إنّ هذا الوثن خالق العالم وإله العالم، بل يجريه مجرى الشيء الذي يتوسّل به إلى طاعة اللّه؛ أمّا النّصارى فإنّهم يُثبتون الحلولَ والاتّحادَ. وذلك كفْرٌ قبيحٌ جداً. فثبت أنّه لا فرق بين هؤلاء الحلوليّة وبين سائر المشركين».

وقال أيضاً: «الأقرب عندي أن يقال: لعلّه ورد لفظ الابن في الإنجيل على سبيل التشريف، كما ورد لفظ الخليل في حقّ إبراهيم على سبيل التشريف».

ويردّد **أبو حيّان الأندلسي** الشيء نفسه فيقول: «لا فرق بين مَن يعبد الصنم وبين من يعبد المسيح وغيره؛ لأنّ الشرك هو أن يُتّخذ مع اللّه معبوداً. بل عابد الوثن أخفُّ كفراً من النصراني، لأنّه لا يعتقد أنّ الوثن خالق العالم. والنصراني يقول بالحلول والاتّحاد».

وقال **محمد عبدو**: «كيف يصرفون عن حقيقة التوحيد والتنزيه للخالق، وهو الذي تجزم به العقول، والذي بلّغه عن اللّه كلُّ رسول.. ويقولون هذا القول الذي لا يقبله عقل، ولم يصحّ به نقْل؟ فأينَ عُزير والمسيح من ربّ العالمين، الخالق لهذا الكون

العظيم، الذي وصل من عجائب سعته إلى علم البشر القليل؟! إنّ بعض شموسه لا يصل نورُها إلى الأرض إلاّ بعد قطْع الملايين من السنين النوريّة. فهل يليق بعاقلٍ من هذه الدواب التي تعيش على هذه الذرّة الصغيرة منه، وهي الأرض، أن يجعل لخالقه كلّه، ومدبّر أمره، ولداً وعائلةً من جنسه؟! وأن يرتقي به الغرورُ إلى أن يجعل واحداً منهم هو الخالق له والمدبِّر لأمره، مع العلم بأنّه وُلد من امرأةٍ، وكان يأكل ويشرب ويتعب ويتألّم!.. إلخ.».

ويقول **سيِّد قطب**: «في هذه الآية يبيِّن السياق القرآني ضلالَ عقيدة أهل الكتاب؛ وأنّها تضاهِئ (أي تشابه) عقيدة المشركين من العرب، والوثنيِّين من قدامى الرومان وغيرهم. وأنّهم لم يستقيموا على العقيدة الصحيحة التي جاءتْهم بها كتبُهم. فلا عبرة، إذن، بأنّهم أهل كتاب، وهم يخالفون في الاعتقاد الأصلَ الذي تقوم عليه العقيدة الصحيحة في كتبهم».

فعلى مثل هذا القول قام واجبُ قتالِ المسلمين للنصارى. «وإنْ يكن القصد من القتال ليس هو إكراههم على الإسلام، وإنّما هو كسر شوكتهم التي يقفون بها في وجه الإسلام، واستسلامهم لسلطانه ليتحرّر الأفراد، في ظلّ هذا الاستسلام، من التأثّر بالضغوط التي تقيِّد إرادتهم في اختيار دين الحقّ من غير إكراه».

ويعتبر **محمّد حسين فضل الله** قولَ «النَّصَارَى : المَسِيحُ ابْنُ اللَّه» بسبب ما شاهدوه من الخوارق للعادة في معجزاته، فلم يعتبروها مظهراً للُّطف المرتبط بحركة الرسالة في مواجهة

التحدّي؛ بل اعتبروها امتيازاً ذاتيًا يستمدّ قوّتَه ومعناه من العلاقة العضويّة باللّه، بالمعنى الجسدي، على بعض المعاني، وبالمعنى الروحي على البعض الآخر».

أمّا تفاسير المفسِّرين على ما ورد في سورة المائدة: «*لَقَدْ كَفَرَ الّذينَ قَالُوا إنّ اللّهَ هُوَ المَسيحُ ابنُ مَرْيَمَ . قُلْ: فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيئاً إنْ أرَادَ أنْ يُهْلِكَ المسيحَ ابنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ، وَمَنْ في الأرْضِ جَميعاً. وللّهِ مُلْكُ السّمَواتِ والأرْضِ وما بَينَهُما. يَخلُقُ ما يَشاءُ. واللّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ*» (٥/١٧)، فكما يلي :

يقول **الطبري** في قول النصارى: «إنّ اللّهَ هُوَ المَسيحُ ابنُ مَرْيَمَ» : هذا ذمّ من اللّه للنصارى الذين ضلّوا عن سبل السلام، واحتجاج منه لنبيّه محمّد في فريتهم عليه بادّعائهم له ولداً.

«*قُلْ*» (يا محمّد للنصارى الذين افتروا عليّ وضلّوا عن سواء السبيل بقيلهم أنّ اللّه هو المسيح ابن مريم): «فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيئاً» (أي: مَن الذي يطيق أن يدفع من أمر اللّه شيئاً فيردّه إذا قضاه)، «*إنْ أرَادَ أنْ يُهْلِكَ المسيحَ ابنَ مَريَمَ وأُمَّهُ، وَمَنْ في الأرضِ جَميعاً*» (أي: من ذا الذي يقدر أن يردّ من أمر اللّه شيئاً إنْ شاء أن يهلك المسيح ابن مريم بإعدامه من الأرض، وإعدام أمّه مريم، وإعدام جميع من في الأرض من الخلق جميعاً. قل لهؤلاء الجهلة من النصارى: لو كان المسيح، كما يزعمون، هو اللّه، وليس كذلك، لقدر أن يردّ أمر اللّه إذا جاءه بإهلاكه وإهلاك أمّه. وقد أهلكَ أمّه فلم يقدر على دفع أمره فيها إذ نزل ذلك...

«وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَوات وَالأَرْضِ وَمَا بَينَهُما». يعني: واللّه له تصريف ما في السموات والأرض وما بينهما. يُهلك من يشاء من ذلك ويُبقي ما يشاء منه، ويُوجد ما أراد ويُعدم ما أحبّ. لا يمنعه من شيء أراد من ذلك مانع، ولا يدفعه عنه دافع. يُنفذ فيهم حكمَه ويُمضي فيهم قضاءَه. لا المسيح الذي إنْ أراد ربُّه إهلاكَه وإهلاكَ أمّه، لم يملك دفع ما أراد به ربّه من ذلك.

يقول جلّ وعزّ: كيف يكون إلهاً يُعبَد مَن كان عاجزاً عن دفع ما أراد به غيرُه من السوء، وغيرَ قادر على صرف ما نزل به من الهلاك؟! بل الإله المعبود هو الذي له ملك كلّ شيء، وبيده تصريف كلّ من في السماء والأرض وما بينهما.

«يَخلُقُ ما يَشاءُ» (أي: ينشئ ما يشاء، ويوجده، ويخرجه من حال العدم إلى حال الوجود. ولن يقدر على ذلك غير اللّه الواحد القهّار... فليس ذلك لأحد سواي. فكيف زعمتم، أيّها الكذبة، أنّ المسيح إله، وهو لا يطيق شيئاً من ذلك؛ بل لا يقدر على دفع الضرر عن نفسه، ولا عن أمّه، ولا اجتلاب نفع إليها إلاّ بإذني؟!).

«وَاللَّهُ عَلَى كلِّ شَيءٍ قَديرٌ» (أي: أللّه المعبود هو القادر على كلّ شيء، والمالك كلّ شيء الذي لا يعجزه شيء أراده، ولا يغلبه شيء طلبه، المقتدر على هلاك المسيح وأمّه ومَن في الأرض جميعاً، لا العاجز عن منع نفسه مِن ضرٍّ، ولا منع أمّه من الهلاك».

ويعلّق **الآلوسي** على قول النصارى: *«إنَّ اللّهَ هُوَ المَسيحُ ابْنُ مريَمَ»* فيقول: «إنّ أحداً لم يقل: اللّه تعالى هو المسيح، وإنْ قالوا:

المسـيح هو اللّه تعالى.. يـصح أن يقال: ألإنسـان هو حيـوان. ولا يصحّ أن يقال: ألحيوان هو الإنسان... غـير أنّك تستطيع أن تقول: ألكريم زيد، أي حـقيـقـة الكرم في زيد. وعلى هذا قـولهم: إنّ اللّه تعالى هو المسيح».

ويقول **محمّـد عبده** في قول النصارى: «*إنَّ اللَّهَ هُوَ المَسيحُ ابْنُ مريَمَ*» : «يوجـد الآن في نصارى أوربّة، وغـيرهم كـثيـر من الموحِّدين، الـذين يعتقـدون أنّ المسيح نبيّ رسـول لا إله. ولعلّه لم يبقَ في النصارى من يقول بتلك الفلسـفة (التثليث)، لأنّهم، في كلّ عصر، يغيّرون في دينهم ما شاؤوا أن يغيّروا في فلسفته.

«وكـان أكبـر تغيـيـر حدث بعـد هؤلاء المفـسّرين مـذهب "البروتسـتانت"، أي إصلاح النـصرانيّة. حـدث منذ أربع قرون، وصـار هو السائد في أعظم الأمم مدنيّةً وارتقاءً، كالولايات المتّحدة، وأنكلتـرّة، وألمانية. نـسَفَ هذا المذهبُ أكثـرَ التـقاليـد والخرافـات النصرانيّة التي كانت قبله، ثمّ استبدل بها تقاليدَ أخرى، فصار عدّةَ مـذاهب. ومع هذا،زعمـوا أنّهم أعـادوا النصرانـيّة إلى أصلهـا، لم يستطيعوا أن يُرجعوها إلى التوحيد الصحيح الذي هو دين المسيح وسائر أنـبياء بنـي إسرائيل ورسل اللّه أجـمعين... فـجمـيع فرق نصارى هذا العصر تقول إنّ اللّه هو المسيح ابن مريم، وأنّ المسيح ابن مريم هو اللّه. تعالى اللّه عمّا يقولون علوّاً كبيراً».

ويقول **محمّـد حسين فضل اللّه** : «ليس الكفر –في مفهوم القرآن– أن تُنكر وجودَ اللّه كمبدأ فحسب، بل قد تحقّق بالانحراف

في التـصوّر، كـمن يؤمن بوجود اللّه، ولكنّه يـعتقـد تجسّـده في شـخصـيّة بشـر؛ لأنّ الصـورة التي في ذهنه ليـست هي اللّه، بل غيره، فيكون الإيمان بـها إيماناً بغير اللّه حقيقـة.. مثل هذا الاتّجاه في تصوّر اللّه -كجسم- يشبـه أن يكون كفراً، أو هو الكفر بعينه. وعلى هذا الأسـاس، أطلق القرآن عـلى النصارى الذين قـالوا: «*إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ*» صفةَ الكفّار، مهـما كانت الأسـاليب التي اتّبعوها في صياغة هذه العقيدة.

«ثمّ ناقشـهم ببـساطة الفكر وعفويّته: فـإذا كان المسيح هو اللّه، فكيف عجـز عن الدفاع عن نفسه؟!. والمسـيح لم يستطع دفْعَ الموت عن نفسـه وعن أمِّه عندما أراد اللّهُ إهلاكَـه، -على فرْض أنّه مات كمـا يعتقد النصارى- وبذلك لم يعـد هناك أيّ فرْق بينه وبين كلّ مَن في الأرض الذين يموتـون بإرادة اللّه من دون أن يتـمكّنوا من الدفاع عن أنفسـهم، مهما كانت وسـائل الدفاع التي يملكونها، وليس ذلك إلاّ انطلاقاً من الحقيقـة التي تؤكّد أنّ للّه ملْكَ السموات والأرض وما بينهـما، فكلّ ما فـيهمـا، ومَن فيهمـا، ملْكٌ للّه، فكيف يمكن أن يدفعوا عن أنفسهم قدَرَ الـلّه وقضاءَه؟ فهو الذي يخلق ما يشاء ويتصـرّف في خلقه بما يشاء، من خلال القـدرة المطلقة على كلّ شيء، مهما كان كبيراً وعظيماً.

«ثمّ إنّ اللّه لا يمكن أن يتـجسّـد في أيّ بشـرٍ مهـما كـانت صفته؛ لأنّه مخلوقٌ للّه، خـاضعٌ لما يخضع له أيّ مخلوق في نقاط ضعفه، ممّا يمتنع عليه في ذاته أن يتّصف بصفات الألوهيّة..

«ولمّا كانت هذه العقيدة بعيدةً عن معنى اللّه في وحدانيّته ذاته بحيث لا تقبل التجسّد والتماثل في أيّ مخلوقٍ أو أيّ بشرٍ، اعتبرها القرآن كفراً وجحوداً بالحقيقة الإلهيّة، تماماً كما لو كانت المسألة الاعتقاد بإله غير اللّه، لأنّ للتصوّر دوره في تأصيل فكرة اللّه في وجدان المؤمن..

«وربّما كان انتماء المسيح إلى مريم في الحديث عن الموضوع، بعض الإشارة إلى أنّ هذه البنوّة والأمومة تعني خضوعه لما يخضع له المخلوق من مرحلة الجنينيّة في الحمل ومرحلة الولادة وما يستتبع ذلك من حاجته إلى النموّ واستقراره في محيط صغير وهو الرحم، وتعرّضه للتحوّلات التي ينتقل بها من حالةٍ إلى حالة، وللحاجات الجسديّة الطبيعيّة، كالغذاء ونحوه، ممّا لا يتناسب مع معنى الألوهيّة، فكيف تلتقي مع القول بأنّه هو اللّه؟».

***

ويبقى علينا أن نعرف حقيقة هويّة المسيح عند الكتّاب المسلمين ، القدماء منهم والمعاصرين؛ لأنّ الهويّة الحقيقيّة ليست كما يريد المسيحيّون فهمها، بل كما يفهمها المسلمون أنفسهم. وهذا هو موضوع الفصل التالي.



الفصل السادس

هويّة مسيح المسلمين

مقدّمة

قال **الجاحظ** : «لو جهدتَ بكلِّ جهدك، وجمعتَ كلَّ عقلك، أن تفهم قـولهم (النصارى) في المسـيح لما قدرتَ عليه.. وكـيف تقدر على ذلك وأنت، لو خلوتَ ونصراني نسطوري، فسـألتَه عن قولهم في المسـيح لقـال قـولاً، ثم إنْ خـلوتَ بأخـيـه لأمِّـه وأبيـه، وهو نسطوري مثله، فسألتَه عن قـولهم في المسيح، لأتاكَ بخلاف قولِ أخيه وضدِّه. وكذلك جميع الملكانيّة واليعقوبيّة»[1].

وبالمعنى نفسه قال **شيخ الإسلام ابن تيميّة** : إنّ النّصارى «لا تجدهم يتّفـقون على قولٍ واحدٍ في معبـودهم، حتى قال بعض الناس: لو اجتمع عشرة نصارى، افترقوا على أحد عشر قولاً»[2].

وبعـد هذا، لنعـد إلى البـداية، ونتناول ردودَ المـسلمين على النصارى، بحسب تسلسلهم الزمني، في مـوضوع ألوهيّة المسيح،

(١) ردّ الجاحظ، ٢٢.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ١/ ٢٥٤.

واتّحاد طبيعتَيه الإلهيّة والإنسانيّة، وبنوّته للّه. هذه الردود كلّها كانت في سبيل إظهار عقيدة المسلمين في المسيح عيسى، ألا وهي نبوّته ورسالته، إذ هو نبيّ ورسول. جاء خاتمة لأنبياء بني إسرائيل ورسلهم، كما جاء محمّد خاتمة لجميع أنبياء اللّه ورسله على الأرض.

***

فـ **علي بن ربَّن الطبري** (ت ٢٤٧هـ/ ٨٦١ م)، وهو نصرانيّ أسلم[٣]، يسأل النصارى: «كيف يكون اللّه واحداً، ثم يكون المسيح إلهاً!». وكيف يحلّ اللَّهُ في المكان والزمان، وهو خالقهما، وهما محيطان به؟! وكيف يكون إلهاً وهو لا يعرف ذلك اليوم وتلك الساعة؟! وكيف يكون إلهاً خالقاً أزليًّا، وقد قصّ شعرَه، وقلّم أظافره، وذهب طولاً وعرضاً؟! وكيف يكون إلهاً، وهو، كما يقول الإنجيلُ عنه: «أكل وشرب، وقام ونام وجاع، وغاط وبال، وذهب وهرب من الموت، وسهر وعرق عرَقاً كمثل عبيط الدم»؟!.

«وإنّ مِن عجب العجب اضطرارُ الخالق الأزلي إلى أن أنزَل ابنَه الأزلي من السماء، ثم يُرسله إلى الشيطان على يدي روحِه الألهيّة القاهرة ليمتحنه الشيطان، ويُهينه. ومَن ذا الذي أوجب عليه

---

(٣) له: **الردّ على النّصارى**؛ نُشر في بيروت سنة ١٩٥٩ بدون تحقيق. من ٣٠ ص. وله أيضاً : **الدين والدولة في إثبات نبوّة النبي محمّد**، حقّقه وقدّم له عادل نويهض، بيروت، ١٩٧٧؛ ٢٤٠ ص

ذلك!؟.. وما أحسبتُ أنَّ هاجٍ هجا اللّهَ تباركَ وتعالى مُذ قامتِ الدنيا، ولا مدَح الشيطانَ مادحٌ أكثر ممّا يقوله النصارى... وما أراد النصارى بذلك إلاّ أنهم زادوا الشيطانَ تمرّداً».

ثمّ ينكر علي بن ربّن الطبري أن يكون المسيح إلهاً بسبب إتيانه الآيات والمعجزات، فيقول :

«إنْ قلتمْ إنّكمْ جعلتموه إلهاً لإحيائه موتى فها النبيّ إليشع أحيا في حياته ميتاً، وبعدَ وفاته ميتاً آخر؛ وأحيا إيليا أيضاً ميتاً.

«وإنْ قلتمْ إنّ المسيح أطعم من أرغفة آلافاً من الناس، فهذا نبيٌّ اللّه وكليمُه موسى سأل اللّه فأطعم قومَه أربعين سنة المنّ والسلوى؛ وبارَكَ إيليّا في دقيق العجوز ودهْنِها فلم ينفدْ ما في جرّتِها من الدقيق، ولا ما في قارورتها من الدهن سَبعَ سنين، وسألَ اللّهَ أن يحبس المطر سبعَ سنين.

«إنْ كان المسيح صاح بالبحر فسكتتْ أمواجُه، فقد ضرب موسى بعصاه البحر ففرقه وعبَرَ قرارَه خلقٌ من بني إسرائيل كثير، ثمّ فجّر من الصخر اثنتي عشرة عيناً، لكلِّ سبطٍ من بني إسرائيل عين، وضرب أهلَ مصر بعشر آيات من العذاب.

ثمّ «إنْ جعلتموه إلهاً لأنّه صعد إلى السماء فهذا أخنوخ وإيليّا صعدا إلى السماء، وهما فيها حيّان مكرّمَان إلى الآن».

أمّا **الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم الحسني الرسّي** (ت ٢٤٦/ ٨٦٠) فيرفض بنوّةَ المسيح للّه ويقول عن رفض ألوهيّة

المسيح بالحجج العقليّة: «ألإبن فرعٌ من أصل. وهما شبيهان في الذات. ولا يكون واحداً مَن كان له ولدٌ أبداً. ولا يكون أزليّاً من كان والداً أو أباً، لأنّ الابنَ ليس لأبيه بربّ. وكذلك الربّ فليس لمربوب بأب.. لأنّ الربوبيّة لا تمكن أبداً إلاّ لواحدٍ ليس بأصل لشيء، ولا ولد، ولا والد»[٤].

ويسأل **ابو عثمان الجاحظ** (ت ٢٥٥/٨٦٩)[٥] في نفيه بنوّة عيسى للّه : «إذا كان تعالى قد اتّخذ عبداً من عباده خليلاً، فهل يجوز أن يتّخذ عبداً من عباده ولداً، يريد بذلك إظهار رحمته ومحبّته إيّاه؟» (ص ٧٢).

ثمّ يقول أيضاً: «إنّا لا نجيز أن يكون للّه ولد، لا من جهة الولادة، ولا من جهة التبنّي. ونرى أنّ تجويز ذلك جهلٌ عظيم، وإثمٌ كبير، لأنّه، لو جاز أن يكون (اللّهُ) أبا يعقوب، لجاز أن يكون جَدّاً ليوسف!! ولو جاز أن يكون جدّاً وأباً.. لجاز أيضاً أن يكون عمّاً وخالاً!! لأنّه، إنْ جاز أن نسمّيه –من أجل الرحمة والمحبّة والتأديب– أباً، جاز أن يسمّيه آخر –من جهة التعظيم والتفضيل والتسويد– أخاً، ولجاز أن يجد له صاحباً وصديقاً. وهذا ما لا يجوّزه إلاّ مَن لا يعرف عظمةَ اللّه وصغرَ قدْر الإنسان..

«وبعد، فلا يخلو المولى في رفع عبدِه وإكرامه من أحد أمرين: إمّا أن يكون لا يقدر على كرامته إلاّ بهوان نفسه، أو يكون

---

(٤) من أركان الزيديّة، له: **الردّه على النصارى**، ص ٢٢–٢٣؛ قارن بـ**ردّ الطبري**، ٣٥.

(٥) **ردّ الجاحظ على النصارى** نشره الشرقاوي، دار الجيل بيروت، ١٩٩؛ ٩٦ ص..

على ذلك قادراً مع وفارة العظمة وتمام البهاء. وإنْ كان لا يقدر على رفع قدر غيره إلاّ بأن ينقص من قدر نفسه فهذا هو العجز.. وإنْ كان على ذلك قادراً، فآثر ابتذال نفسه، والحطَّ من شرفه، فهذا هو الجهل. والوجهان على اللّه جلّ جلاله منفيّان» (ص ٧٣-٧٤).

وفي رفضه نسبةَ عيسى إلى اللّه بالبنوّة، يقول: «إنّ إنساناً، لو رحم جروَ كلبٍ فربّاه، لم يَجُزْ أن يسمِّيَه ولداً، ويسمِّي نفسَه له أباً. ولو التقط صبيّاً فربّاه، جاز أن يسمِّيَه ولداً، ويسمِّي نفسَه له أباً، لأنّه شبيه ولده، وقد يولد لمثله مثله. وليس بين الكلاب والبشر أرحام. فإذا كان شبهُ الإنسان أبعدَ من اللّه تعالى من شبهِ الجرو بالإنسان، كان اللّه أحقّ بأن لا يجعله ولدَه، وينسبه إلى نفسه... ألعبد الصالح لا يشبه اللّه في وجه من الوجوه، والكلب قد يشبه كلاّبَه لوجوه كثيرة» (ص ٧٩-٨٠).

وفي قول النّصارى بألوهيّة عيسى، بسبب أنّه "وُلد بدون أب"، يقول الجاحظ: «إنْ كان المسيح إنّما صار ابن اللّه لأنّ اللّه خلقه من غير ذكر، فآدم وحواء، إذاً، كانا من غير ذكر وأنثى، أحقّ بذلك، إنْ كانت العلّة في اتّخاذه ولداً أنّه خلقه من غير ذكر. وإنْ كان ذلك لمكان التربية، فهل ربّاه إلاّ كما ربّى موسى وداود وجميع الأنبياء؟! وهل تأويل ربّاه إلاّ غذّاه ورزقه وأطعمه وسقاه؟! فقد فعل ذلك بجميع الناس... والأعجوبة في آدم أبدع، وتربيته أكرم، ومنقلبه أعلى وأشرف، إذ كانت السماءُ دارَه، والجنّةُ منزلَه، والملائكةُ خدّامَه» (ص ٨٢-٨٣).

أمّا **الناشى الأكبر** (ت ٢٩٣/٩٠٦)..فيقول في موضوع بنوّة المسيح للّه: «فاسدٌ في العقل أن يستحيلَ البارئ الأزلي فيصير محدَثاً، لم يكنْ فكان. ويستحيل المحدَث الزمني فيصير أزليّاً لم يحدث»[٦].

ويخشى **أبو عيسى الورّاق** (ت ٢٩٧/ ٩١٠) أن يكون النصارى، بقولهم بألوهيّة عيسى، قد وقعوا في الشرك. يقول: «وإنْ زعموا أنّ الاتّحاد فعلٌ للكلمة دون الأب ودون الروح أثبتوا للابن فعلاً غير فعل الأب وغير فعل الروح، وخصّوه بصنعٍ صنَعَه لم يصنعْه الأب ولا الروح. وإذا جاز أن ينفرد واحد منها بفعلٍ دون باقيها جاز ذلك في كلّ واحد من الأقنومَين الآخرين. وإذا جاز ذلك جاز أن ينفرد كلُّ واحد منها بتدبيرِ عالَمٍ دون صاحبَيه، وبخلقِ بريّةٍ دون صاحبيه»[٧].

ويقول **أبو منصور الماتريدي** (ت ٣٣٣/ ٩٤٤) برفضه لألوهيّة المسيح في أمرين: «أحدهما: الربوبيّة. لم يدّع عيسى لنفسه سوى العبوديّة والرسالة. فالقول له بالإلهيّ قولٌ لا معنى له. مع ما لو جاز ذلك لجاز لكلٍّ من البشر.. والثاني: أن يكون ابنَه.

---

(٦) شاعر ومتكلّم معتزلي. له: **الكتاب الأوسط في المقالات**. أحتفظ لنا منها الكاتب النصراني إبن العسّال (ت١٢٦٠م) بمقتطفات. نشرها المستشرق يوسف فان إس J.Van Ess في بيروت سنة ١٩٧١ مع كتابه «مسائل الإمامة»، ص ٨٣. عن الشرفي، ص ٣٤٥-٣٤٦.

(٧) من مشاهير المتكلّمين والفلاسفة. ابتدأ إعتزاليّاً وانتهى زنديقاً مانويّاً ملحداً. له: **كتاب الردّ على النصارى لكبير** ٢/ ١. قارن بـ **التمهيد**، ٩٣.

وذلك محال فاسد لغنى الربّ عن أن تمسَّه الحاجة، أو تغلبَه الشهوة، أو تعتريه الوحشة»[٨].

وينكر **الحسن بن أيّوب** (ت ٣٧٨/٩٨٨)[٩] ألوهيّة المسيح قائلاً: «يجب على ذوي العقول أن تزجرهم عقولُهم عن عبادة إلهٍ ولدتْه مريم، وهي امرأةٌ آدميّة. ثم مكث على الأرض ثلاثين سنةً تجري عليه أحكام الآدميّين من غذاء وتربية، وصحّة وسقم، وخوف وأمن، وتعلّم وتعليم.. وحبس وضرب وقذف وصلْب وقتل. فهل تقبل العقولُ ما يقولون من أنّ إلهاً نال عبادُه منه مثلَ ما تذكرون أنّه نيل منه؟» (٢/ ٣٣١).

ثمّ يتساءل متعجِّباً عن كيفيّة ألوهيّة المسيح، ويقول: «إنْ كان المسيح هو الأزلي الخالق، أو كان متّحداً به، فكيف لم ترجفْ بين يديه الجبال، ولم تتصرّف بمشيئته الأنهار والبحار؟ أو كيف لم تظهر منه آيات باهرات أجلّ من آيات الأنبياء قبله، مثل المشي على متون الهواء، والاضطجاع على أكناف الرياح، والاستغناء عن المآكل والمشارب، وإحراق مَن قَرُبَ منه من الشياطين والجنّ..، ويمنع الآدميّين من نفسه!!!» (٢/ ٣٣٦).

---

(٨) مؤسّس مدرسة عرفت باسمه. نازعت الأشعريّة في الانتساب إلى أهل السنّة. سلكت منهجاً وسطاً بين العقل والنقل. له : **كتاب التوحيد**، ص ٢١٣-٢١٤. عن الشرفي، ص ٣٤٥.

(٩) هو مسيحي أسلم. له : **رسالة إلى أخيه عليّ**، في ٤٩ صفحة في كتاب "الجواب الصحيح"، لابن تيميّة (٢/ ٣٢٣-٣٧٢). يذكر فيها سببَ إسلامه.

ثمّ يقـول: «وما يشــهـد بصحّــة عـبوديّـة المسيح أنّ مـتّى التلميذ، حين بنى كتابه، أوّل ما ابتدأ به أن قال: "كتاب مولد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم"، فنسَبه إلى مَن كان منه على الصحّة، ولم يقل إنّه ابن اللّه، ولا إنّه إله من إله» (٢/ ٣٦٠).

ويعلّق ابن ايّوب على تجـارب الشيطان للمـسيح، فيـقول: «أفـلا يعلم مَن كـان في عـقله مـسكـة أنّ هذا الفـعل لا يكون من شيـطان إلى إله! ولو كان (المسـيح) إلهاً لأزاله عن نفـسه قـبل أن يأتيـه المَلَك من عـند ربّه، ولما قـال: "أمـرنا أن لا نجـرّب اللّه وأن نسجد للرب ولا نعـبد شيئاً سواه". وكـيف لم يَربط الشيطانَ عن نفسه قبل أن يربطه عن أمّته؟» (٢/ ٣٣٤–٣٣٥).

ويقول في رفض ألوهيّة المسيح بالحـجج العقليّة: «قالوا: إنّ المسيح ولد من أبيه قبل العوالم، وليس بمصنوع؛ فليس يخلو الأبُ من أن يكون أولد شيئـاً موجوداً أو غير موجـود. فإنْ كان لم يزل موجـوداً فإنّ الأب لم يلد شيـئاً. وإنْ كان غـير موجـود وإنّما هو حادث لم يكن، فهو مخلوق» (٢/ ٣٦١).

ويسـأل **القـاضي أبو بكر البـاقـلاني** (ت ٤٠٣/ ١٠١٢) النصـارى عن مـعنى الاتّحـاد بين الكلمـة التي هي الابن وجـسـد المسيح: « خبّرونا كيف اتّحدت الكلمة التي هي الابن بجسد المسيح دون الأب والروح، مع قـولكم بأنّه غيـرُ مبايِـنٍ لهما، ولا منـفصل عنهما؟ (ص٩٤)[10].

---

(١٠) **كتاب التمهيد**، ألباب الثامن، ص ٧٥–١٠٣؛ **تثبيت دلائل النبوّة**، ١٦٦.

«ثمّ خبّرونا كيف ولدتْ مريمُ الابنَ دون الأبِ وروحِ القدس، وهو غير مباينٍ لهما، ولا منفصلٍ عنهما. فيكون المتَّحِد بالجسد حملاً في بطن مريم، والأب والرّوح والجوهر الجامع للأقانيم لا في بطن مريم. وهما مع ذلك غير متابينَين ولا منفصلَين ممّا هو حالّ في الجسد في بطن مريم؟! فما لا ينفصل ولا يتميّز بالذات، كيف يكون منه مولود ومنه غير مولود، ومنه متَّحِد ومنه غير متَّحِد، لولا الجهل والعجز؟

ويأخذ **القاضي عبد الجبّار** (ت ٤١٥ / ١٠٢٤)[١١] على النصارى تفسيرهم "كلمة اللّه" التي يطلقونها على المسيح، فيقول: «وأمّا تسميتهم له بأنّه "كلمة اللّه" فلا تصحّ في الحقيقة، لأنّ الكلام، على الحقيقة، هو الحروف المنظومة، وعيسى هو جسم. فلا يصحّ كونه كلاماً، وإنّما قيل فيه إنّه "كلمة اللّه" من حيثُ يُهتدَى به وبدعائه»[١٢].

ويأخذ عليهم أيضاً تفسيرهم "روح اللّه"، فيقول: «إنّما سُمّي عيسى "روحاً" على حسب ما سمّي جبريل روح اللّه وروح القدس، وعلى حسب ما سمّى جلّ وعزّ القرآنَ بذلك.. ولم يوجب

---

(١١) له: **المغني في أبواب التوحيد والعدل**. الجزء الخامس: الفِرَق غير الإسلاميّة. في حوالي ٧٠ صفحة عن النصارى. وله أيضاً: **شرح الأصول الخمسة**، و**تثبيت دلائل النبوّة**، حيث «ركّز على فكرة أساسيّة عنده، وهي أنّ دين النصارى مخالف لدين المسيح في الأصول والفروع معاً. فهم، في نظره، أعداء المسيح من حيث لا يشعرون»

(١٢) **المغني**، ٥ / ١١٢.

ذلك القول بأنّ جبريل، أو القرآن، أبناء اللّه. فكذلك لا يجب مثله في المسيح»[١٣].

ثمّ يعلّق مستهزئاً بما عمله الشيطان بعيسى: «هل سمعتَ بشيطانٍ يأسر إلهَه ويحصره وينقله من مكانٍ إلى مكان، ويطمع في إلهه أن يستعبده؟ والشيطان لا يقدر أن يأخذ حمار اليهودي، وعند النصارى أنّه قد أخذ ربّه إلى أن جاء المَلَك فخلّصه وفكّ أسره!!»[١٤].

أمّا **ابن حزم الأندلسي** (ت ٤٥٧ / ١٠٨٤)[١٥] فيأخذ على النصارى إيمانَهم باتّحاد اللاّهوت بالنّاسوت في المسيح، ويسألهم: «أخبرونا: أتعبدون الطبيعتَين معاً، أم تعبدون إحداهما دون الأخرى؟ فإن قالوا: نعبدهما جميعاً، أَقَرّوا بأنّهم يعبدون إنساناً مخلوقاً مع اللّه تعالى. وهذا أقبح ما يكون من الشرك. وإنْ قالوا: بل نعبد اللاّهوت وحده، قيل لهم: فإنّما تعبدون نصف المسيح لا كلّه، لأنّه طبيعتان ولستم تعبدون إلاّ إحداهما.

ثمّ يقول: يقول النّصارى: ألمسيح «ربّ خالق. وفي الإنجيل أنّه جاع وأكل الخبز والحيتان، وعرق، وضُرب، ولُطم وصلب. وكفى بهذا رذلة وفحش قول وبيان بطلان» (١ / ٦٢).

---

(١٣) **المغني**، ٥/ ١١٣.

(١٤) **تثبيت دلائل النبوّة**، ١٦٦.

(١٥) **الفِصل في الملل والأهواء والنحل.** خمسة أجزاء. ما يعود إلى النصارى موجود في الجزء الأوّل، ص ٤٨–٦٥؛ ٩٨–١١٧؛ وفي الثاني ٢–٩١.

ويقـول **أبو حـامــد الغـزالي** (ت ٥٠٥/ ١١١١) في إنكار ألوهيّة المسيح، مستنداً إلى نصوص الإنجيل[١٦]:

«ألنص الأوّل ذكــره يوحنا: "أنــا والأب واحــد". يقـــول الغزالــي: «إنّ ذلك من قبـيل المجاز؛ وذلك كـما قال: "إنّكـم آلهة". ولســتم آلهــة حقـيـقة؛ وإنّمـا أطلق عليكم هــذا اللفظ لمعنىً، وهو: صيرورة الكلمة إليكم. وأنا قد شاركتكم في ذلك» (ص ١٠٢).

«ألنص الثــاني نصّ عليه يوحنا المذكـور في إنجيله: "أيّــها الأب القدوس! إحفظهم باسمك الذي أعطيتني، ليكونوا معك واحداً، كما نحن". «أي: تكـون تلك الوحدة (بين اللّه والتلاميـذ) كوحدتي معك. فإنْ تكن وحدته مع الإله موجبةً له اســتحقاقَ الإلهيّة، فيلزم أن يكون داعــياً لــتلامــذته، أن يكونوا آلهــة... وهذا مــحمــول على المجاز. ثمّ هو، في قوله: "إحفظهم بــاسمك"، يكون داعياً لهم الإله الذي بيـده النّفعُ والضَـرُّ. ولو كــان نفسُــه إلهــاً، لكان قــادراً على حفظهم من غير أن يتضرّع لغيره، ويسألَه الحفظ».

«ألنّص الثالث قوله: "قدّسْهم بحقك. فإنّ كلمتَك خاصّة هي الحقّ... ليكونوا بأجمعهم واحداً كما نحن واحد". يريد: أنّ وحدتَه معه ليــست مقتضــيةً لإلهيّتــه. وإلاّ لزم أن تكون وحدتهم مع الإله الذي سأله أن يكونوا معه واحداً، كذلك».

---

(١٦) **الردّ الجميل لإلهيّة عيسى بصريح الإنجيل**، تقديم وتحقيق وتعليق د.محمّد عبداللّه الشرقاوي؛ دار الجيل بيروت، ومكتبة الزهراء القاهرة، ط ٣، ١٩٩٠؛ ١٨٤ ص.

«ألنّص الرابع ذكره مرقس: " فأمّــا ذلك اليوم وتلك السـاعة، فلا يعـرفها أحد، ولا الملائكة الذين في السـماء، ولا الابن، إلاّ الأب وحده". يقول الغـزالي: «صرّح في هذا النّص بالإنسانيّـة المحضة نافياً عنه العلم المختصّ بالإله. وهذا من أوضح الأدلّة على إنسانيّته

«ألنّص الخـامس ذكـره يوحـنا: "وهذه حـيـاة الأبد، أن يعرفوك أنّك الإله الحقّ وحدك. والذي أرسلته يسوعَ المسيح". هذا النّص، بحسب الغـزالي، صرّح للإله بالإلهيّة والوحـدانيّة؛ وصرّح لنفسه بالرسالة... ومعلومٌ أنّ المرسِل غيرُ المرسَل».

ألنّص السادس ذكره يوحنّا في قـوله: "وأنا إنسان كلّمتُكم بالحقّ الذي سمعتُـه من اللّه". يقول الغزلي: «صرّح في هذا النّص بالإنسانيّـة بقوله: "إنسان كلمتكم بالحقّ. أي: أنا إنـسـان. وصرّح بالرّسالة، وأنّه لا يفـعل إلاّ ما أُمِرَ به، بقـوله: "كلّمتكم بالحقّ الذي سـمعـتُـه من اللّـه"، وبقـولـه: "كـمـا أمـرني الأب، كـذلك أتكلّم" (ص١٢١-١٢٢).

وفي الخوارق التي حدثت على يدي عـيسى، يقول الغزالي: «وأمّا ظهور الخوارق على يده بالسـؤال والطلب، فذلك ثابت لغيره من الأنبياء...

وخلاصة القول: «لا أعرف أحـداً اجترأ على اللّه كجرأة هذه الطائفة عليه، إذ لا يوجـد خزيٌ أفحش من خزي قومٍ يعـتقدون أنّ إله العالم قُبِرَ...» (ص ١٥٢).

ويأخذ **إبن أبو عبيدة الخزرجي** (ت ٥٨٢/١١٨٦) على النصارى قولهم بطبيعتَين في المسيح[١٧]، فيقول: «فإنْ قلتم: إنّ نصفَه هو إله تامّ، والنصفَ الآخر ليس بإله، فيلزمكم، إذا دعوتموه، أن تقولوا: يا نصفَ المسيح ارحمنا! وإذا قيل لكم: مَن إلهكم؟ فقولوا: هو نصف المسيح! وكيف يكون نصفه خالقاً، ونصفه معبوداً لنصفه، وليس بإله تامّ؟.. فإذا جعلتموه كلّه إلهاً، فأنتم تعبدون غير اللّه. ولا فرق عندكم بين اللّه وبين مخلوقاته» (ص ٢١٧-٢١٨).

ويقول عن إبطال دعوى ألوهيّة عيسى وإثبات نبوّته من نصوص الأناجيل: «أخبرني أيّها الجاعل إلهَه المسيح من حيث هو من اللّه روح! لِمَ تظلم آدم؟.. لماذا أوجبتَ الألوهيّةَ لعيسى ولم توجبْها لآدم، وأنت تُقرّ له هو أيضاً بروح من اللّه في حجاب من تراب؟» (ص١٥٧-١٥٨).

«أخبرني أيها المسكين: متى ادّعى عيسى عليه السلام الألوهيّة تصريحاً؟ أو متى ذكر الأقانيم التي تقولونها توضيحاً؟ ألم تقرأ في إنجيلك عن عيسى أنّه قال: "لم يكرَّم أحدٌ من الأنبياء في وطنه!" (لو ٤/٢٤)! وحسبك هذا من دليل على أنّه ما ادّعى غيرَ النبوّة المعلومة.

---

(١٧) **مقامع الصلبان**، نشره عبد المجيد الرافعي سنة ١٩٧٥ تونس؛ ونشره محمد شامة، تحت إسم "**بين الإسلام والمسيحيّة**"، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٩٧٢؛ ط ٢، ١٩٧٥؛ ٤٣٢ص.

«وفي الإنجيل لمرقس: أنّ رجلاً أقبل إلى المسيح وقال له: "أيّها المعلّم الصالح!.. فقال له: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلاّ واحد وهو اللّه" (مر ١٠/١٧-١٩).

وعن رفض ألوهيّة عيسى، يقول الخزرجي: «لعمري! إنّ العرب، عبدةَ الأوثان، الذين بعث اللّه فيهم سيّدَ النبيّين والمرسلين، محمّداً، صلّى اللّه عليه وسلّم، كانوا أشدّ الكفّار عبادةً للأوثان، وأشنعهم إلحاداً. ورغم هذا، فلقد اتّقوا من مثل ما أنتم عليه حين قالوا عن أوثانهم وأصنامهم: "مَا نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيُقَرِّبُونَا إلَى اللَّهِ زُلْفَى" (٣٩/٣). فكأنّهم نزّهوا اللّهَ تعالى. إلاّ أنّهم جعلوا واسطةً بينهم وبينه جهلاً منهم.

ما أبينَ فضلُ هؤلاء على مَن اعتقد أنّ اللّه، نزل من السماء عن كرسي عظمته، ودخل في امرأة، وأقام يتخبّط تسعة أشهر في بحرٍ بين بولٍ ودمٍ وطمثٍ، ثم خرج بعد ذلك إلى لطم اليهود خدّيه، وصفعِهم في قفاه، وبصقِهم في وجهه، ووضعِهم تاجاً من الشوك على رأسه، وقصبةً في يده استخفافاً به، وتسميرِهم يديه ورجليه في خشبة، وصلبِهم إيّاه عليها، وإيجابِه، تبارك وتعالى، على نفسه اللّعنةَ بذلك، لأنّه تعالى قال في التوراة: "مَلْعونٌ، ملعُونٌ مَنْ تَعَلَّقَ بالصَّليب" (تث ٢١/٢٢-٢٣)».

ويرفض **الزاهدي** (ت ٦٥٩/ ١٢٦٠) إيمان النّصارى بكون عيسى ولداً للّه، وينقل حواراً جرى بين شيخٍ مسلم وأحد عظماء النصارى، فيقول:

«قال الـشيخ لعظيم النّصـرانيّة: كـيف حالك؟ كـيف أهلك؟ ووَلَدُك؟

«قال: فأخذتْه العزّةُ وقال: أمِثْلي يكونُ له ولد؟

«وقالت البطارقة: إقتلوه.

«قال الشيخ: فأنتَ تزعُمُ للّه أهلاً وولداً، وتأنفُ أن يكون لك وَلَدٌ، وتختلط بالنـساء الحُيَّض؟ وتزعم أنّ ربّ العـالمين سكن ظلمة البطن، وضيقَ الرّحِم؟!!

فسكت القسُّ.

«فقال الشيخ: مالكَ لا تُجيبُني؟

«قـال القسّ: هذا شـيطانٌ رمـى به البـحـر إلـى بلادكم فأخْرِجوه إلى بلاده كيلا يُفْسِدَ عليكم دينَكم.

«قال الشيخ للقَسّ: إنْ عبـدتُم عيسى لأنّه لا أبَ له؛ فهذا آدم لا أب له ولا أم، خلقَه اللّه تعالى بيده، فضمّوه إلى عيسى.

«وإنْ عبـدتموه لأنّه أحيا الموتى؛ فـهذا حِزْقـيل تجدونه في الإنجيل، إنّه مرّ بميتٍ فدعا اللّه فأحياه، فضُمّوا حزقيلَ إليهما.

«وإنْ عبـدتموه لأنّه أراكم الأعاجـيب؛ فهـذا يوشع بن نون قاتلَ العـمالقة حتى كـادت الشمس تغرُب، فقـال: ألا ارجعي بإذن اللّه، فرجعتْ..

«وإنْ عبـدتموه لأنّه عُرِجَ به إلى السماء؛ فـإنّ الملائكة تعرُجُ إليه في كلّ يوم، ومع كل إنسانٍ اثنان بالليل وإثنان بالنهار»[١٨].

---

(١٨) **الرسالة النّاصريّة**، حققـها محمّـد المصري، تحقيق التـراث، رقم ١١. منشورات

ويردّ **القرافي** (ت ٦٨٤/ ١٢٨٥) على قول النصارى بأنّ المسيح « تجسّم إنساناً من الروح القدس ومن مريم»، ويقول :

«هذا موضع الخبط والجهل والكفر، وعدم الإنسانيّة بالكلّيّة. كيف يتخيّل عاقلٌ أنّ النطق يصير جسماً؟.. وكيف يتخيّل عاقلٌ أنّ المعاني تنقلب أجساماً؟.. فكيف ينقلب المفتقر لذاته مستغنياً لذاته، وذلك كانقلاب الممكن واجباً لذاته، والزوج فرداً والفرد زوجاً، السواد بياضاً. فإنْ كنتم تجوّزون هذا كلّه.. سقطت مكالمتكم، لأنّ الكلام مع البهائم عبث وسفه...» (ص٣٧-٣٨).

ونقل **أبو عمر السكوني** (ت ٧١٧/١٣١٧)، في المناظرة ١٤١[١٩]، ما جرى بين الفخر الرازي وأحد النّصارى في شأن حلول عيسى في بدن إنسان. يقول: «اتّفق أنّي حين كنت بخوارزم أُخبرتُ أنّه جاء نصراني يدّعي التحقيق والتعمّق...، يقول بـ " حلول الإله في بدن عيسى، عليه السلام " . يسأله الرازي: " فكيف عرفتَ أنّ الإله ما حلّ في بدني وبدنك وفي بدن كلّ حيوان ونبات وجماد؟» "

أمّا شيخ الإسلام، **إبن تيميّة** (ت ٧٢٨/١٣٢٧)، فينكر ألوهيّة المسيح وبنوّته للّه على الشكل التالي:

أ - إذا كانت أسماء الله كثيرة... فالاقتصار على ثلاثة أسماء دون غيرها باطل.

المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط ١، ١٩٩٤: ٨٨ ص. رَاجع : ص ٥٩.

(١٩) **عيون المناظرات**، تحقيق سعد غراب،منشورات الجامعة التونسيّة، ١٩٧٦

٢– إنّ القـول بأنّ الإبنَ نطقُ العقلِ يعني أنّ الإبـنَ متـأخّرٌ عن العقل كتأخر النطق عن العـقل.. وكذلك القول بأنّ الروح حياة، يعني أنَّ الروح متأخّرة عن اللّه مبدئِها. وهذا باطل كلّه.

٣– إنّ القـول بأنّ الإبن مـولود مـن اللّه، والولادة صـفـة لازمة للّه، كذلك الحياة صفة لازمة للّه، فيكون الروح القدس أيضًا ابنًا ثانيًا للّه.

٤– إنّ تسمية حياة اللّه روح القدس أمر لم تنطق به الكتب. فهو تبديل وتحريف من النصارى.

ثمّ يبـيّن إبن تيـميّـة تناقضَ النصارى في قولهـم باتّحاد اللاّهوت بالنّاسوت، فيقول: «والنّصارى تدّعي اختصاص المسيح بالاتّحاد، مع أنّ المتّحد بالناسوت صار هو والناسوت شيئاً واحداً. ومع الاتّحاد فـيمتنع أن يكون لأحـدهما فعل، أو صفـة خارج عن الآخر. والنّصارى يدّعون الاتّحاد ثم يتناقضون»[٢٠].

ويطيب **لابن قيّـم الجوزيّة** (ت ٧٥١/ ١٣٥٠) الحديث عن ألوهيّة المســيح وهو في بطن أمه يتخبّط بين البـول والدم، ويعجب كلّ العجب من إلهٍ هذا شأنه. يقول:

«ألا يســتـحي (النصــراني) من أصل دينه الـذي يدين به اعـتـقـاده أنّ ربّ الســمـوات والأرض، نزل عن كـرسـيّ عظمـتـه

---

(٢٠) **الجواب الصحـيح لمن بدّل دين المسيح**، مطبعة المـدني بمصر، ١٩٥٩؛ ٣ أجزاء؛ رَ: ١/ ٢٥٩–٢٦٠.

وعــرشه، ودخل في فــرج امرأة تأكــل وتشرب وتبــول وتتغــوّط وتحيض، فالتحم ببطنها، وأقام هــناك تسعة أشهر يتلبّط بين نجْوٍ وبول ودمٍ وطمثٍ!! ثم خرج إلى القماط والسرير!! كلّما بكى ألقمتْه أمّه ثديها؛ ثم انتقل إلى المكتب بين الصبيان».

«ثم آلَ أمرُه إلى لَطْم اليهودِ خدّيه، وصفْعِهم قفاه، وبصْقِهم في وجهــه، ووضْعِــهم تاجًا من الشوك على رأســه، والقصــبة في يده، استــخفافًا بــه وانتهاكًا لحــرمته. ثم قــرّبوه من مركب خُصّ بالبــلاء راكبُــه، فشــدّوه عليــه، وربطوه بالحبــال، وسمّــروا يديه ورجليــه، وهو يصــيح، ويبكي، ويســتــغيث من حــرّ الحــديد وألَم الصلب. هذا وهو الذي خــلق السمــوات والأرض، وقــسم الأرزاق والآجال. ولكن اقتضتْ حكمتُه ورحمتُه أن يمكّن أعداءه من نفسه، لينالوا منه ما نالوا؟!».

ثمّ يتساءل إبن قيّم الجــوزيّة عن ألوهيّة المسيح، وينتظر من النصــارى «أمّــة الضــلال» جوابًا. فــيقول: «يا معــشر المثلّثة وعــبّاد الصليب! أخــبرونا مَن كــان الممسكُ للســموات والأرض حــين كان ربُّها وخالقُها مربوطًا على خــشبة الصليب!.. أم تقولون: استخلف على تدبيرها غيرَه!.. أم تقولون: كان هو المدبّر لها في تلك الحال!.. أم تقولون: لا ندري!.. ما الذي دلّكم على إلهيّة المسيح؟!..

«إن قلتم: إنّمــا اســتــدللنا على كــونه إلــهًا بــأنّه لم يولد من البشــر، ولو كان مــخلوقًا لكــان مولودًا من البــشر. فإن كــان هذا الإستــدلال صــحيــحًا فــآدم إله كالمسيح، وهو أحقّ بــأن يكون إلهًا

منه، لأنّه لا أم له ولا أب، والمسيح له أم؛ وحوّاء أيضًا، إجعلوها إلهًا خامسًا، لأنها لا أم لها. وهي أعجب من خلق المسيح؟!

«وإن قلتم: استدللنا على كونه إلهًا بأنّه أحيا الموتى، ولا يحييهم إلاّ اللّه. فاجعلوا موسى إلهًا آخر، فإنّه أتى من ذلك بشيء لم يأت المسيح بنظيره، وهو جعل الخشبة حيوانًا عظيمًا ثعبانًا. فهذا أبلغ وأعجب من إعادة الحياة إلى جسمٍ كانت فيه أوّلاً.

«فإن قلتم هذا غير إحياء الموتى! فهذا أليسع النّبي أتى بإحياء الموتى وهم يقرّون بذلك؛ وكذلك إيليّا النّبي أيضًا أحيا صبيًا بإذن اللّه؛ وهذا موسى قد أحيا بإذن اللّه السبعين الّذين ماتوا من قومه. وفي كتبكم من ذلك كثير عن الأنبياء والحواريّين! فهل صار أحد منهم إلهًا بذلك؟!

«وإن قلتم: جعلناه إلهًا للعجائب التي ظهرتْ على يديه! فعجائب موسى أعجب وأعجب؛ وهذا إيليا النّبي بارك على دقيقِ العجوز ودهْنِها فلم ينفد ما في جرابها من الدقيق وما في قارورتها من الدهْن سبع سنين!!

«وإن جعلتموه إلهاً لكونه أطعم من الأرغفة اليسيرة آلافًا من الناس! فهذا موسى قد أطعم أمّته أربعين سنة من المنّ والسلوى!! وهذا محمّد بن عبد اللّه قد أطعم العسكر كلّه من زادٍ يسيرٍ جدًا حتّى شبعوا وملئوا أوعيتَهم، وسقاهم كلّهم من ماءٍ يسير؟!.

«وإن قلتم: جعلناه إلهًا لأنّه صاح بالبحر فسكنتْ أمواجُه! فقد ضرب موسى البحرَ بعصاه فانفلق اثنَي عشر طريقًا وقام الماء

بين الطرق كـالحيطان، وفجّـر من الحجـر الصّلْد إثني عشـر عينًا سارحة؟!

«وإن جعلتموه إلهًا لأنه أبرأ الأكمه والأبرص! فإحياء الموتى أعجب من ذلك، وآيات موسى ومحمد أعجب من ذلك؟!

«وإنْ قلتم: إنّمـا جعلناه إلـهًا لأنّه أخـبر بما يكون بعـده من الأمور. فكذلك عامّة الأنبياء، وكثيرٌ من الناس يُخبر عن حوادث في المستـقبل جـزئيّة، ويكون ذلك كـما أخبـر به، ويقع من ذلك كثـير للكهّان والمنجّمين والسحرة؟!

«وإن قلتم: إنّما جعلناه إلهًا لأنه سمّى نفسه ابن اللّه في غير مـوضع من الإنجيـل كقـوله "إنّي ذاهب إلى أبي"، و"إنّي سـائل أبي"، ونحو ذلك، وابن الإله إله! قيل: فاجعلوا أنفسكم كلَّكم آلهة!!

«وإن قلتم: إنّمـا جعلناه إلهًـا لأنّه صعـد إلى السـماء! فـهذا أخنوخ واليـاس قد صـعدا إلى السـماء، وهما حـيّان مكرَّمـان، لم تشكّهما شوكـةٌ، ولا طمع فيهما طامع. والمسلمون مـجمعون على أنّ محمدًا صعد إلى السمـاء وهو عبدٌ محض؛ وهذه الملائكة تصعد إلى السماء؛ وهذه أرواح المؤمنين تصعد إلى السمـاء بعد مفارقتها الأبدان، ولا تخـرج بذلك عن العـبـودية. وهل كـان الصـعـود إلى السماء مُخرِجًا عن العبودية؟!

«وإن جعـلتمـوه إلهًا لأنّه صنع من الطين صـورةَ طائرٍ، ثمّ نفخَ فيها فصارتْ لحمًـا ودمًا وطائرًا حقيقةً، ولا يَفعَل هذا إلاّ اللّه!

قيل: فاجعلوا موسى بن عمران إلهَ الآلهة، فإنّه ألقى عصًا فصارتْ ثعبانًا عظيمًا، ثم أمسكها بيده فصارتْ عصا كما كانت!!.

«وإن قلتم: جعلناه إلهًا لشهادة الأنبياء والرسل له بذلك!.. قيل لكم: فاجعلوا جميع الرسل آلهة فإنّهم خَلَّصوا الأمم من الكفر والشرك، وخلّصوهم من النار بإذن اللّه وحده. ولا شكّ أنّ المسيح خلّص مَن آمن به واتّبعه من ذلّ الدنيا وعذاب الآخرة، كما خلّص موسى بني إسرائيل من فرعون وقومه، وخلّصهم بالإيمان بالله واليوم الآخر من عذاب الآخرة، وخلّص اللّه سبحانه بمحمّد بن عبد اللّه عبدِه ورسولِه من الأمم والشعوب ما لم يخلّصه نبيّ سواه. فإن وجبت بذلك الألوهيّة لعيسى فموسى ومحمد أحقُّ بها منه؟!».

وخلاصة الكلام، إنّ المسيحيّين، في رأي ابن قيّم الجّوزيّة، هم أضلّ من الحمير في إيمانهم وعقائدهم. يقول: «وأمّا أمّة الضلال وعبّاد الصليب والصّوَر المزوّقة في الحيطان، وإخوان الخنازير، وشاتمو خالقهم ورازقهم أقبحَ شتم وجاعلوه مصفعةً لليهود، وتواطؤهم على ذلك وعلى ضروب المستحيلات وأنواع الأباطيل، فلا إله إلاّ اللّه الذي أبرز للوجود مثلَ هذه الأمّة التي هي أضلّ من الحمير ومن جميع الأنعام السائمة»[٢١].

(٢١) **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى**، توزيع الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة؛ المملكة السعوديّة؛ ١٣٩٦هـ؛ ١٩٤ ص.

ويتحـيّر **التـرجمان الميُـورَقي**[٢٣]، في أمر ألـوهيّة عيـسى وبنوّته للّه، كـيف هو "بكر الخلائق"، فيـما هي كانت قـبلَه؟ ينقل قولَ أحـد النّصارى، فـيقول: «قـد قال اللّعين إنّ المســيح خالق كلّ شيء، ثمّ قــال وُلد من أبيــه قبل العــوالم وهو بكر الخــلائق كلّهــا. فمتى خَلَقَ كلَّ شـيء؟ قبل ميـلاده، وهو عدم؟! أم بعد ميلاده، وهو صبيّ رضيع؟! ومَن كان يدبّر السمــوات والأرض ومَن فيهما وما بينهما قبل ميلاده؟! وكيف يكون بكر الخلائق، وهو خالقها؟!».

ويتــابع: «أنظر قــول هذا الخــبـيـث: إنّ المســيح إله حقّ من جوهر أبيــه؛ ثمّ قال: إنّه نزل من السمــاء فتجسّـد في بطن مريم... والعجب أنْ يتجسّد مَن ليس بجسد ولا جوهر. ويتعالى ربُّنا خالقُ الجواهر والأعراض عن أن يكون له جوهر يتكوّن منه المسيح، وأن يتجزّأ أجزاء، يستقرّ منها جزء في بطن مريم مختَلطاً بدمها وبولها ورَوثها. فما أعظم جـرأة هؤلاء الكفرة على اللّه، وما أعظم حلم اللّه عليهم! والحمد للّه الذي عافانا ممّا ابتلاهم» (ص ١٧٤).

وعن تصريح الأناجيـل بناسوت المسيح، يقول التـرجمان: «نطق الإنجيل الأوّل (متّى) بأنّ المســيح قلّم أظافرَه، وقصّ شعرَه، ونما جسدُه طولاً وعـرضاً. فإنْ كان على قولهم خالقــاً أزليّاً، وقد بانت منه هذه الأجـزاء من الشــعر والأظافـر، وانفـصلت عن كلّه، وصارت رميماً، وتلاشتْ حـتّى لم يبقَ لها وجود. فالخالق الأزلي، على هذا، قد فـسد بعضُــه وتلاشى، وبقي بعضُــه على حاله. ومَن

---

(٢٣) تحفة الأريب في الردّ على أهل الصليب.

فسد بعضُه فالفساد واصلٌ إلى كلِّه. ومَن كان له بعضٌ وكلٌّ، فهو محدودٌ ومحتاجٌ إلى ما يحمله ويحدّه» (ص١٩٩-٢٠٠).

«ويقال لهم أيضاً: هذا المسيح الذي تعتقدون أنّه اللّه الخالق الأزلي، هل كان في بلدٍ أو في زمانٍ أم لا؟ ولا يقدرون على إنكار ذلك لأنّ إنجيلَي متّى ولوقا صرّحا بأنّه وُلد في بلد بيت لحم في زمن رودس الملك، وأنّه قتل وصلب في أيّام بيلاطوس الملك. وكلّ مَن كان في زمان وفي مكان، فالزمان لا بدّ وأن يكون قبلَه، والأمكنة محيطة به. ومن كان كذلك فهو مخلوق.» (ص٢٠١-٢٠٢).

أمّا **رحمة اللّه الهندي**[٢٤] فيُبطل ألوهيّة المسيح بالإستناد إلى ما جاء في الإنجيل نفسه. فهو يستشهد بنصوص عديدة تفيد حجَّتَه ومأخذه على المسيحيّين في عقيدتهم.. ثمّ يقدّم الحجج على إبطال ألوهيّة المسيح فيقول :

أوّلاً – إنّ إطلاق لفظ "ابن اللّه" على المسيح، هو «دليل في غاية الضعف بوجهين: أوّلاً – لأنّ هذا الإطلاق معارض بإطلاق "ابن الإنسان"، وبإطلاق "ابن داود". وثانياً – فلأنّه لا يصحّ أن يكون لفظ الإبن بمعناه الحقيقي؛ لأنّ معناه الحقيقي، باتّفاق لغة أهل العالم مَن تولّد مِن نطفةِ الأبوين. وهذا محال ههنا. فلا بدّ من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح» (٢/ ١٥-١٦).

---

(٢٤) **إظهار الحقّ**، وهو مناظرة جرت بين المؤلّف والقسيس فندر صاحب كتاب «ميزان الحقّ»؛ دار الجيل، بيروت ١٩٨٨؛ جزءان: ٣٥٨ و٢٤٢ ص.

ثانياً– في يو ٨/ ٢٣: "قال لهم: أنتم من أسفل، أمّا أنا فمن فـوق. أنتم من هذا العـالم، أمّـا أنا فلست من هذا العـالم"... إلاّ أنّ عيـسى قال مـثل هذا القول في حقّ تلامـيذه في يو ١٥/ ١٩: "لو كنتم من العـالم لـكان العـالم يحبّ خـاصّـته. ولـكنّكم لسـتم من العالم"، وقال أيضاً في يوحنا ٧/ ١٤: "إنّهم ليسوا من العالم، كما أنّي لست من العـالم". هكذا سوّى عـيسى بينه وبين تلامـيذه في عدم الكون من هـذا العالم. فلو كان هذا مـستلزمـاً للألوهيّة، كـما زعموا، لَزمَ أن يكونوا كلّهم آلهة. والعياذ باللّه» (٢/ ٢٠).

ثالثاً– في يو ١٠/ ٣٠، قـال عيسى: "أنـا والأب واحد". مـــثل هذا الـكلام وقع في حقّ الحـــواريّـين في يو ١٧/ ٢١–٢٣: "ليكونوا واحـداً، كمـا أنك أنت أيّها الأب فيّ وأنا فـيك. ليكونوا هم أيضاً واحـداً فينا... ليكونوا واحـداً كمـا أنّنا نحن واحد. أنا فـيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحـد". لقد سوّى في القـول الثاني بين اتّحاده باللّه وبين اتّحاده فيما بينهم» (٢/ ٢١).

رابعاً– في يو ١٤/ ٩–١٠، قال عـيسى: "ألذي رآني فـقد رأى الأب... ألست تـؤمن أنّي أنا في الأب والأب فـيَّ". مـــثل هذا الكلام قاله بالنســبة إلى تلاميـذه في يو ١٤/ ٢٠: "في ذلك اليوم تعلمون أنّي أنا في أبي وأنتم فيّ وأنّي فيكم" (٢/ ٢١–٢٢).

وهكذا يستـمرّ الهندي، في معظم كتـابه، في إظهار تناقض الأناجيل؛ وذلك في إظهار ما هو عليـه عيسى مع الآب هو عليه مع تلاميذه.

أمّا **منصور حسين عبد العزيز**[٢٥] فيستفيض في إنكار ألوهيّة المسيح، مستنداً إلى الأناجيل وإلى الحجج العقليّة معاً، فيقول : إنّ بنوّة المسيح للّه مثلها مثل بنوّة كلّ إنسان: « يَرِدُ على لسانه قوله: "أبي الّذي في السموات"، كذلك يرِد على لسانه قوله: "أبوكم الذي في السموات". وكما يقال عنه "إبن اللّه"، يقال عن صانعي السلام أنّهم "أبناء اللّه".

وعلى هذا فإنّ هذه البنوّة التي وردت في هذه الأناجيل (الإزائيّة) الثلاثة على لسان المسيح –وحتّى بفرضِ صحّتها– لا تعني تمييزاً خاصّاً للمسيح عن الناس» (ص٤٤٣).

ثمّ يستند عبد العزيز إلى أقوال الأناجيل لينفي ألوهيّة المسيح، فيقول :

١. عن تجارب المسيح[٢٦]، يقول: «إنّه من غير المتصوّر أن إبليساً يختبر اللّه. إنّه للغوٌ حقّاً مثل هذا القول. فليس اللّه بالذي يمكن أن يجرِّبه إبليس، أو أن يتعرّض لإغراء إبليس» (ص ٤٥١).

٢. وعن صلاة المسيح للّه[٢٧] يقول عبد العزيز: «وفي هذه الآيات نرى المسيح يصلّي، يصلّي للّه. ويقضي اللّيل كلّه في الصلاة للّه. فهل كان يصلّي لنفسه؟ إنّ هذا غير معقول. بل كان يصلّي للّه» (ص٤٥٤).

---

(٢٥) **دعوة الحق، أو الحقيقة بين المسيحيّة والإسلام**، مكتبة علاء الدين، الإسكندريّة.

(٢٦) في متى ٤/١–١٠، ولوقا ٤/١–١٣.

(٢٧) متى ١١/٢٥؛ لوقا ٦/١٢؛ ١٠/٢١؛ مرقص ٦/٤٦.

٣. وعن الرّوح القـدس[٢٨]يقـول: «مفـهـوم هذه الآيات أنّ الرّوح القدس الذي هو اللّه أيضاً عند المسيـحيّين، غير المسيح الذي أشيـر إليه على أنّـه ابن الإنسان، لأنّهـما إن كانا واحـداً لوجب أن يكون الحكم واحـداً بالنسـبـة لمن يجـدّف على أيّ منهـمـا. ولكن التـجديف هنا يُغـفر إذا كـان على المسيح، ولا يُغـفر إذا كـان على الروح القدس الذي هو اللّه أيضـاً في اعتقـادهم. ومن ثمّ فلا يمكن أن يكون المسيح هو اللّه» (ص٤٥٤-٤٥٥)

٤. وعن وصف المسيح نفسه بالنّبيّ[٢٩] يقول عبد العزيز: «هنا لا نرى المسيح يصف نفسه في هذه الآيات إلاّ بالنّبي. ولم يزد على ذلك شيئاً»، أي لم يقل عن نفسه بأنّه إله أو إبن للّه (ص٤٥٥).

٥. ثمّ «ها هو يتحدّث عن ساعة انقـضاء الدهر، فيقول بأنّ أحداً غير اللّه، وحتّى هو نفســه، لا يعلمها، فيقطع بذلك لمن يعي أنّه ليس اللّه، وإلاّ لكان على علمٍ بتلك الساعة» (ص ٤٦٩).

٦. وأخيـراً، إنّ المسيحـيّين «يسلّمون بأنّ المسيح لم تعـرفْه أمُّه العـذراء الطاهرة إلاّ إنسـاناً، رغم أنّها أدرى الـناس بأنّها ولدته ولم يمسَّها بشر، وعرفه الناس جمـيعاً طفلاً وشـاباً ورجلاً، مجرّد إنسـان مـثلهم. ثمّ بدأ يبشّـر بدعوته. فعـرف فيـه الناس فوق ذلك رسـولاً نبيّـاً. ولم يعرف فيه أحدٌ أنّه إلَه، ولـم يدرْ بخلد أحدٍ أنّه قد يكون كـذلك. وظلّ الناس على هذا الاعـتـقـاد بشأنه طـوال فتـرة

---

(٢٨) متى ١٢/٣٢؛ مرقص ٣/٢٨-٣٠؛ لوقا ١٢/١٠.

(٢٩) متى ١٣/٥٧؛ مرقص ٦/٤؛ لوقا ٤/٢.

دعوته. وحتّى بعد رفعه ومرور أيّام على ذلك» (ص ٤٩٠).

ويتّهم **عبد الله العلمي**[٣٠] القدّيس بولس بتأليه المسيح، ويقول عنه بأنّه هو السبب: «ألأصل في دين النّصارى هو التوحيد. ولكن بولس، الذي يُعتبر أفضل مقدَّس عندهم بعد المسيح، نقض الناموسَ حجراً حجراً، ولبنة لبنة» (ص١٥).

وفي رأي العلمي أنّ ألقرآن خصّ المسيح وحده بتعبير «وروح منه» دون سائر الأنبياء؛ وذلك لأنَّ «لفظ "روح" كان دائراً كثيراً على الألسنة.. وكان موضوع حديث القوم. ولقد يروق لذوقهم التعبير بهذا اللفظ؛ ولردّ طعن اليهود في المسيح بقولهم إنّ فيه روحاً شيطانيّة؛ ثمّ لرد طعن أقربائه فيه بأنّه مختلّ العقل.. فنطق القرآن في شأن المسيح عليه السلام بما ينفي عنه وصمة ما ألصقوه به قائلاً "وروح منه"» (ص ٤٦-٤٨).

ثمّ، كما أطلق على المسيح بأنّه «إبن اللّه» (متى ٢١/٢٧)، كذلك أطلق هذا التعبير على كثيرين غيره.

وكذلك «قد أطلق لفظ "الابن البكر" على غير المسيح».

ثمّ إنّ القول بأنّ "اللّه أب المسيح" ليس هو خاصّاً بالمسيح، بل «إنّ لكلّ من له صلة باللّه، يُطلق على اللّه أنّه "أبوه"».

ثمّ إنّ القول بـ «أنّ المسيح عليه السلام وُلِد من اللّه (إش ٩/ ٦)، وأنّه مولود من الرّوح القدس (متى ١/ ٢٠)، وأنّه أتى من فوق

---

(٣٠) كتاب سلاسل المناظرة الإسلاميّة النصرانيّة بين شيخ وقسّيس.

ومن السماء (يو ٣ / ٣١)، فقد كان بنو إسرائيل جميعاً أولاداً للربّ إلههم، وأنّ كلّ من يحبّ إخوانه فقد وُلد من اللّه».

ثمّ إنّ القول بأن المسيح هو "اللّه" ليس خاصّاً بالمسيح وحده، فـ «إنّ الأسفار أطلقت لفظ "اللّه" على ذواتٍ آخرين، كما أطلقته على المسيح، بلا فرق».

وكذلك لفظ "ربّ"، كما أطلقت على المسيح، فقد أطلقت على القاضي والكاهن، وعلى المعلّم والسيّد، وعلى الملاك، وعلى قايين.

وكذلك لقب "مسيح"، الذي أطلق على يسوع، لم يكن لقباً خاصّاً به. فهو لقب أطلق على كثيرين.

وكذلك «لا خصوصيّة للمسيح بتسميته "يسوع" حيث سمّي غيره به أيضاً.

وكذلك إسناد لقب "مخلّص" إلى المسيح ليس خاصّاً به وحده.

وكذلك إسناد لقب "فادي" إلى المسيح فهو إسناد مجازي لا حقيقيّ، لأنّ الفداء يُسند إلى اللّه حقيقة وإلى غيره مجازاً».

وأخيراً، يقول عبد اللّه العلمي: «إنْ كان المسيح فدى الناس بلاهوته، فقد لزمك القول بأنّ اللاّهوت صُلب ومات ودُفن. وإنْ كان فدى الناس بناسوته فقد نفى أن يكون الإنسان فداء الآخر. فإذا كان الذي تألّم وصُلب وقُتل هو الناسوت الإنساني فقط، لم يصلح أن يكون "فادياً"» (ص ١٩١–١٩٨).

يعلّق **عصام الدين حفني ناصف** على اتّحاد اللاّهوت بالناسوت في يسوع المسيح، فيقول : إنّ المسيحيّين «غير مدركين أنّهم بهذا الخلط بين الخالق والمخلوق قد مزجوا النقصَ بالكمال، وأدمجوا الضعفَ في القوّة، وأنشبوا المحدودَ في غير المحدود، وهبطوا بحاكم الكون من فوق عرشه الرفيع ليُضْجِعوه في مذودٍ وضيعٍ مع بهيمة خسيسة من ذوات الأربع، ولفُّوا القهّارَ الذي يَطوي السماوات طيَّ السجل للكتاب، في قماط، وأَسَفُّوا بالقدير من ذروة السماء إلى حضيض الأرض في أحشاء امرأة حملتْ به على وهَن، وولدتْه بعونٍ من قابلةٍ، وتركوه يعول، وينشج، ويرضع، ويبول على نفسه، ثم يحبو، ويتعثّر في مشيته.

«فيا لها من عقيدة غامضة، أفقدت الناسَ التمييزَ بين الخالق والمخلوق.. وما هي إلاّ عبادة الأوثان مزدهرة في كلّ مكان»[٣١] .

ويقول داعي العصر **أحمد ديدات** في معتقد المسيحيّين بألوهيّة المسيح بأنّه مولود غير مخلوق: « إنّ المسلم يعترض على كلمة "مولود"، لأنّ الولادة فعل من الأفعال الحيوانيّة، يخصّ وظائف الغريزة الجنسيّة الدنيا للحيوان. فكيف نعزو للّه مثل هذه الصفة الوضيعة؟!».

ويقول عن ألوهيّة المسيح : «يُصرّ المسيحي، في صبيانته، على أنّ عيسى هو اللّه، لأنّه أعاد للميت الحياة. فهل إحياء الآخرين

---

(٣١) **المسيح في مفهوم معاصر**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩؛ ص ٩.

للموتى يجعل منهم آلهة أيضاً!!»[٣٢].

وينفي **نبيل الفضل**[٣٣] بنوّة المسيح للّه، فيقول: «هذا كفر في نظر اليهود، وهو كفر في نظر المسلمين، وهو كفر في نظر الكثير من المسيحيّين أنفسهم. ولكنّه، للأسف، من مقوّمات المسيحيّة المنتشرة في العالم. وهذا شيء لا يختلف كثيراً عن الوثنيّة وعبادة الأصنام» (ص ٤٧).

ويقدّم البراهين من الإنجيل على قولته هذه، فيقول : «لو انَّ المسيح كان إلهاً، أو ابنَ إله، فهل يعقل أن يجوع؟ "ولمّا خرجوا من بيت عنيا جاع" (مر ١١/١٢).

وهل يعقل أن يعطش؟ "فلكي يتم الكتاب قال أنا عطشان" (يو ١٩/٢٨).

أو يعقل أن يتعب؟ "فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر" (يو ٤/٦).

أو يعقل أن يخاف؟ "لم يرد أن يتردّد في اليهوديّة لأنّ اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه" (يو ٧/١) (ص٤٩-٥٠).

«وهل يُعقل أن لا يكون عارفاً بالمواسم؟ "فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق، وجاء لعلّه يجد فيها شيئاً. فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلاّ ورقاً، لأنّه لم يكن وقت التين" (مر ١١/١٣). هل

---

(٣٢) **المسيح في الإسلام**، القاهرة ١٩٩٠؛ ص ٩٨...

(٣٣) **هل بشّر المسيح بمحمّد**، لندن، ١٩٩٠.

يُعقل هذا؟! إله ولا يعـرف الفصول التي تثمـر فيها الأشـجار التي يعرفها أغلب أبناء الشعب المزارع في ذلك الوقت في فلسطين؟!

«... هل يعـقل أن الشـيطان يجـرِّب، أو يحـاول إغـراء إله؟ والشيطان واللّه ضدّان لا يلتقيان. فكيف يحدث هذا لو كان المسيح إلهاً. ولكن.. ليس هناك ألوهيّة تجرَّب...

«وحسبنا أن نقول: لو انّ اللّه أراد له ولداً لما كلّفه ذلك سوى أن يقول: "كن. فيكون".

«ولو أراد الـلّه أن يـرسل ابنـه هذا إلـى الأرض والنـاس لما جعله جنيناً في بطن امـرأة ليخرج من أحشائهـا بين دماء وقذارة. ولما تركه للجوع ولحلمات امرأة تُرضعه.

«ولو انّ اللّه أراد أن يرسل ابناً له آيةً وهدايةً للبـشر، لأنزله من السماء كاملاً محاطاً بهالات المجد بين الملائكة» (ص ٥١).

أمّا سماحـة الإمام الأكبر **محمـد الحسين آل كاشف الغطاء** فعـناوين فصـوله، وحدَها، تكفي للدلالة على نظـرته وموقفـه من المسيح. فمسيح الإنجيل، في نظره، لا هو إله، ولا نبيّ. إنّه: «إنسانٌ مـحتـالٌ مبـدِّلٌ لأحكام النامـوس، عاقٌّ لوالـديه، ملعونٌ، سكّيـرٌ، مسرفٌ، لا كـرامةَ فيه ولا أمانة، يغازلُ الـنسوان ويُجلس الغلمانَ في حضنه».

يقول معلِّقاً على عـدم تطبيق الحدّ على الزانية: «أنا لا أدري كيف نسـيَ (عـيسى) قولَه: إلى أن تزول السـماء والأرض لا يزول

حـرف واحد، أو نقطة واحـدة من النامـوس. وقـد أكّدتِ التـوراة، وشدّدتْ في إِقـامة الحـدّ على الزانية بما لا مـزيد عليه. وقـد عطّل سيدنا المسيح حدًّا من حدود اللّه من غير سبب ولا توبة ولا كفّارة.

«ثمّ في قـوله: وأنا لا أُدينك أيضًـا بعـد قـوله: مَن كـان بلا خطيئـة فليرمها. هذا دليل عـلى أنّه هو أيضاً من أهل الخطايا، وإلاّ لدانهـا. فالواقع لا يخلو، منطقـيًّا، من أحـدٍ أمرين: إمّـا أن يكون ذا خطيئة، فيكون عذرًا في عدم إقامته للحدّ عليها، أو يكون منزّهًا عن الخطيئة، فيكون قد عطّل الحدّ وأبطل الناموس.

ويعلّق الإمام الأكبر على حادثة المـرأة التي مسحت بشعرها قدمَي يسوع، فيقول: «ما سمعنا في شـيء من النبوّات أن نبيًّا تُقبِّل رجلَيه المومساتُ، وتسكبُ على قدمَيه قارورةَ طيب ناردين خالصٍ كثيرِ الثـمن... نعم ربُّهم اليسـوع... وكان يومئذ شـابًّا وسيمًا، ابن ثلاثين سنة أو دونها، فلعلّه صـبا إلى تلك الخاطئة كـما صبتْ هي إليه، فـمرغتْ وجهَهـا وشعرَها على قـدميه... إنّه كان يشـتهي أن يُقبِّلَـها وتُقبِّلَه، ولـكن الظروف ما سمـحتْ بذلك لرقابةِ الـفرّيسي ويهوذا الإسخريوطي» .

ويختم الإمام الأكـبر كتابه قائـلاً: «ألحقّ أنّ يسـوع، بحسب ذات أناجـيلهم، كان مـجمـوعة خطايا وجـرائم وجرثومـة فسـاد ومآثم»[٣٤].

---

(٣٤) **التوضيح في بيان حال الإنجيل والمسيح**؛دار الغدير؛ ص ٦٠–٦٧؛ ٧١...

أمّا العلاّمة **الشيخ البلاغي** فتستهويه سيرة المسيح مع المرأة الخاطئة، التي قبّلت قدمَي يسوع وغسلتْهما ومسحتْهما بشعر رأسها ودهنتْهما بالطيب: «حتى إنّ صاحب البيت أنكر هذا العمل من امرأة خاطئة مع شاب عمره نحو الثلاثين سنة. ولكن المسيح صار يوبّخه ويشكر محبّتها الكثيرة. يا ولدي! هل هذا العمل من تعليم التوبة والقداسة والعفّة! أو كما يقال: إنّ الغرام لأهله فضّاح!»(٣٥).

ويراقب الشيخ العلاّمة المسيحَ يُجلس الغلمانَ في حضنه، فيقول بلسان أحد المسيحيّين عن اتّكاء يوحنا على صدر المسيح: «إنّي لأخجل كثيرًا من وجود هذا الكلام في إنجيلنا المقدس. فإنّ المسيح الذي جاء ليعلّم الناسَ بأخلاق الأدب والعفاف، كيف يترك الشابَ يجلسُ في حضنه، ويتّكأ (كذا) على صدره، حاشا المسيح وحاشا الإنجيل الحقيقي من ذلك!» (ص١٢٥-١٢٦).

ولكن، يبدو، بالنسبة إلى الشيخ، أنّ التهمة ثابتة على المسيح، «فكم كان عمر يوحنا حينما كان متّكئًا في حضن المسيح، ويتّكأ (كذا) على صدره، ويتغنّج عليه. هل كان يوحنا ابن أربع سنين أو ثلاثة حتى لا يكون هذا العمل قبيحًا؟.. يوحنّا كان، قبل الإتّكاء في حضن المسيح بثلاث سنين، يعمل في السفينة ويصيد السمك ويصلح الشباك. ولا يمكن أن يكون عمره، بحسب العادة

(٣٥) **الرحلة المدرسية**، ص ١٣٩.

حين الإتّكاء، أقل من أربعة عشر سنة». فإذاً «المسيح كان يُجلس يوحنا الحبيب في حضنه ويتركه يتدلّل عليه، ويتّكأ (كذا) على صدره، إذ ذاك في غضارة الشباب ونعومة الجسد. أهكذا تكون عفّة الرسل وتأديبهم لتلاميذهم وتعليمهم للناس؟» (ص ١٢٥).

ويتساءل **إبن الخطيب**: «من أين جاءت الألوهيّة لَمن نزل من فرج امرأة؟ أين جاءت الألوهيّة لمن أكل الطعام ضمن الآكلين، ودخل بيت الخلاء كسائر الداخلين؟»[٣٦].

أمّا **شريف محمد هاشم**[٣٧] فكان همّه في التركيز على أنّ عيسى كان نبيًا لا غير، وكان نبيّ اليهود فقط. ولم يفكّر بهداية غير اليهود، فهو أيضًا لم يتصوّر أن تتخطّى مبادؤه ووصاياه عتبةَ الديانة اليهودية والشعب اليهودي (ص ١٦٩).

و يرفض السيد هاشم ألوهيّةَ المسيح، وبنوّته للّه. ويعتبر هذه البنوّة لله «هديّةً» من القديس بولس الذي أراد أن يكفّر عن أعماله المشينة بحقّ المسيحيّين قبل ارتداده. ومع هذا يكتشف السيد هاشم أنّ بولس إيّاه هو الذي «كشف بصراحة ووضوح عن نظريّته القائلة بأنّ عيسى هو ابن الله» (ص٢٢٨)، وهو الذي «أدخل أبّوة الله للمسيح، أو بنّوة المسيح لله، على خط الإيمان المسيحي، ولأوّل مرّة» (ص٢٢٩).

---

(٣٦) **هذا هو الحقّ!** ص ٦٣.

(٣٧) **الإسلام والمسيحيّة في الميزان**، بيروت، ١٩٨٨.

أمّـا سمـاحة مـفتي الجـمـهوريّة اللبنانيّـة، **الشيـخ حسن خالد**[٣٨]، فيفيدنا، بأسلوبه المعاصر، بما قاله المسلمون من قبل.

يقول في ألوهيّة عيسى : «لقد جحد القائلون بألوهيّة عيسى الحقـيقةَ.. ولو كـان المسيح إلهًـا، أفما كـان بمقدوره أن يدافعَ عن نفســه قهْرَ الله! فقـد ثبت أنّ الأسفار القـديمة قد أطلقتْ لفظةَ الله على المســيح وأطلقـتـهـا أيضًـا على الملـك وعلى القـاضي، وعلى الشريف والقـويّ وعلى النبيّ.. يضاف إلى مـا تقدّم أمـران هامّان هما: إنّ المســيح وصفَ نفسَه أكـثر من مرّة في الأناجـيل الأربعة بأنّه «إبن الإنسان»... وأنّه أبدى عدمَ رضــاه لوصفه بالصلاح من قِبل بعض الناس» (ص٦٦١-٦٦٣).

وعن بنّوة عـيسى لـلّه، يقول الشـيـخ : «يســترسل القـرآن الكريم في تتبّـع أخطاء النصارى وضلالاتهم العـقدية، ويتـصدّى لدعواهم بنوّة عيسى للّـه، وينفيها نفيًا قاطعًـا، ويقول: «ما كان للّه أن يتّخذَ من وَلَدٍ سبحانَه» (١٩ / ٣٥)..

ويعلّق الشــيخ: «أو ليس مثل هذا الإعـتقاد ممّا يـشتّت ذهن الإنسـان الذي يرغـب بأن يكون مؤمنًا، ويدفعـه دفعـاً للوقوع في القول بتعددِ الآلهة!.. إنّ مثل هذا لا يقبله الإسلام..

هذه البنوّة للّه، «كـانت مـعروفـة من قَـبلُ لفـراعنة مصـر، وكذلك لبعضِ قياصرة الرومان وأكاسرة الفرس.. ورُوي مثلُ هذا

---

(٣٨) موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة.

عن أتباع الفيلسوف فيثاغورس إذ كانوا يعتقدون بأنّه الإله أبولون.. ويمكن تتّبع هذه العقيدة عند وثنيّي اليونان وغيرهم، بحيث نراها جليّةً واضحةً عند الأمم الخالية» (ص٥٩٦-٥٩٨).

أمّا **أحمد زكي**، الذي كتبَ مطوّلاً في مَن هو يسوع المسيح، فيطعن، في كلّ صفحة من صفحات كتابه[٣٩]، بألوهيّة المسيح وبنوّته للّه. ألمسيح، عنده، تبعاً لكلام القرآن، والمسلمين عامّة، إنسانٌ، اختاره اللّه، مثل سائر الأنبياء. أرسله إلى بني إسرائيل فقط، ليخلّص "الخرافَ الضالّة". ولم تكن نبوّتُه عامّة شاملة، كما سيكون عليه "النبيّ المنتظر"، خاتم الأنبياء، محمّد.

يبتدئُ السيّد زكي ساخراً: «إذا كان المسيح هو اللّه، فمَن تكون أليصابات أمُّ يوحنّا المعمدان؟ خالةَ اللّه! ومَن يكون زكريّا؟ زوجَ خالة اللّه! ومَن يكون يوحنّا المعمدان؟ إبنَ خالة اللّه! ثمّ، باللّه، تعَالَوا نتساءل: لو تزوّج المسيح، فماذا نسمّي أولادَه؟ وبناته؟ وأصهارَه؟.. هل تقول: بنتَ اللّه! وصهرَ اللّه! وحماة اللّه! وكنّة اللّه!».

ثمّ «من قال لهم : إنّ الإله يكون جنيناً، ثم يولد، ويرضع ثديَ أمّه، ويحبو، ويبوّل في فراشه، فينمو، ويكبر، ويغدو إلهاً؟!

«ثمّ نسألهم أيضاً: ما الذي يجعل اللّهَ يتقوقع وينحشر في رحم مريم تسعة شهور؟!

---

(٣٩) أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح.

«كمــا نســألهم: مَن كــان يديرُ السـمــاء، ويُنزلُ المطر، ويُرزق البشـر عـلـى هذا الكوكب؟!.. وكيف غاب عن الشيطان أن يســتولي على الحكم في هذا الكون.. وإلهه محشور في رحم مريم؟!.

«ونقــول لهم: «أين ترك (المسيح) ألوهيّـتَه عنـدما تجـسّد؟ ومَن الذي ائتمنــه عليها طيلةَ ثلاثةٍ وثلاثــين عاماً؟ أي حـياته على الأرض!؟ وكـيف لم يستـغلّها ذاك (الـشيطان)؟ ويحكم العــالم؟!» (ص٤٦٢).

ثمّ يقدّم السيّد زكي البـراهين من الإنجيل نفسه على بطلان ألوهيّة عيسـى. فيقول : خذوا مثلاً :

١. وأمّا ذلك اليوم وتلك الساعة، فـلا يعلمهما أحد.. إلاّ إلهي وحدَه (مـتى ٢٤/ ٣٦). فهــا هو شيء غاب عن علم عـيسى. واللّه الحقيقي لا يغيب عن علمه شيء.

٢. وأمّا الجـلوس عن يميني فليس لي أن أعطيه (مـتى ٢٠/ ٢٣). وهذا شيء لا يستطيعــه عيسـى. بينما اللّه الحقـيقي يستطيع كلّ شيء.

٣. مَن الذي لَمَسَني؟ (لوقا ٨/ ٤٥). إذا كان عيسى لا يعرف مَن الذي لمســه مِن الخلف، فأنّى له أن يعـرفَ ماذا كان يـجري في إيطاليا أو البرازيل أو الفلبّين!

٤. ولمّا دخل الســفـينــة.. وكـان نائمــاً (مـتى ٨/ ٢٤). من صــفات اللّه أنّه لا ينام. وها هو عـيـسى كان نائمــاً. فإذا كـان إلهُ

الكنيسة ينام، فمَن يحصي الحسنات والسيّئات ليكافئ أو يجازي بها البشر؟!

٥. وفي الصبح.. جاع. فنظر شجرةَ تين.. فلم يجد إلاّ ورقاً (متى٢١/١٨). فلو كان عيسى إلهاً لما جاع، ولعرف مسبقاً أنّها لا تحمل إلاّ ورقاً. علماً أنّ اللّه غنيٌّ عن الطعام والشراب (ص٢٦٠-٢٦١).

٦. على متّى (٩/ ٣٥-٣٨) حيث "يسوع يطوف في المدن، يعلّم ويكرز"، يقول السيّد زكي: «سؤالنا لكلّ الذين يعتقدون أنّ عيسى إلهاً، هل الذي يعلّم ويكرز في المدن والقرى يكون إلهاً أم نبيّاً؟!» (ص٤٦٤).

٧. وعلى أنّ عيسى "كان يصلّي" (لو٣/ ٢١)، يعلّق السيّد زكي: «نحن نقدّم نصَّ لوقا هذا للقساوسة.. الذين يزعمون أنّ عيسى إله.. فهلاّ قالوا لنا لَمَن كان يصلّي؟! هل كان يصلّي لنفسه؟! أى إنّ ناسوتَه كان يصلّي للاهوته؟!.. إنّنا، حتّى في الوثنيّة، لا نقرأ أنّ إلهاً صلّى لإله» (ص ٤٦٥).

٨. وعلى ما جاء في متّى (٨/ ١٩): "يا معلّم! أتبعك أينما تمضي"، يعلّق السيّد زكي: «لاحظ عزيزي القارئ، إنّ الكاتب قال له "يا معلّم". والتلميذ ناداه "يا سيّد". هكذا كانت نظرة الناس والتلاميذ إلى المسيح. معلّم وسيّد. ولم ينظر له أحدٌ قط على أنّه إله. ولو ناداه أحدٌ: يا ألله! لقطعوا رأسَه. وهذا يناقض زعم الكنيسة التي منحتْه ترقيةً برتبة إله» (ص٤٤٥).

٩. وعلى قول المسيح في متّى (٨/ ٢٠): "وأمّا ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه"، يعلّق السيّد زكي: «هذا القول يؤكّد أنّ عيسى ليس اللّه، ولا بحال. أخالقُ السموات والأرض وما بينهما، وما عليهما، وما فوقهما، وما تحتهما، لا يملك مكاناً يسند فيه رأسَه؟! كيف غدا إلهُ العالمين فقيراً؟!» (ص٤٤٥).

١٠. «ثمّ إنّ لقب "ابن الإنسان" هذا يتناقض تناقضاً صارخاً مع لقب "ابن اللّه".. ومن حقّ كلّ مسيحي أن يسأل قساوسته عن هذا التناقض. هل عيسى إبن اللّه أم ابن الإنسان؟!»

١١. وعلى قول متّى (٩/٨): "لمّا رأى الجمع ذلك تعجّبوا ومجّدوا اللّهَ الذي أعطى الناسَ سلطاناً مثل هذا"، يعلّق السيّد زكي: «لاحظ عزيزي القارئ: "إنّهم مجّدوا اللّهَ"، ولم يمجّدوا المسيحَ الواقف أمامهم، والذي صنع لهم المعجزات» (ص٤٥٦).

١٢. وعلى قول المسيح في متّى (١١/ ٢٥): "أحمدك أيّها الأب ربَّ السموات والأرض"، يعلّق السيّد زكي: «أتوجّه من كلّ قلبي إلى جميع البابوات والكرادلة والمطارنة وعموم القساوسة في شتّى أنحاء العالم.. إشرحوا لنا، بعد إذنكم، قول المسيح هذا.. فإذا كان عيسى يعترف أنّ إلهه هو ربّ السموات والأرض، أي الكون بما فيه ومن فيه من كلّ صغيرة وكبيرة، فهلاّ أخبرتمونا إذاً عيسى يكون ربَّ مَن!؟ لم يبقَ شيء في السموات والأرض حتّى يكون عيسى ربَّه إلاّ إذا كنتم أنتم وعيسى خارج نطاق السموات والأرض!» (ص٥٠١).

١٣. وعلى قـول الناس عن المسـيح فـي مـتّى (١٣/ ٥٥): "أليس هذا ابن النّجـار؟"، يعلّق السيّـد زكي: «ألا تخجلُ الكنيـسة من القـول بأنّ إلهـهـا كـان نجّـاراً! أي صـاحبَ ورشـة نجـارة! والنجـارة، في العادة، تحـتاج إلى الخـشب والمسامـير والبـراغي والغـراء والدهان، وإلى باعـة ومشـتـرين ومسـوّقين... بينمـا إله العـالمين لا يحتـاج إلى شيء.. ثمّ مـتى كان الـنّجّارُ أو ابنُ النّجّـار يصبحُ إله (كذا)؟!» (ص٥٤٩).

١٤. وعلى قول المسيح في متّى (١٣/٥٨): "ليس نبيٌّ بلا كـرامة إلاّ في وطنه"، يعلّق السـيّـد زكي: «نقدّم هذه الجـملة إلى جميع النّـصارى المعاصرين ليحـملوها إلى كنائسـهم وأساقـفتهم وقساوستهم ليسـألوهم كيف يزعمون أنّ عيسى هو إله وابن إله. وها هو نفسه يصـرّح أنّه نبيّ وليس أكثر من نبيّ.. متى يسـتيقظ النّصارى ويقرأون التاريخ ليعلموا أنّ الذين رفعوا عيسى من سلك النبوّة، ودسّوه في مرتبة الألوهيّة، لم يكونوا سوى بضعة نفر من القساوسة المندسّين في المجـامع الكنسيّة، لم يكن لهم هدف سوى حرمـانهم من الجنّة، وإنّهم ما زالوا بالعِين هذا الطعـم حتّى يومنا هذا. إذ متى وكيف يصبح النبيُّ إله (كذا)؟!» (ص٥٥٠).

١٥. وعلى ما جاء في متّى (١٤/ ١٣): "فـلمّا سمع يسوع بموت يوحنّا المعمدان"، يعلّق السيّد زكي: «لو كان (عيسى) إلهاً لما انتظر حـتّى يسـمع من الناس، لأنّه، كإلـه، مفـروض أن يكون هو الذي كتب هذه الميتة على يوحنّا، وأن يكونَ عالماً بها قبل حدوثها».

١٦. وعلى أعجوبة تكثير الخبز والسمك في متّى (١٤/ ١٤-٢١)، يعلّق السيّد زكي: «إنّي لأدعو جميعَ الذين ما زالوا يعتقدون أنّ عيسى إلهاً أن يتأمّلوا في الجملة التي أوردها متّى "ورفع نظرَه نحو السماء"، لماذا يرفع عيسى نظرَه نحو السماء!؟ ومَن هو الجالسُ على العرش فوق السماء!؟» (ص٥٥٦).

١٧. وعلى قول متّى عن المرأة الكنعانيّة (١٥/ ٢٥) التي "أتت وسجدت له"، يعلّق السيّد زكي: «لو كان (عيسى) إله (كذا) لعرفَ إيمانَها سلَفاً، ولما قال لها في البداية: "ليس حسناً أن يؤخذَ خبز البنين ويطرح للكلاب"، ثم جاء في النهاية قال لها: يا امرأة عظيم إيمانك"، لأنّ هذا تخبّط. والإله لا يتخبّط» (ص ٥٧٥).

١٨. وعلى قول متّى (١٥/ ٣١) عن الجموع الذين شهدوا أعمالَ المسيح المذهلة، بأنّهم "مجّدوا إله إسرائيل"، يعلّق السيّد زكي: «لاحظ عزيزي القارئ ما ذكره متّى. لماذا إله إسرائيل!.. لو كان عيسى إلهاً حقّاً لقال متّى عنهم: "ومجّدوا عيسى"، ممّا يؤكد أنّ عيسى لم يكن إلهاً» (ص ٥٧٧).

١٩. وعلى قول متّى في أعجوبة ثانية لتكثير الخبز والسمك (١٥/ ٣٢-٣٩): "شكر وكسر وأعطى تلاميذَه"، يعلّق السيّد زكي: «ألمسيحُ شكرَ مَن؟! ألجموع؟ طبعاً لا. شكرَ ربَّه وخالقَه. ممّا يُثبت عبوديّتَه للّه. فليس من المعقول أن يكون إلهٌ على الأرض يشكر إله (كذا) في السموات» (ص٥٧٧).

٢٠. وعلى قول متّى: "أخذه بطرسُ إليه وابتدأ ينهره،

قـائلاً: حـاشـا يا ربّ. لا يكون لك هذا" (١٦/٢٢)، يعلّق السـيّـد زكي: «لو كان المســيحُ إلهاً، كما يحلو للكنائس أن تزعم، فـهل ينهرُ بطرسُ الإنسانُ الرّبَّ إلَهَه؟ هل سمـعتَ عزيزي القارئ أنّ مخلوقاً ينهر (أي يؤنّب) خـالقَه!؟ هذا في الشاؤوليّة الكنسـيّة جائز. لأنّهم فـعلوا أكثـر من ذلك مع إلهـهم. بصـقوا في وجـهـه. وجلدوه. ثمّ صلبوه. ودفنوه. وأقـاموه. لقد جعلوه عـجينةً في أيديهم يشكّلونه كيفما يشاؤون. فساعةً يؤنّبوه (كذا). وساعةً يبصقون في وجهه. وساعةً يجلدونه. وساعةً يقتلوه (كذا)» (ص٥٩٤).

٢١. وعلى قول المسـيح في متّى: "إنِ اتّفق إثنان منكم على الأرض في أيِّ شيء يطلبانه، فإنّه يكون لهما من قِبَل إلهي" (١٨/ ١٩)، يعلّق السيّـد زكي: «مرّةً أخـرى.. لو كان عيـسى هو الخالق الرازق، كمـا يعتقـد بعضُ المضلّلين، فلماذا قـال: "مِن قِبَل إلهي"، ولم يقل مِن قِبَلي؟!» (ص٦٢١).

٢٢. وعلى قول واحدٍ للمسيح: "أيّـها المعلّم الصالح.. فقال له: لماذا تدعـوني صالحـاً. ليس أحدٌ صـالحاً إلاّ واحـد وهو اللّه" (متّى ١٩/١٦)، يـعلّق السيّد زكـي: «مرّة أخرى نقـدّم هذا النّصَّ الصريحَ والواضحَ هديّةً للبابوات والكرادلة والأساقفة، وإلى الذين يظنّون أنّهم أتبـاع المسيح، ومـا هم إلاّ أتباع شـاؤول والمجمّـعات الكنسيّـة الوثنيّة. كـما نقدّم هذا النّصَّ الصـريحَ إلى جمـيع أفراد النّصارى الذين يشعرون بالضياع وسط هذه الأناجيل والمعتقدات المتناقضة، وأصبحوا لا يعرفون ماذا يصدّقون وماذا يكذّبون.. إنّي

لأستغرب للكنيسة التي جعلت من عيسى إلهاً كيف نسيت أن تشطب هذا النّصَّ من أناجيلها؟!" (ص٦٣٣-٦٣٤).

٢٣. وعلى قول المسيح في متّى (٢٠/ ٢٠-٢٣): "أمّا الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلاّ الذين أعدّ لهم من إلهي"، يعلّق السيّد زكي: قول المسيح هذا، «نقدّمه هديّة للكنيسة التي جعلت المسيح هو اللّه نفسه، وبادئ الأشياء كلّها وعلّتها. بينما نرى هنا أنّ إلهها الذي فبرَكَتْه لا يقدر أن يُجلسَ اثنين من أحبّ تلاميذه إليه عن يمينه ويساره؟! باللّه! ألا يَنسفُ هذا عند كلّ ذي عقل سليم كلَّ المعتقدات الشاؤوليّة الكنسيّة التي ألّهت عيسى؟» (ص ٦٥٥).

٢٤. وعلى باعة الهيكل في متّى (٢١/ ١٢-١٣)، يعلّق السيّد زكي: «إنّه لمن الغريب أن يصنع عيسى سوطاً يطرد به الباعةَ والصيارفة، لأنّه، إذا كان هو اللّه، كما تزعم الكنيسة، فيكفي أن يقول للشيء كن فيكون، كأن يقول للباعة اختفوا فيختفوا» (ص٦٧٤).

٢٥. وعودة إلى شجرة التّين وجوع يسوع (متّى ٢١/ ١٨-٢٢)، يعلّق السيّد زكي: «قولهم: "جاع"، إنّ اللّه الحقيقي.. لا يجوع. وقولهم: "لعلّه يجد فيها شيئاً"، إنّ اللّه الحقيقي بكلّ شيء عليم.. فلو كان عيسى إلهاً لعرف سلفا أنّه ليس فيها إلاّ ورقاً. وقولهم: "لأنّه لم يكن وقت التين"، إنّ اللّه الحقيقي هو خالق الفصول الأربعة.. وليس من المعقول أن يكون عيسى إلهاً، ولا

يعرف الفصول، وأنّ الوقت ليس وقت التين، وإلاّ لعرف أنّها بغير ثمر قبل أن يصلها. وقولهم: "تعجّب التلاميذ"، إن صحّ هذا فهذا دليل على أنّهم كانوا ينظرون إليه كإنسان، لأنّه لو كان في نظرهم إله (كذا) لما تعجّبوا. وقولهم: "لو كان لكم إيمان"، لو كان عيسى إلهاً لقال لهم: "لو كنتم آلهة مثلي"، أو "أبناء آلهة" لاستطعتم أن تفعلوا مثلي"» (ص٦٧٦-٦٧٧).

٢٦. وعلى قول المسيح عن موعد الساعة الأخيرة ونهاية العالم وجهله لهما (متّى ٢٤/٣٦)، يعلّق السيّد زكي: «يقرّ (المسيح)، أوّلاً، بأنّ له إلهاً واحداً لا يعلم الغيب إلاّ هو. وثانياً، هو يتكلّم عن شيء يجهله. وهذا إقرار منه أنّه ناقصُ علْم.. إذ كيف يكون هو الدّيّان ولا يعرف ذلك اليوم، ولا تلك الساعة. فهل يجتمع العلم والجهل في الإله، بينما أي قاضٍ صغيرٍ، في محكمة الصلح، يعرف اليومَ والساعةَ التي سينظر فيها القضيّة» (ص٧٢٧-٢٨).

٢٧. وعلى مؤامرة اليهود على قتل المسيح في دار قيافا (متّى ٢٦/٣-٥)، يعلّق زكي: «إنْ كان عيسى هو اللّه، فهل يُعقل أنْ يُصدِرَ قيافا، وهو المخلوق، حكمَه بالإعدام على اللّه الخالق؟! إنّ هذا تخريفٌ. لا يقول به إنسان عنده ذرّةُ عقل» (ص٧٤٦).

٢٨. وعلى قول متّى: "أخذَ الكأسَ وشكرَ" (٢٦/٢٦)، يعلّق السيّد زكي: «إنّنا نسألهم: "شكر" مَن!؟ لا شكّ أنّه شكر اللّه رازقَ الخبز والطعام. وهذا ينفي الألوهيّةَ عنه. لأنّه لو كان إلهاً، فالإله لا يَشكرُ الإله» (ص٧٦٨).

٢٩. وعلى قول المسيح في متّى: "لا أشربُ بعدُ من نتاج الكرمة إلى أنْ أشربه في ملكوت اللّه" (٢٦/ ٣٠)، يعلقّ السيّد زكي: «هنا دليل قاطع على أنّ المسيح ليس إلاّ بشراً. وليس فيه ذرّة من الألوهيّة لا في الدنيا ولا في الآخرة. لماذا؟.. لأنّ الإله لا يأكل ولا يشرب» (ص٧٧٣).

٣٠. وعلى ما قاله يسوع: "نفسي حزينة جدّا حتّى الموت. ألآن نفسي قد اضطربتْ" (متّى ٢٦/٣٨)، يعلّق السيّد زكي: «اللّه الحقيقي لا يقول هذا.. إذ لو كان إلهاً واضطرب، كما يزعمون، لاضطرب معه الكونُ كلّه بنجومه وأفلاكه وأرضه وسمائه. لكنّ شيئاً من هذا لم يحدث. لأنّه ببساطة ليس إله (كذا)» (ص٧٨٨).

٣١. وعلى طلب يسوع من اللّه: "أيّها الأب! نجّني من هذه الساعة" (متّى ٢٦/ ٣٩ أ)، يعلّق السيّد زكي: «أين هذا من زعم الكنيسة أنّه الأقنوم الثاني في الألوهيّة المساوي للّه!..لو كان هو اللّه، أو مساوٍ للّه، لاستطاع أن ينقذ نفسَه بنفسِه» (ص٧٨٨).

٣٢. وعلى قول يسوع: "ولكن، ليس ما أريدُ، بل كما تريد أنت" (٢٦/ ٣٩ب)، يعلّق السيّد زكي: «نحن هنا أمام إرادتَين مختلفتَين: إرادة اللّه وإرادة المسيح. وقد فرّق المسيحُ بينهما بكلّ وضوح. وجعل إرادتَه تستسلم لإرادة اللّه. ولو كان المسيح هو اللّه، لكانت إرادتُه واحدة من نفس إرادة اللّه» (ص٧٨٨-٧٨٩).

٣٣. وعلى قول متّى عن يسوع : "وخرّ على وجهه" (٢٦/ ٣٩ج)، وقول مرقص: "خرّ على الأرض" (١٤/ ٣٥)، وقول لوقا:

"جـثا على ركـبـتَيـه" (٢٢/ ٤١)، يعلّق السـيّد زكي: «خـرّ على الإرض، وخرّ على وجهه، تعبيـران خشنان.. أما لوقا فلطّفه قليلاً.. وهذا دليل آخر نسـوقه لمن لا يزالون مضلَّلين، يؤكّد لنا أن عـيسى كان عبداً للّه، وليس اللّه، ولا إله مع اللّه» (ص٧٨٩–٧٩٠).

٣٤. وعلى قول لوقا: "وظهر مـلاك في السماء يقوّيه. وإذ كان في جهاد، كان يصلّي بأشدّ الحاجة. وصار عرقُه كقطرات دمٍ نازلةٍ على الأرض" (٢٢/ ٤٣–٤٤)، يعلّق السيّـد زكي: «من حقّنا أن نسأل: إن كانت التقوية لعيسى الإله الكامل فهذا هراء، لأنّ الإله الكامل لا يحتاج لأحد من خلقه ليقوّيه؛ أمّا إنْ كانت التقوية لعيسى الإنســان، فـسـؤالنا عندها كـيف انفـكّ عن اللاّهوت الذي زعـمت الكنيســة أنّه التحم به!.. ثمّ.. هل الإله يعـرق؟! إنّ الإله الذي يعرق، أو تخرجُ منه إفرازات، يا سادة، ليس بإله» (ص٧٩١–٧٩٢).

٣٥. وعلى مـا روت الأناجـيل بأنّ المسـيح صُلب، وهو إله، يعلّق السيـدّ زكي: «من حقّنا أن نسـألَ جميـع الشاؤوليّين: إذا كان المصلوب هو اللّه.. فكيف يقول: "في يديكَ أستودع روحي!؟". إنّ الإله الذي يسـتودع روحَه عـند إله آخر ليس بإله. بينمـا اللّه الذي يستردّ جميعَ الأرواح، بعد موت أصحابها، ويودعها عنده، هو الإله الأزلي الحقيقي» (ص٨٥٢).

٣٦. وعلى قـول مـرقص: "وجلـس عن يمين اللّه" (١٦/ ١٩)، يعلّق السّـيـد زكي: هذا «القـول.. يثـير تسـاؤلاً: إذا كـانت السماء كـرسيَّ اللّه، والأرضَ موطئَ قدمَيه، فـأين جلس المسيح؟!

خارجَ السماء والأرض!؟. والسؤال الذي يطرح نفسَه: كيف يجلسُ المسـيحُ عن يمين اللّه، والشـاؤوليّـون الكنسيّـون يقـولون إنّه هو اللّه؟! أليسَ هذا دليـلاً آخَر على استـحالة تطبيق العـقائد الكنسـيّة على عيـسى، وأنّ اللّه ليس عيـسى، ولا يمكن أن يكون عـيسى هو اللّه؟!» (ص٨٨١).

٣٧. وعلى ما جـاء في إنجيل يوحنّا (١/ ١٨): "أللّهُ لم يره أحد"، يعلّق السيّـد زكي: «وهذه حقيقة يعرفهـا الجميع. ولكن، إذا كان اللّه لم يره أحـد، فكيف جعلوا من عـيسى إله (كذا)، وعـيسى رآه كلّ مَن عاصره!

ولو كان عـيسى حقّـاً هو اللّه لما ميّـز نفسَه عن الـلّه بقوله: "إلهـي أعظم منّـي" (يوحنـا ١٤/ ٢٨)؛ ولما قـــال عن اللّـه: "لم تسمعوا صوتَه قط، ولا أبصرتم هيأته" (٥/ ٣٧). وأكثر من ذلك، لما قال عـن نفسه أنّه نبـيّ (متّى ٢٣/ ٥٧).. إذ لم يسمـع أحدٌ بإنّ الإله كـان في الأساس نبـيّاً. وكـان الأولى بالكنيـسة أن تسـحب الأناجيل الثلاثة الأولى المتداولة في الأسواق التي ذكرت أنّ عيسى كان نبيّاً، أن تغلق ورشة النجارة التي كـان يعمل فيها قبل أن تُنزل إنجيلَهـا الرابع إلى السوق التي جعلت من عـيسى فيه إلهـاً يسبق الخلق كلّهم» (ص٨٩٢، ٨٩٤–٨٩٥).

تأليـه عـيسى هذا الـذي تتكلّم عنه الكنيـســة، هو من صنع شاوول بولس، وغايته من ذلك، في نظر السيّد زكي، أن يُبقي الأممَ في ضلالهم، وتبقى الجنّةُ خالصةً لليهود وحدَهم. والكنيسة، التي

أنشأهـا شاؤول، وقعتْ في مـا خطّط لها الـيهود. فكانـت المجامع الكنسيّة، البابوات والكرادلة والأساقفة والقساوسة، كلّهم ليدعموا مخططَ شاؤول.

وأهم مجمـع عُقد لهذه الغايـة كان مجمع نيقـية سنة ٣٢٥. قال فـيه السـيّد زكي: «والقســاوسة الذين اجـتمعـوا في نيقـية، وقرّروا تأليـه عيسى قـد غشّوا الأمّـة المسيحـيّة قاطبـة، بجهلهم الفاضـح، أو نيّتهم الخبيثة. وقبل ذلك غشّوا أنفسَهم» (ص٢٥٧).

ويتسـاءل السيّـد زكي: كيف يقبل المسيحيّـون اليوم بمقولة التجسّد الإلهي! كيف هو هذا الالتـحام بين اللّه والجسد البشري!.. كيفَ يغيبُ عن ذهن الفاتيكان المبجّل أنّ اللّه لا يتجسّد؛ لأنّ الجسد البشري لا يحتمل الإلوهة.. كما وإنّ الإله المتجسّد ليس بإله، لسبب بسيط هو أنّه إنْ حلّ في مكان يشغله، يخلو منه بقيّة العالم.. ثمّ إنّ اللّه المتجـسّد، أين ترك ألوهيّـتَه عندمـا تجسّد؟ ومَن الذي ائـتمنه عليها طيلة ثلاث وثلاثين عاماً؟» (ص٤٦).

والأغرب من هـذا كلّه، في عمليّـة التجـسّد، أنّ الحـسابات الفلكيّة لم تلعب دورَها، والكنيسة لم تعرْهـا ما تستحقّ. «فالمسيح يعتـرف بأنّه، وهو على الأرض، له إله في السموات، أي يبـعدُ عنه بلايين السنين الضوئيّة. لكنّ الكنيسةَ القديمة، بعبقريّة قساوستها من الإسكافي والحافي والجـاهلي والانتهازي، اختـزلوا المسافات الفضائيّة، ولحَمُوا اللّهَ الذي ليـس كمثله شيء مع عيسى الإنسان، بدمـه، وعظمـه، ولحمـه، وشحـمـه... ألا يوجـد عاقل واحـد بين

الشاؤوليّين الكنسيّين يسأل قساوستَه كيف اختزلوا تلك المسافات الفلكيّة؟! وما هي مادّةُ اللّحام التي استعملوها في لحامهم حتّى أصبحا شخصاً واحداً، أو كيف التحمَ الأزلي بالفاني، والكامل بالناقص، والخالق بالمخلوق، أي الإله بالطِّيْن والطّين بالإله، ومن كان الشاهد على ذلك الالتحام؟!..

وباختصار الكلام، «إنّ جعل عيسى الإله المتجسّد.. كان أكبر خدعة في تاريخ الأديان، قام بها شاؤول والمجمّعات الكنسيّة القديمة لجَرِّ البشريّة نحو الوثنيّة، ومنها إلى جهنّم، لتبقى الجنّة لليهود» (ص٣٨٢)...

وقد لا يكون لأحد خلاص إلاّ باعتناق ديانةٍ لا يزال التوحيدُ فيها قائماً، خالصاً من كلّ شائبة، هي الديانة الإسلاميّة، بدون شكّ. إنّها «لا تتهاون مطلقاً في التجديف على اللّه. وجزاءُ مَن يفعلُ ذلك هو الإعدامُ في الدنيا، والنارُ الأبديّةُ في الآخرة» (ص٥٢٦).

***

وأخيراً، لا بدّ من ملاحظتَين بسيطتين على نظرة المسلمين كافّة إلى هويّة يسوع المسيح :

أوّلاً – إنّ المسلمين يقبلون بعيسى القرآن على أنّه نبيّ عظيم، فيما يرفضون يسوع الإنجيل على أنّه شخصيّة مزوّرة؛ ذاك، لأنّ الإنجيل، الذي يتكلّم عليه، في نظرهم، كتاب حرّفتْه الكنيسة، وخبّأتِ النسخةَ الأصليّة التي جاء بها عيسى من عند اللّه، كما جاء محمّد بالقرآن من «اللّوح المحفوظ».

ثانياً – إنّ مفهوم المسلمين للوحي ولكتب الوحي يختلف اختلافاً تامًا وجوهريًا عن مفهوم الكنيسة والمسيحيّين. فالوحي في الإسلام «إنزال» حرفيّ على محمّد؛ والوحي في المسيحيّة «إلهام» للذين كتبوه. ذاك مقيّد بالحرف؛ وهذا خاضع لحرّيّة الذين كتبوه. لهذا لا يجب على المسلمين، ولا يحقّ لهم أن يتعاملوا مع نصوص الإنجيل كتعاملهم مع آيات القرآن[٤٠]. ولهذا، أيضاً، نأخذ على المسلمين كافّة مفهومَهم الحقيقي لهويّة يسوع المسيح الحقيقيّة.

(٤٠) رَاجع: فصل «الوحي»، في كتابنا «المسيحيّة في ميزان المسلمين»؛ وأيضاً في كتابنا «بين المسيحيّة والإسلام» الذي يلي هذا الكتاب.

الفصل السابع

صلب المسيح عيسى

جـاء في سورة النســاء (٤/١٥٧-١٥٩) : «وَقولِهِم (أي اليـهود): إنّا قَـتَلْنا المسيحَ عـيسَى ابنَ مـريمَ، رسولَ اللّـه. (وقول اللّه): **وَما قَتلُوهُ. وَمَا صَلَبُـوهُ. وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ.** وَإنَّ الّذيْنَ اخْتَلَفوا فيه لَفِي شَكٍّ منه. مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلاّ اتّبَاعَ الظَّنِّ. **ومَا قَتَلوهُ يَقِيْناً. بل رَفَعَهُ اللّهُ إليهِ.** وكان اللّهُ عزيزاً حكيـماً. وإنْ مِنْ أهلِ الكتابِ إلاّ لَيُؤمِنَنَّ به، قَبْلَ مَوتِه، ويومَ القيامَةِ يَكُونُ عَليهم شَهيداً» .

يقولُ المسلمون : إنّ روايةَ الإنجـيل في صلْبِ المسيحِ وقتْلِه مرفوضةٌ قَطعاً، علميًا وتاريخـيًا ولاهوتيًا. وما حرصـهم على نفي الصلب والقـتل عن عيـسى إلاّ من باب حرصــهم على ما جـاء في القرآن. فالمسيح لم يُصلَب ولم يُقتل؛ بل شُبِّه لليهود ذلك. والصلبُ والقتلُ إنّما وقعا على غير عيسى، أي على شـخصٍ **يُشبهه**. وحاشا للمـسـيح أن يُصلب ويُقـتل على أيدي أعـدائه، بهـذا الشكل المهين واللّعين، كـما تروي الأناجـيل. فاللّهُ لا يُرسِلُ أنبـياءَه إلى العـالَم، لينتصرَ العالَمُ عليهم. فاللّهُ هو الغالب لا العالَم.

يؤكّد المسلمون، منذ البدء، نفيَ الصلب والقتل عن عيسى. ويستندون إلى القرآن والأحاديث النبويّة؛ ويعتمدون على الاختلاف بين روايات الأناجيل وتناقضها؛ ويأخذون ببعض الشيع النصرانيّة، وبنوع خاص، "الظاهريّة"، و"الأبّولونيّة"، و"الدُّوسِت"، التي تعلّم بأنّ المسيحَ لم يُصلَب ولم يُقتل. بل وقع الصلبُ والقتلُ على الشَّبَه؛ أو أنّ المسيحَ، العنصرَ الإلهي، انفصل عن يسوع عند الصلب والموت...

ويهزأ المسلمون من المسيحيّين الذين يتّهمونَ اللّهَ الأبَ بقتلِ ابنِه، حبّاً بالبشر. ويعجبون من إلهٍ يقتله الناس ويموت، ولا يدافع، وهو الإله الكلي القدرة، عن نفسه؛ بل يجعل أعداءَه الأشرار ينتصرون عليه. لقد غلبَ الشرُّ الخير؛ وانتصر الشيطان على اللّه. أيُّ عقلٍ يمكنه أن يقبل مثلَ هذا المنطق؟!

فها **الناشئ الأكبر** يتعجّب من إلهٍ أزليّ يُقال إنّه يُصلب ويُقتل. كما يعجب من قول النصارى بأنّ القتل جرى على النّاسوت دون اللاّهوت، فيما النّاسوت واللاّهوت في عيسى جوهران متلاحمان لا ينقسمان. يقول: «إنّ من مات فقد بطل ودثر. والأزلي لا يجوز عليه ذلك.. والذين قالوا: إنّ المسيح جوهران وأقنومان ليقسموا كلامهم فيقولون: "مات من جهة ناسوته، ولم يمت من جهة لاهوته".. فلا وجه لإطلاق القول»[1].

---

(١) **الكتاب الأوسط في المقالات**، ص ٨٣–٨٤. عن الشرفي، ص ٣٩٣.

ويتعجّب **الحسن بن أيّوب** من اللّه الذي أرسلَ عيسى لخلاص البشر، فيفتكُ به البشر ويهلكونه؟! «هل تقبل العقول ما يقولون من أنّ إلهاً نال عبادُه منه مثلَ ما تذكرون أنّه نِيل منه؟!»[٢].

ويقول **القاضي الباقلاني**: إنّ مصدر القول بالقتل والصلب هم أربعة إنجيليّين يجوز عليهم الكذب. وما قالوه وَهْمٌ وظنٌّ : «خبّرونا عن اتّحاد الابن بالجسد، أكان باقياً موجوداً في حال وقوع القتل والصلب به، أم لا؟ فإنْ قالوا»: كان باقياً موجوداً، قيل لهم: فالذي مات مسيح من طبيعتَين: لاهوت هو الابن، وناسوت هو الجسد. فيجب أن يكون ابن اللّه القديم قد مات، كما قُتل وصلب، لأنّ جواز القتل والصلب عليه كجواز الموت. وإذا صار الابن عند القتل ميتاً، لم يجز أن يكون في تلك الحال إلهاً، لأنّ الإله لا يكون ميتاً ولا ناقصاً، ولا ممّن يجوز عليه الموت. ولو جاز ذلك عليه، لجاز موت الأب والرّوح.

«وإنْ قالوا: إنّ الاتّحاد بطُل عند القتل والصلب، قيل لهم: فيجب انتقاض الاتّحاد عند القتل والصلب. ويجب أيضاً ألاّ يكون المقتول مسيحاً، لأنّ الجسد عند انتقاض الاتّحاد ومفارقة المتَّحد به ليس بمسيح. وإنّما يكون الجسد وما اتّحد به مسيحاً مع ثبوت الاتّحاد ووجوده. فإذا بطل كان المقتول المصلوب الواقع عليه الموت والدفن إنساناً، ولا معنى لقولهم: إنّ المسيح قُتل وصلب»[٣].

---

(٢) **الجواب الصحيح**، ٢/٣١٩-٣٢٠.

(٣) **كتاب التمهيد**، ص ١٧٤.

ويقول أيضـاً: «إذا كان الصلبُ والقـتلُ يجوزان على الابن، فـيجـوزان أيضـاً، لا محـالة، على الأب. والنّصـارى ينكرون هذا، ويجوّزون ذاك. فكيف يكون ذلك؟»[٤].

وكذلك القاضي **عبد الجبّار** يتّهم الإنجـيليّين بالكذب في نقلهم صلب عـيسى وقتله. ويـنكر الصلبَ لأنّ الصلبَ قـد يغيّـر صورة المصلوب. ثم يقـول بأنّ المسيحَ كان بين حـاضري الصلب إلى جانب أمّه. ولذلك قال له المصلوب: "هذه أمّك".

ويقـول أيضاً في إنكار الصلب: «إنّ الصلب بعـد القتـل قد يغيّر صورةَ المصلوب ويشبّه حاله بغيره. فمتى نُقل جاز أن تشتبه الحالُ فيه»[٥].

ويقول أيضاً: «وفي الإنجيل أنّ المسيح كان قائماً في ناحية في موضع الصلب، وأنّ مريم أمَّ المسـيح جاءت إلى الموضع، فنظر إليـها المـصلوب فقـال لهـا، وهو على الخـشبـة: هذا ابنك. وقـال للمـسـيح: وهذه أمّـك، وأنّ مـريم أخـذت بيـده، ومـضت من بين الجماعة»[٦].

ويلوم النصارى الذين يستمرّون فـي تعنّتهم، فيقول: «قلنا للنصـارى: فكم في هذا من دلالة عـلى أنّ المقتـول المصلوب غـيـر المسيح. فـأنتم، لا إلى حجج العـقول تَرجعـون، ولا إلى ما كتـبتم

(٤) **كتاب التمهيد**، ص ٩٧-٩٨.
(٥) **المغني**، ٥/١٤٣.
(٦) **تثبيت دلائل النبوّة**، ص ١٤٣.

وسطّرتم تتدبّرون، ولا على ما نعلَم تعوّلون. ولكنّكم تمشون مكبّين على وجوهكم»[٧]. ويعجب قائلاً: «عجباً لإله يُضرب رأسُه! تعالوا فانظروا إلى الإله يُلطم ويُضرب على رأسه!»[٨].

ويؤكّد **أحمد بن حسن الهاروني** أنّ المصلوب كان شبيهاً بعيسى ألبسَه بعضُ اليهود ثيابَ عيسى، وستروا وجهه، ثم قتلوه. وأوهموا الباقين بأنّه هو عيسى لا غيره. قال :

«واختلف أهل العلم في كيفيّة التشبيه. فذهب الأكثر إلى أنّه تعالى ألقى شبهَ عيسى صلّى اللّه عليه على رجل من أصحابه، فظنّوا أنّه عيسى. وهذا التأويل عندي سائغ. وذهب بعض العلماء إلى أنّ اليهود، لمّا لم يجدوا عيسى، لأنّ اللّه كان قد رفعه إليه، أخذوا رجلاً من أصحابه، فألبسوه مثل ثيابه، وستروا وجهَه، ثمّ قتلوه، وصلبوه، وأوهموا الباقين أنّهم قد قتلوا المسيح صلّى اللّه عليه. والذين فعلوا ذلك من اليهود كانوا عدداً يسيراً من رؤسائهم. وهذا أيضاً محتمل وجائز»[٩].

«وكذلك يُسألون عن موت المسيح وصلبه، فمن قول الملكيّة والنسطوريّة إنّ الموت والصلب إنّما وقع على النّاسوت خاصّة. فيقال لهم: فأنتم في قولكم مات المسيح وصلب كاذبون، لأنّه إنّما

---

(٧) **تثبيت دلائل النبوّة**، ص ١٤١.

(٨) **تثبيت دلائل النبوّة**، ص ١٠٤.

(٩) هو أحمد بن الحسين (+٤١١/ ١٠٢٠) في كتابه **إثبات نبوّة النبي**، ص ١٥٣-١٥٤. عن الشرفي، ص ٣٨٥، حاشية (٢٨).

مات نصفه وصلب نصفه فقط؛ لأنّ اسم المسيح عندكم واقع على اللاّهوت والناسوت كليهما معاً، لا على أحدهما دون الآخر».

أمّا **إبن أبي عبيدة الخزرجي**، فيطول كلامُه في إبطال دعوى الصلب. ويستند، في إبطاله هذا، إلى الإنجيل نفسه. يقول:

١. «ما معنى قول يهوذا الأسخريوطي، حين خرج مع اليهود إلى طلب عيسى، وقال لهم: "إنّي لأستحي منه. ولذا فسوف أجعل الأمارة عليه -حيث أنّكم لا تعرفونه بعينه- أن أقبِّلَه. فإذا فعلتُ فأنتم وذاك" (متى ٢٦/٤٨). فهذا يشهد أن اليهود لم تكن تعرفه. وهذا منصوص في إنجيلكم»[١٠].

٢. ثمّ حين أحاط اليهود بعيسى ومَن معه، خرج بنفسه إليهم وقال: "من تطلبون؟ قالوا: يسوع الناصري. قال: أنا هو. فنظروا إلى يهوذا نظرةَ تساؤل عن الإشارة التي اتّفقوا معه عليها، ففعلها. فقبضوا عليه.. ورفعه اللّه، كما رفع أخنوخ النبيّ.

ولعلّكم صدقتم يهوذا الإسخريوطي في دلالته عليه. وفي نصّ إنجيلكم أنّه مرتدّ كافر ملعون. فشهادته إذاً غير جائزة. أو لعلّه، عندما عاينه وأدركتْه الندامة، جعل الإمارة على غيره من التلاميذ، وسارع التلميذ إلى وقايته بنفسه.

٣. «ثمّ إنّ الإنجيل عندكم ناطق بأنّ عيسى عليه السلام نشأ بين ظهور اليهود في مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم، يَعظهم

(١٠) مقامع الصلبان، أو بين الإسلام والمسيحيّة، ص ١٩٢.

ويعلّمهم ويناظرهم، ويعجبون من براعته وكثرة تحصيله، حتّى كانوا هم يقولون: أليسَ هذا ابن يوسف؟ أليست أمّه مريم؟ أليس أخواه عندنا؟ فمن أين له هذه الحكمة؟

«وإذا كان كذلك في غاية الشهرة والمعرفة عندهم، فَلِمَ نصّ الإنجيل على "أنّهم وقتَ ما أرادوا القبضَ عليه لم يحقّقوا، حتّى دفعوا لأحد تلاميذه، وهو يهوذا، ثلاثين درهماً ليدلّهم عليه.

«فلمّا جاء قال: ألسلام عليك. ثمّ قبّله. فقال له يسوع: لماذا جئتَ يا صاحب؟ فوضعوا أيديهم عليه وربطوه. وتركه التلاميذ كلّهم وهربوا. (ص٢٠١-٢٠٢).

٤. «ثمّ في الإنجيل أيضاً: أنّ يسوع، عليه السلام، كان مع تلاميذه بالبستان، فجاء اليهود في طلبه، فخرج إليهم، عليه السلام، وقال لهم: مَن تريدون؟ قالوا: يسوع. وقد خفي شخصُه عنهم. ففعل ذلك مرّتَين (يو ١٨/ ٤-٨)، وهم ينكرون صورتَه. وما ذلك إلاّ دليل الشّبه. ورُفع عيسى عليه السلام. لاسيّما وقد حكى بعضٌ منكم أنّ المسيح أُعطي قوّة التحوّل من صورةٍ إلى صورة» (ص٢٠٢-٢٠٣).

ويستمرّ الخزرجي، بمنطقه، يرفض عمليّة الصلب. ويركّز رفضه على تحليل نصوص الإنجيل، وعلى تصديق القرآن. غير أنّه لم يعيّن "الشَبَه" الذي صُلب مكان عيسى.

أمّا **شهاب الدين القرافي** فيقول: إنّ الصلب مرفوض لأسباب استخرجها من روايات الأناجيل نفسها :

أحدها : قال لوقا: صعد يسوع إلى جبل الجليل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنّا. فينما هو يصلّي إذ تغيّر منظر وجهه عمّا كان عليه، وابيضّت ثيابه، فصارت تلمع كالبرق، وإذا موسى بن عمران وإيلياء قد ظهرا له، وجاءت سحابة فأظلّتهم، فوقع النومُ على الذين معه. فظهور الأنبياء، وتظليل السحاب، ووقوع النوم على التلاميذ، دليل ظاهر على الرفع إلى السماء وعدم الصلب. وإلاّ فلا معنى لظهور هذه الآيات.

ثانيها : لقد استسقى المصلوبُ اليهودَ، فأعطَوه خلاً مذاقاً بمرّ... والأناجيل مصرِّحة بأنّه عليه السلام كان يطوي أربعين يوماً وأربعين ليلةً. ويقول للتلاميذ: إنّ لي طعاماً لستم تعرفونه. ومَن يصبر أربعين يوماً على العطش والجوع، كيف يُظهر الحاجة والمذلّة والمهانة لأعدائه وأعداء اللّه، بسبب عطشِ يومٍ وليلة؟!

وثالثها : قوله: إلهي إلهي لِمَ خذَلتَني فتركتَني. وهو كلام يقتضي عدم الرضاء بالقضاء، وعدم التسليم لأمر اللّه. وعيسى منزّه عن ذلك. فيكون المصلوب غيره[١١]..

و**أخيراً**، إنّ القرافي لم يعيِّنْ هويّةَ الشبه.

وينقل **شيخُ الإسلام إبن تيميّة** عن النصارى أنّهم يقولون بصلب المسيح من أجل التكفير عنهم. ولم يتمّ ذلك من دون حيلةٍ ماكرةٍ منه على إبليس. يقول:

---

(١١) **الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة**، ص ٥٤.

«والنصارى يقولون: إنّ المسيح، الذي هو عندهم اللاّهوت والناسوت جميعاً، إنّما مكّنَ الكفّارَ من صلْبه ليحتالَ بذلك على عقوبةِ إبليس. قالوا: فأخفى نفسَه عن إبليس لئلاّ يعلم. قالوا: ومكّن أعداءَه مِن أخذِه وضربِه، والبصاقِ في وجهه، ووضعِ الشوك على رأسه، وصلبِه. وأظهر الجذع من الموت وصار يقول: يا إلهي! لِمَ سلّطتَ أعدائي عليّ، ليخفى بذلك عن إبليس، فلا يعرف إبليسُ أنّه اللّه، أو ابن اللّه، ويريد إبليس أن يأخذ روحَه إلى الجحيم، كما أخذ أرواحَ نوح وإبراهيم وموسى وغيرِهم من الأنبياء والمؤمنين، فيحتجّ عليه الرّبّ حينئذٍ ويقول: بماذا استحللتَ يا إبليس أن تأخذَ روحي؟ فيقول له إبليس: بخطيئتك. فيقول: أنا لا خطيئة لي. «قالوا: فلمّا أقام اللّهُ الحجّةَ على إبليس جاز للربّ حينئذٍ أن يأخذ إبليسَ ويعاقبَه ويخلّصَ ذرّيّة آدم من إذهابهم إلى الجحيم»[١٢].

يطول كلامُ السيّد **منصور حسين عبد العزيز** في إنكار وقوع الصلبَ على المسيح. وننقل عنه ما نجده طريفاً في تحليله لما يؤمن به المسيحيّون كافّةً وينكره المسلمون عامّة. يقول :

«إنّه بينما يؤمن المسيحيّون أنّ هذا الذي قُبض عليه وحوكم وصُلب هو المسيح، عليه السلام، يجري اعتقاد المسلمين على أنّه يهوذا الإسخريوطي الذي خان المسيحَ سيّدَه»[١٣].

---

(١٢) إبن تيميّة، **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، ٢/٨٧.

(١٣) **دعوة الحق، أو الحقيقة بين المسيحيّة والإسلام**، الباب الثاني بعنوان: «في

١. بعد استعراض المزامير التي يعتمد عليها المسيحيّون ليؤكّدوا عمليّة صلب المسيح، يعتمد عبد العزيز على المزامير نفسها ليؤكّد أنّ عمليّة الصلب هذه لم تُنَفَّذ إلاّ في الإسخريوطي، عدوّ المسيح. ثمّ ينقل المزامير التي تشير إلى دعاء المسيح للّه أن يخلّصه من الصلب؛ كما ينقل الآيات التي تشير إلى تخليص اللّه للمسيح من الصلب ورفعه إليه؛ والآيات التي تشير إلى القبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلاً من المسيح. ثم يستنتج :

« وهكذا يَبِين بكلّ جلاء، أنّ المزامير إنّما تتنبّأ بصلب يهوذا الإسخريوطي بدلاً من المسيح، عليه السلام، فتعطينا أوصافاً للمصلوب نعلم منها أنّه لا يمكن أن يكون المسيح، وإنّما يهوذا الذي خانه... فهذا الذي خزي وخجل ولحق به العار لا يمكن أن يكون المسيح، وإنّما يهوذا الذي خزي وخجل ولحقه العار حتّى يومنا هذا، حتّى أنّه أضحى يُضرب به المثل على الخيانة والغدر».

٢. ثمّ يقول عبدالعزيز: «إنّ الذين توجّهوا للقبض عليه (المسيح) لم يكونوا يعرفونه[١٤]، وما كانوا ليتعرّفوا عليه لو رأوه أمامهم، وإلاّ لما كانوا بحاجة لعلامةٍ من يهوذا حتّى يعرفوه، ولكفاهم أن يدلّهم على مكانه ليذهبوا إليه بأنفسهم فيقبضوا عليه. وإذا كان هذا هو حالهم بالنسبة للمسيح، فمن بابٍ أولى يكون هذا هو حالهم بالنسبة لتلاميذه، إذ هم أقلّ أهمّيّة منه بالنسبة لهم، فهم

الحقيقة، بين صلب المسيح أو عدم صلبه»، ص ٦٥.

(١٤) بحسب ما جاء في متّى ٢٦/٤٧-٤٨؛ ومرقس ١٤/٤٣-٤٤...

لهذا لا يعرفون أيّاً من تلاميذ المسيح، بما فيهم الإسخريوطي بطبيعة الحال الذي لم يعرفوه من قبل أن يلجأ هو إليهم.

ثمّ إنّ لقاء يهوذا برؤساء الكهنة لا بدّ من أن يكون ليلاً، وتحت جناح الظلام لئلا تشتهر خيانته. و«لا نحسب أنّ مثل هذا اللقاء يمكن أن يترك في أذهان رؤساء الكهنة أو الجند، صورةً لهذا الشخص تعلق بذاكرتهم فلا ينسوه» (ص ٢٠٤).

سألهم المسيح مَن تريدون؟ فقالوا: يسوع النّاصري. فقال لهم إنّه هو. فلما قال لهم إنّي أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض (يو ١٨/٦). وكانت الفرصة بأن يرتفع المسيح من بينهم، وبقي يهوذا وحده وسطهم، يشاهد ارتفاعَ المسيح، إذ كان في المقدّمة. وتمكّنوا من القبض عليه بدلاً من المسيح. واستسلم يهوذا لهم، ندماً على خيانته معلّمَه.

و«يتكرّر سكوت المقبوض عليه، كلّما سئل عن حقيقة شخصيّته، فلا يجيب بشيء. ولنا أن نتساءل: لو كان هو المسيح حقّاً ففيمَ سكوته... إنّه يهوذا وليس المسيح. إنّه يهوذا وقد ندم فأبى أن ينطق بغش فيدّعي أنّه المسيح» (ص ٢١٩)....

٣. وعن مصير الجسد الذي صُلب، يعتقد المسيحيّون بأنّ المسيح هو الذي صلب ودفن وقام. ولذا لم يوجد الجسد في القبر في اليوم الثالث[١٥]. يقول عبد العزيز: «فمن هذه الآيات نعرف أنّه

(١٥) اجتمع رؤساء الكهنة مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضّةً كثيرة قائلين:

قد أشيع، بعدَ عدمِ العثور على جسد المصلوب في قبره، أنّ تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه. وقد شاع هذا القول إلى يوم كتابةِ إنجيل متّى عند اليهود.

ولسنا نعرف، كيف تحقّق كاتب هذا الإنجيل من أنّ ما أشاعه العسكر كان بناء على اتّفاقهم على ذلك مع رؤساء الكهنة والشيوخ؟!. فلسنا نعتقد أنّ هؤلاء العسكر على صلة بتلاميذ المسيح. ولذا فليس ببعيدٍ أن يكون بعضُ الناس، أيّاً كان قصدهم، قد سرقوا الجسد بالفعل، سواء أكانوا من أتباع المسيح، أو من أعدائه... كما أن سرقة هذا الجسد هو أوّل ما تبادر إلى ذهن مريم المجدليّة عندما اكتشفت عدم وجود جسد المصلوب في قبره.

٤. وعن قيام المسيح من الأموات وظهوره لبعض الأشخاص، يقول عبد العزيز : «وللمرء أن يعجب، إذ يقرأ أنّ مريم المجدليّة، وهي من أعرف العارفين بالمسيح، تلقاه، وقد علمتْ بعدم وجوده في القبر، ثمّ لا تعرفه، أفيكون هذا هو المسيح حقّاً؟!

٥. وعن هويّة تلميذَي عمّاوس، يقول عبد العزيز : «فأيّ عقلٍ يصدّق ويقطع بأنّ هذا الذي كان معهما هو المسيح حقّاً، وخاصّة أننا بصدد شخص يقال أنّه صلب وقبر، ويقال أيضاً أنّه رُفع إلى السماء! وهل يكفي هذا الذي قال به المنطلقان للقول والإيمان بأنّ هذا الذي كان معهما هو المسيح حقّاً! بالقطع لا.

قولوا إنّ تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام (متى ٢٨/ ١١-١٥).

« ثمّ ما معنى ما ذكره إنجيل مرقس عمّن قال إنّه قابل هذين المنطلقَين باعتباره المسيح! ولكنّه ظهر لهما بهيئة أخرى! فأيّ هيئة أخرى هذه التي قصدها إلاّ أن يكون بشكل رجلٍ آخر ليس له شكل المسيح. ولمجرّد أنّه أخذ منهما خبزاً وكسر وناولهما ظنّا أنّه المسيح. ويختفي الرجل. وله العذر أن يفعل، فقد أشيع أنّ المسيح صُلب، ولو أشيع أنّه هو نفسه المسيح، فهل ينتظر غير الصلب، فيختفي؟ ويقولون بعد هذا إنّه المسيح؟ فأيّ عقل يصدّق هذا؟ ثم لِمَ يستبعِد البشيران متّى ويوحنا هذه الرواية؟ ألا يوحي ذلك بأنّه حتّى هما لم يطمئنّا إليها؟» (٢٤٦-٢٤٧).

٦. ويسأل عبد العزيز: كيف يستدلّ المسيحيّون من العهد القديم على أن الذي صلب هو المسيح لا يهوذا الإسخريوطي؟ يقول إنّ المصلوبَ في المزمور **٢٢** يعرّفنا بنفسه فيقول: "أمّا أنا فدودة لا إنسان. عار عند البشر". ويعلّق فيقول: لقد «وجدنا بحقّ أنّ هذا الوصف لا يمكن أن يكون مقصوداً به المسيح، عليه السلام، الذي لم يكن ليكون إلاّ فخراً للبشر ومجداً لهم، ولا يكون المصلوب هنا عاراً عند البشر إلاّ أن يكون هو يهوذا الإسخريوطي، كما يجري اعتقاد المسلمين وليس المسيح، عليه السلام، كما يعتقد المسيحيّون. فيهوذا هو الذي لحقَ به العار إلى يومنا هذا لخيانته المسيح سيّده» : (ص٢٥١).

وفي قول المزمور: "وأُحصي مع أثمة"، يقول عبد العزيز :
«هذا القول لا ينطبق على المسيح، بل على يهوذا، إذ يقول الكتاب

في الإصحاح نفسه: "أمّا الرّب فسرّ بأن يسحقه بالحزن". ولا يتصوّر أنّ الربّ يسرّ بأن يسحق المسيح بالحزن. وإنّما هو يسرّ فعلاً بأن يسحق يهوذا بالحزن جزاءاً وفاقاً لخيانته المسيحَ سيِّدَه» (ص٢٦٠).

وثمّة مثال آخر هو ما جرى بين إبراهيم وإسحق والكبش الذي افتُدي به. فالمسيحيّون، تارة يرمزون عن المسيح بإسحق؛ وطوراً بكبش الفداء. وهم، إذا ما رمزوا عنه بإسحق عليهم أن يكمّلوا فيقولوا بأنّ اللّه خلّص إسحق، فعليه أيضاً أن يخلّص المسيح. والكبش يكون، بدون شكّ، يهوذا الذي صُلب بدلاً منه (ص٢٦٩).

٧. ثمّ يسأل عبد العزيز: كيف لا يستدلّ المسيحيّون من العهد القديم على تخليص اللّه للمسيح وصلب يهوذا بدلاً منه؟ فيجيب: لنأخذ على سبيل المثال المزمور ٢٠، فهو يتنبّأ بكلّ جلاء وقطع، بأن "الربّ مخلّص مسيحه"؛ ويقطع بأن ذلك التخليص سيكون لحظة محاولة القبض على المسيح، بوصفه الأعداء بأنّهم "قادمون بمركبات وبخيول"؛ لا كما يقول المسيحيّون، بأنّ تخليص المسيح كان في يوم القيامة. فالمزمور يتكلّم على التخليص لحظة فيها مركبات وخيول، وليس في القبر (ص ٢٨٦-٢٨٧).

٨. وأخيراً، يقول عبد العزيز: «إذا كان اللّه قد أراد أن يمتحن إيمانَ مسيحِه، فأوحى إليه بأنّه يريد له أن يُصلب. فإذا كان الأمر كذلك، فليس طبيعيّاً أن يعرف المسيحُ مقدِّماً أنّ اللّه

مخلِّصُه من الصلب ورافعُه إليه عندما يحاول الأعداء القبضَ عليه، وإلاّ لَفَقَدَ الامتحانُ قيمتَه كامتحان... تماماً كما لو عرف إبراهيم مقدِّما أنّ اللّه لن يدعه يذبح ابنه وحيده الذي يُحبّه. فأي معنى كان سيكون لامتحانه بعد ذلك؟» (ص٣١٧).

ويستعرضُ داعيةُ العصر **أحمد ديدات** نصوص الأناجيل ليكتشف فيها أنّ عيسى هو نفسه الذي صُلِب، ولكنّه لم يمت(١٦). ويقدّم الحجج التالية :

أوّلاً – عن ذهاب يسوع وتلاميذه إلى البستان، يسأل : لماذا ذهبوا جميعاً إلى ذلك البستان؟ ألكي يصلّوا؟ كلاّ! لقد ذهبوا إلى البستان ليكونوا في موقف أفضل بالنسبة لموضوع الدفاع عن معلّمهم وعن أنفسهم!.. هذا وقد كانوا، على ما تقول النصوص، مدجَّجين بالسلاح كما يقتضي موقف الدفاع والكفاح (ص ٣٤).

ثانياً – ويقول ديدات إنّ اليهود لم يقتلوا المسيح :«لو صحّ قتل اليهود للمسيح فعلاً لصحَّ ادّعاءُ اليهود بأنّ عيسَى ليس هو المسيح الذي وُعدوا به» (ص١٥).

ثالثاً – ويقول عن نوم التلاميذ في البستان: «إنّ نظريّة (لوقا) عن نوم الرّجال بتأثير الحزن إنّما هي نظريّة فريدة. فهل في مثل هذا الظرف يمكن للإنسان أن يستسلم للنوم؟! أم أنّ

---

(١٦) أحمد ديدات، **مسألة صلب المسيح، بين الحقيقة والافتراء**، ترجمة علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٨ ص مع الأصل الإنكليزي.

التلاميذ ناموا بعد أن أكلوا كثيراً وشربوا خموراً فأتخمتهم الأطعمة وأسكرتهم الخمر؟» (ص٤٢).

رابعاً – ثمّ أين كان تلاميذه الأبطال الّذين كانوا يدقّون بأيديهم على صدورهم قائلين: "نحن مستعدّون، يا سيّد، أن نموت من أجلك، ومستعدّون أن نذهب إلى السجن فداءً لك". يقول القديس مرقس، وهو من أوائل من دوّنوا الإنجيل، دون خجلٍ أو وجل، يقول: "فتركه الجميع وهربوا" (١٤/ ٥٠) (ص ٤٨).

خامساً – وعن إعجاب المسيحيّين بهزيمة معلّمهم، يقول: إنّ الحرفيّين من أصحاب الإنجيل قد ابتدعوا مرضاً جديداً هو الافتتان بالخِسَّة والعار. وكلٌّ منهم، ذكوراً وإناثاً، لن تُعوزهم الحيلة كي ينسبوا خطاياهم وآثامهم وفُسوقهم وسُكرهم وعربدتهم إلى هذا المشجب. ويبدو أنّ الإنسانَ يلزمه أن يكون من حثالة البشر ليكون عضواً في زمرة "الذين وُلدوا من جديد" born again (ص ٥٠).

سادساً – وعن استجابة اللّه دعاء يسوع ساعةَ الصلب، يقول ديدات: إن القديس بولس يؤكّد أنّ الدعاء لم يقع على آذان صمّاء: "وسمع له من أجل تقواه" (عب ٥/ ٧). جاء في إنجيل لوقا: "وظهر له ملاكٌ من السماء يقوّيه"» (لو ٢٢/ ٤٣) (ص٧٤).

وأنقذه اللّهُ فعلاً، بسبب:

١. التوكيد المطمئن من السماء.

٢. يجده بيلاطس غيرَ مذنب.

٣. زوجة بيلاطس وفيها تُنبئ بأنّ عيسى يجب ألاّ يمسّه أذى.

٤. لم تقطع ساقاه.

٥. أليهود يتعجّلون إنزاله عن الصليب.

«أللحوظة الرابعة "لم يقطعوا ساقيه" تفيد ما يلي: لو حُفظتْ عظامُ الضحيّة من الأذى، فإنّها تكون نافعة له فحسب لو ظلّ حيّاً. وبالنسبة لشخص مات فعلاً، فإنّ سلامة عظامه لا تفيده بشيء. وسواء كانت قد قطعت أو هشّمت، فهي لن تفيد الجسم الذي مات» (ص ٧٦). وعندما يقول يوحنّا: "فلمّا جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنّهم رأوه قد مات" (يو ١٩/٣٣)، فإنّه يقصد أنّ الجند قدّروا أنّه مات، إذ لم يكن لديهم جهاز "استيذوسكوب" حديث للتحقّق من الوفاة، ولا كان أحدهم قد لمس جسده، أو قاس ضغط دمه، أو نبضه، لكي يخلص إلى نتيجة أنّه كان "قد مات فعلاً" (ص ٧٨).

سابعاً – وعن غزّة الرمح والدم والماء، يقول ديدات : «غزّة الرمح جاءت لتنقذه. وبخروج شيء من الدم استطاعت الدورة الدمويّة أن تستعيد مسارها وعملها وإيقاعها.. وهنا أيضاً يؤكّد يوحنّا بقوله: "وعلى الفور" (يو ١٩/ ٣٤) ممّا يُعَدّ دليلاً مؤكّداً على أنّ يسوع كان حيّاً» (ص٨٤)

ثامناً – وعن معنى الرعد والكسوف والزلزال، يقول ديدات : ذهب يوسف وقائد المئة إلى بيلاطس وطلبا جسد يسوع.

" فتعجّب بيلاطس أنّه مات كذا سريعاً. فدعا قائد المئة وسأله هل له زمان قد مات" (مر ١٥/ ٤٤). ماذا كان سبب تعجّب بيلاطس؟ كان يعرف، بحكم تجربته وخبرته، أنّ أيّ رجلٍ لا يمكن أن يموت على الصليب في غضون ثلاث ساعات» (ص ٨٦). ولذلك ارتاب اليهود في أنّ يسوع ما زال حيّاً. وكان كلّ شيء يدعو للارتياب:

١. كان طريق الاقتراب من المقبرة سهلاً متاحاً.
٢. زميلاه على الصليب لا يزالان أحياء.
٣. لم تُقطع ساقاه بينما قُطعت ساقا كلٍّ مِن رفيقَيه.
٤. ألتصريح السهل السريع الذي منحه بيلاطس للحصول على جثمان يسوع.

«ولهذه الأسباب، هرعوا إلى بيلاطس» (ص ٩٠). وطلبوا منه حرّاساً على القبر، لأنّهم أدركوا غلطتهم، إذ قالوا له: "مُرْ بضبط القبر إلى اليوم الثالث، لئلاّ .. فتكون الضلالة الأخيرة شرّاً من الأولى" (متى ٢٧/ ٢-٦٤).

تاسعاً - ثمّ السؤال الكبير حول ذهاب مريم المجدليّة وحدَها، ومع زيت لتمسح يسوع، يقول ديدات: «لماذا ذهبت هنالك؟ هل ذهبت هنالك لكي تمسح عليه بالزيت، كما يخبرنا القديس مرقس؟(١٦/ ١). والسؤال الثاني: هل جرى العرف بين اليهود أن يمسحوا جسد المتوفّى بالزيت في اليوم الثالث لوفاته؟.. لكن هنالك معنى، ومعنى كبير ومفهوم: وهو أنّ مريم المجدليّة كانت تبحث عن شخص حيّ لتساعده بالدهن.

وكانت تتساءل مَن يدحرج لها الحجر. ولكنّها وجدتْه بقربها معتقدةً أنّه البستاني، كما يقول يوحنّا، وقد سألها: "يا امرأة لماذا تبكين؟ مَن تطلبين؟" (يو ٢٠/ ١٥). وقد تنكّر يسوع بلباس بستاني «لأنّه خائف من اليهود! ولماذا يخاف من اليهود؟ لأنّه لم يمت. ولو كان قد مات وقام لما كان ثمّة داعٍ للخوف».

«وإذ تظنّ المجدليّة يسوعَ في تنكّره، تظنّه البستاني، فإنها تقول: "يا سيّد! إنْ كنتَ أنتَ حملتَه فقلْ لي أين وضعتَه؟" إنّها لا تبحث عن جثّة.. تبحث عن إنسانٍ حيّ..

«تأخذه معها؟ أين؟ مذا تفعل بميت عندما تأخذه معها؟.. ليس في مقدور يهوديّة مرفّهة كي تحمل جسماً ميتاً يزن ما لا يقلّ عن مائة وستّين رطلاً (ص ١٠٠).

لكنّ عيسى يقول لها: "لا تلمسيني". ولمَ لا؟ هل هو حزمة مكهربة، أم مولِّد كهربي لو تلمسه تصعق؟ كلاّ. "لا تلمسيني" لأنّها ستسبّب له ألماً...

وفي قوله: "لم أصعد بعد"، يعني لم أمت حتّى الآن. ولمّا سمع الحواريّون أنّه حيّ وقد نظرته مريم المجدليّة "لم يصدِّقوا" (مر ١٦/ ١١) (ص١٠٢).

١. مريم المجدليّة تشهد أنّ يسوع حيّ!
٢. رفيقا الطريق إلى عمّاوس يشهدان أنّه حيّ!
٣. تقول الملائكة أنّ يسوع حيّ! (لو ٢٤/ ٢٣).
٤. رجلان كانا يقفان قرب النسوة يقولان لهنّ "لماذا تبحثن عن

الحيّ بين الموتى؟" (لو ٢٤/ ٤-٥). ومعنى ذلك أنّه حيّ.

ومع كلّ ذلك لن يصدّقوا!!» (ص١٠٤-١٠٦).

عاشــراً - ويقـول الداعي ديدات عن الأبواب المغلقـة في العلّيّة :« وبينما كان تـلميذا عمّاوس يخبران المســتمعين المتشكّكين أنّهما قد قابلا يسوع بجـسمه الحي، يدخل يسوع، وتُقفل الأبواب خوفاً من اليهود.. ولكن، لماذا استغرق عيسى وقتاً طويلاً جدّاً لكي يصل إلى الحجرة العلويّة.. تأخّر في المجيء. هل كان من الممكن أن يكون يداوي جراحَه في الطريق؟

ولم يكن بحاجة إلى أن يقرع الباب» (ص١٠٨-١٢٠).

حادي عـشر - وأخيراً، يذكـرالداعي ديدات عاملَ الوقت. هل هو ثلاثة أيام وثلاث ليال؟ يقول : « معظم المسيـحيّين يعتقدون أنّ ذلك قد تمّ يوم الجمعة بعـد الظهر، منذ قرابة ألفَي عام مضت... ومن المفروض أنّه كان بداخل المقبرة يوم السبت وليل يوم السبت. ولكن صباح يوم الأحد، عندما زارت مريم المجـدليّة المقبرة وجدتْها خاوية خالية... فيكون «مجموع الوقت: يوم واحد وليلتان. وحاول ما استطعتَ، لن تجدَ أبداً ثلاثة أيّام وثلاث ليال.. وحتّى أينشتاين، أكبر أساتذة الرياضيّات، لا يجدي نفعاً في هذا» (ص١٤٤-١٤٩).

أمّا **د. مصطفـى شاهين**، ينكر موت المســيح على الصليب إنكاراً جازماً، ويعـتبر أنّ ما تعـرّض له يسوع، وهو على الصليب، حـال إغمـاء، لا أكـثر ولا أقـلّ. وهو يقدّم البـراهين من نصـوص الأناجيل نفـسها. وهو، بالتـالي، ينكر أنْ يكونَ هنالك بديلٌ شبـيهٌ

بالمسيح صُلب مكانه. وأدلّته على ذلك كثيرة، مأخوذة من الداعي أحمد ديدات[(١٦)].

أمّا **سليم الجابي**[(٤٢)] فيأخذ أدلَّته من فم المسيح نفسه، الذي تنبّأ وقال: "جيلٌ شرّير فاسق يلتمس آيةً، ولا تُعطى له إلاّ آية يونان النّبيّ" (متّى ١٦/٤). ويونان هو الذي ابتلعه الحوت وهو حيّ، ولفَظَه بعد أيّام وهو حيّ أيضاً... والمشابهة بين عيسى ويونان هي «في تعليق المسيح على الصليب، وهو حيّ، وفي إنزاله عنه، وهو حيّ أيضاً. أي إنّ النبوءة أشارت بوضوح إلى عدم موت المسيح الناصري على الصليب» (ص ١٠).

وفي تعليقه على شربِ المصلوب خَلاًّ، يقول الجابي: «إنّ ما زعمه متّى خَلاًّ لم يكن إلاّ ذاك المزيج من الخلّ والمرارة نفسه. هذا المزيج الذي كان الأطبّاء الجرّاحون يستعملونه في ذاك التاريخ كمادّة تخدير للمرضى.. وإلاّ فلا يُعقل أن يحملَ أحدُ المتفرِّجين مزيجاً من خمرٍ ومرارة، ولا يقوم صاحبُ هذا المزيج بالإقدام على سقاية المسيح، وهو يصيح، تخفيفاً له من آلامه.

وتعليقاً على قول المسيح: "ولي خراف أُخَر ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتي بتلك أيضاً، فتسمع صوتي وتكون رعيّة واحدة وراعٍ واحد» (يوحنا ١٠/١٦)؛ يقول السيّد الجابي:

---

(١٦) **النصرانيّة، تاريخاً وعقيدةً.. وكتباً ومذاهب. دراسة وتحليل ومناقشة.**

(٤٢) **هل مات المسيح على الصليب؟** سلسلة سليم الجابي، ٩؛ دمشق، ١٩٩٥.

«هذه الأقوال تعدُّ قرينة واضحة على أنّ المسيح الناصري، إنْ مات على الصّليب، فلا يعود قادراً على الهجرة لتبشير جميع الخراف الضالّة التي ليست هي من حظيرة فلسطين» (ص ١٠٧).

والغاية من نزول المسيح حيّاً من على الصليب، على ما يبدو، هي في هجرته إلى شتات بني إسرائيل، حيث هم؛ وإلى تبشير العالم، وبخاصّة أعالي جبال نيبال والتبت وكشمير. يقول الجابي : «فما خطر لأحدٍ من هؤلاء الباحثين.. أنّ تعاليم المسيح النّاصري قد تركت بصماتها على البوذيّين وليس العكس» (ص١٥٢-١٥٣).

والدليل الثابت على هجرة المسيح إلى خارج وطنه يأتي من معنى اسمه: « إنّ كلمة "المسيح"، كما يقول الجابي، اشتُقّت من السياحة أصلاً. ولا يُسمّى إنسانٌ سائحاً ما لم يُغادر وطنَه إلى غيره من الأوطان» (ص١٥٦).

أمّا **نبيل الفضل**[٤٣] فيقول: إنّنا «نجد القرآن يقول: إنّ عيسى لم يصلب ولم يُقتل، وإنّه إنّما شُبِّهَ للناس ذلك... ومفسّرو القرآن يقولون: إنّ اليهود صلبوا شخصاً يشبه عيسى.. والذي حيّرني هو السؤال الآتي: «هل من المعقول أن يخطئ اليهود فيعتقلون ويطلبون ويقتلون إنساناً آخر لمجرّد أنّه يشبه عيسى؟ لم أقتنع بقصّة الشبه هذه» (ص٥٩).

---

(٤٣) **هل بشّر المسيح بمحمّد؟** رياض الرّيس للكتب والنشر، لندن ١٩٩٠.

فنبيل الفضل يعترف بالصلب إذاً. ولكنّ عمليّة الصلب هذه لم تكن سبباً للموت. ألمسيح هو نفسه الذي صُلب، وليس سواه.

ثمّ إنّ «كلمة "شُبِّه لهم" لم تكن تعني أنّه كان هناك إنسان شبيه بعيسى، عليه السلام، وصَلَبَه اليهود ظنّاً منهم بأنّه المسيح... بل إنّها تعني أنّهم اشتبهوا في موته، ولم يتيقّنوا من موته. ولذلك تنتهي الآية بقوله سبحانه وتعالى: "وما قتلوه يقيناً" (سورة النساء ٤/١٥٧).

والقبر أيضاً يسمح لنا بإنكار الموت. قال الفضل : «إنّ اليهود كانوا يضعون الجسد الميت في تجويفٍ منحوتٍ في الصخر، ثم يغلقون عليه حجراً، ويسمّونه قبراً أو ناووساً. وهذا التجويف في الصخر عادة ما يكون واسعاً ليسمح لحاملي الميت بالدخول والحركة. ومن ثمّ، فإنّ هناك اتساعاً وهواءً يكفي لتنفّس الإنسان إذا كان موجوداً هناك بعد إغلاق باب التجويف بالحجر.

وقصّة الطيوب التي اشترتها المجدليّة هي أيضاً فيها نظر، يقول الفضل: «ترى في أي تقاليد أو شعائر أو عادات، وفي أي شعوب أو أمم، نجد فيها الناس يدهنون الميت بالحنوط بعد وفاته ودفنه بثلاثة أيّام؟!

« "لا تلمسيني. لأني لم أصعد بعد إلى أبي" (يو ٢٠/١٧)، أي إنّني لم أمت وانتقل إلى رحمة اللّه بعد. فأنا حيّ. والحيّ يحسّ الجراح، ويتألّم من ملامستها. «ها هو المسيح نفسه يقرّ بأنّه لم يمت. يقرّها بطلبه من المجدليّة بأن لا تلمسه. ولو كان المسيح قد

قام من الأموات لما همّه أن تلمســه مريم المجدليّة وأن تحضنه، لأنّه سوف لن يحسّ بألم الجراح في جسده عـندما تلمسه أو تحضنه» (ص٩٥).

أمّا مقولة **المفتي حسن خالد**، في صلب عيسى، فعلى ظاهر القرآن. ويميل إلى أنّ الذي صُلب هو يهـوذا بدلَ عيسى[٤٨]. يقول: إنّ الأناجيل « تقطـع بأمر الصلْب: فكيف يدلُّ يهـوذا على المسيح؟! وكيف يقول له المسيح: يا صــديق! يا صاحب! لِمَ أقبلت؟ وهو الذي دلّ عليـه؟! وهو المفسِـد الآثِم إثمًا كـبيـرًا! وكيف يشــهد المســيح لتلامـيذه الإثني عشر بالســعادة، وقد وقع من بعـضـهم هذا الذي وقع؟! أليس يحـمل هذا علـى الظنّ بإمكانيّــةِ أن يكونَ المســيح قـد ذهب من الجماعة الذين أطلقهم الأعوان؟!»[٤٩].

وأمّا **أحمد زكي** فبـراهينه كثـيرة[٥٠]. وهي من الإنجيل، ولكنّه يستخدمها ليبرّر مقولةَ القرآن. وهو يخالف المسلمين في مَن صُلب مكان المسـيح. يقـول: إنّ مـلاكاً نـزلَ فخلّصــه من أعـدائه، واستبـدله بشبيهٍ له صُلب مكانه. ولكنّه لا يعيّن هويّة "الشــبيه"؛ سوى أنّه من "العالم الخارجي". قـد يكون "ملاكاً"، أو "جِنِّيًا"، أو "مخلوقـاً آخر" أوجده اللّه خصّـيصاً لهذه الغـاية. يقول: «هل سمعتَ أنّ الـقتلَ يُسمّى حبّـاً؟! كيف جعلوا اللّهَ قاتلاً، بينمـا القاتل

---

(٤٨) **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة.**

(٤٩) **موقف الإسلام**... ص ٦٧٩؛ أنظر أيضاً: ٥٩٩-٦٠١؛ ٦٧٣-٦٨٥.

(٥٠) في كتابه: **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح.**

هو بيلاطس، وقيافا، رئيس كهنة اليهود.. فما شأن اللّهِ الذي زجّوا باسمِه في هذه الجـريمة المزعومة النكراء؟ فقـيافا هو الذي خطّط، وبيلاطس البنطي الذي نفّذ.

ويحقّ للمرء أن يتـساءل: إذا كان المســيحُ هو اللّه. وإذا كان اللّهُ قد صُلب وقُـتل ومات. فمَن هو ذاك الذي كان، في مـوته، يهتمّ بالكون وما فيه!!!

ويتســاءل المرء أيضاً: أيُعـقل أن يَقْتلَ المخلوقُ خـالقَه!! بأي منطق يقال مثل هذا الكلام؟! وهل يُعقل أن يبصقَ المخلوقُ في وجه خـالقه؟ ويجلده؟ ويكلّله بـالشوك؟ ويُسـقيـه خلاً ومـرّاً؟ ويطعنه بالرّمح؟ ويعرّيه من ثيابه حـتى تبان عورتُه؟ ويرفعه على خـشبة العار؟ ويحكم عليه شرَّ ميتة؟ كيف ذلك؟ ثم كيف؟

أمّا **الدكتور أيّوب**، بمحاولتـه التوفيـقيّة، يفـسّر تفسـيراً شخصيّاً لم نجدْه عند مسلم سواه. فـهو يعترف بأنّ المسيحَ نفسَه صُلب ومات. ويقرّ بأنّ مـعنى "شُبِّه لهم" أي اشتبـه عليهم الأمر، ولم يعـودوا يميّزوا مجـريات الأحداث. وبالـتالي، فإنّ الـقرآن لا يجزم، لا بصلبِ المسيح ولا بعدم صلبه[٥١] (ص٦٥).

وكذلك **عـبد المجـيد الشـرفي**، ألباحـث بامتيـاز في ردود المسلمين، يقـول في قـتل عيـسى وصلبـه: «نفى القـرآن أن يكون اليـهـود قتلوا عـيـسى أو صلبـوه. فـهل تعني هذه الآية أنّه قُـتل

---

(٥١) **الحوار مع المسيحيّين في منظور إسلامي**، في كتاب : **نحو الجدال الأحسن**.

وصُلب، ولكن على غـيـر أيدي اليهـود! أم أنّه لم يُقـتل ولم يُصلب البتة؟ لا شيء مبدئيّاً يمكّننا من ترجيح أحد الاحتمالَين إن اقتصرنا على النّصّ القرآني وحده ولم نعتمد السنّة التفسيريّة التي بتّت في اتّجاه نفي الصلب...

« فليس من المسـتبـعد أن يكون إنكارُ قـتلِ اليهـودِ عيـسى وصلبِه من باب المجادلة المقصود بـها التنقيص من شأن المجادلين، لا سيّمـا أنّ كلّ الأحداث المتعلّقة بحيـاة المسيح لم تزل، منذ القديم، محلَّ أخذ وردّ واختلاف. ولا أحد يستطيع ادّعاء اليقين فيها.

يُضـاف إلى هذا أنّ إقرار القـرآن بـ"رفع عيسى" في الآية الموالية يتّفق والعقيدة المسيحيّة في هذا "الرفع" (ص ١١٩).

الفصل الثامن

ألفداء والخلاص والكفّارة

إنّ المسلمين، جميعهم، بسبب رفضهم ألوهيّةَ المسيح وصلبه، يرفضون أيضاً الفداء والكفّارة والخلاص وقيامة المسيح التي هي عربون قيامة الأموات وأساسُها. والسبب هو أنّ الإنسانَ وحدَه يتحمّل وزرَ أعماله. وليس مِن مخلِّصٍ أو فادٍ له منه، إلاّه.

يقول **علي بن ربّن الطبري** : «إنّ سببَ إرسال اللّه ابنَه من السماء هو مناوأةُ الشيطان الذي عجز عنها الأنبياء.. إلاّ أنّ الشيطان أخذه، وقتله، ثمّ صلبه على يدي شرذمة من أحزابه»[1].

لكنّ «الفداء لم يعط ثمارَه. بل العكس حصل : فبدلاً من أن يكون المسيح مُغيثاً للناس، صار هو مستغيثاً باللّه من الشيطان.. وما أحسن أنّ هاجياً هجا اللّه منذ قامت الدنيا، ولا مدحَ الشيطانَ مادحٌ أكثر ممّا يقوله النصارى من ذلك؟ إنّهم زادوا الشيطان تمرّداً»[2].

---

(١) إبن ربّان الطبري، **الدين والدولة**، ص ١٤١.

(٢) ألمرجع السابق نفسه، ص ٢١ و٢٧.

ويعرض **القاسم بن إبراهيم الحسني** عقيدة النصارى بالفداء، بطريقته الخاصّة، فيعتبر اتّخاذ الإبن جسداً آدميّاً ليس إلاّ تنكّراً منه، ليحتال على الشيطان، ويخلّص البشر من بين يديه»[٣].

أمّا الغريب فهو في ما يقول **أبو جعفر الطبري** (ت ٣١٠/ ٩٢٣)، الذي يكاد يكون فريداً بين المسلمين. يقول : «والنصارى يزعمون أنّه توفّاه اللّه سبع ساعات من النهار، ثمّ أحياه اللّه فقال له: إهبط فانزل على مريم المجدلانيّ في جَبَلها، فإنّه لم يبكِ عليكَ أحدٌ بكاءَها، ولم يحزنْ عليكَ أحدٌ حزنَها. ثم لِتَجمَعَ لكَ الحواريّين. فبِثَّهم في الأرض دعاةً إلى اللّه. فإنّك لم تكن فعلتَ ذلك (من قَبل). فأهبَطَه اللّهُ عليها. فاشتعلَ الجبلُ حين هبط نوراً. فجمعتْ له الحواريّين. فبثّهم. وأمرهم أن يبلّغوا الناسَ عنه ما أمره به اللّه. ثم رفعه إليه فكساه الريش، وألبسه النور، وقطع عنه لذّة المطعم والمشرب. فطار في الملائكة وهو معهم حول العرش. فكان إنسيّاً مَلَكيّاً سمائيّاً أرضيّاً. وتفرّق الحواريّون حيث أمرهم»[٤].

أمّا **الحسن بن أيّوب**، وهو نصرانيْ اعتنق الإسلام، فقد كان أشدّ تهكّماً من سواه. قال: «إنّ الابن الذي جاء ليخلّص البشر، لم يخلّصهم. بل لقد أصبح الشيطان، بعد مجيئه، أعتى ممّا كان. فلا الخطيئة أُبطلتْ، ولا الموت تلاشى، ولا الخلاص أتى، ولا الشيطان رُبط. بل العكس حصل..

---

(٣) **ردّ الحسني على النصارى.**

(٤) تاريخ الطبري، ١/ ٦٠٢-٦٠٣.

ثمّ إنْ كانت الخطيئـة بطلتْ بمجيئه، فالذين قـتلوه إذاً ليسوا خاطئين ولا مأثومين، لأنّه لا خاطئ بعد مجـيئه ولا خطيئة. وكذلك أيضاً الذين قتلوا حـواريّيه وأحرقوا أسفارَه غيـرُ خاطئين. وكذلك مَن يُرى من جماعتكم، منذ ذلك الدهر إلى هذا الوقت، يَقتل ويسرق ويَزني ويلوط ويسكر ويكذب ويركـب كلَّ ما نُهي عنه من الكبـائر وغيرها، غيرُ خاطئين.

ويقول أيضاً إنّ الهـالكين هالكون بسبب خطاياهم، والناجين ناجون بسبب أعمالهم الصالحة. فـلا شأن للمسيح ولا لصليبه، لا بهلاك الهالكين، ولا بنجاة الناجين»[٥].

ويردّد **مؤلّفٌ مجهول** ما قاله الحسن بن أيّوب : «زعمتم أنّ الشيطان هـو دلّ على عيسى وسلّطـه عليه وأمكنه منه، فـهلاّ ربط عيسى الشـيطانَ عن نفسه وامتنع منه، إنْ كـان الشيطان هو فعل ذلك به، كما زعـمتم! معاذ اللّه أن يفعل اللّه ذلك. عـيسى أكرم على اللّه من أن يفعل ذلك به. ولكنّكم قوم تجهلون».

كما يرفض المؤلّف المجهول أن يكون عيسى نزلَ إلى الجحيم ليـخلّص نفوسَ الأنبـيـاء السابقين والأبـرار الصدّيقين. فلو كـان الشيطان مسلّطاً على هؤلاء لما تمكّن عيسى من تخليصها[٦].

أمّا **القاضي عـبد الجـبّار** فيـقول إنّ النـصارى لا يخـافون عذابات جهنّم، بسبب أنّ المسيح قد مات من أجل أن يخلّصهم منها:

---

(٥) **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، ٢/٣٥٢-٣٥٣.

(٦) **الردّ المجهول المؤلّف والعنوان**، ص ٢٨-٢٩.

« قلّما تجد منهم مَن يخاف عذاب الآخرة، لأنّهم يعتقدون أنّ المسيح إنّما قتَل نفسَه ليقيهم من الذنوب والعذاب، وأنّه جالسٌ عن يمين أبيه، وأمُّه جالسةٌ ممّا يلي يساره. فهي تتلقّى الذنوب إذا طلعتْ وتقول لابنها: سلْ يا بُنَي أباك الربَّ غفرانَها. فهو، عندهم، يغفرها ويسأل أباه غفرانَها»(٧).

ويقول **الغزالي** عن افتداء اللّه لبني آدم ولجميع الأنبياء والأولياء وتخليصهم من الجحيم، وذلك بإرساله ابنَه إليهم، وصلبِه من أجلهم. وذلك كلّه في غاية الحمق؛ «لا أقالَ اللّهُ لهذه العصابة النَّوكَى عثاراً»(٨)..

أمّا **أبو عبيدة الخزرجي** فيقول إنّ اللّه لم يستطع -بزعم النّصارى- أن يغفر خطايا آدم وذرّيته، إلاّ بإرساله ابنَه للصلب والموت. بذلك يخلّصهم، وينتصف لنفسه منهم. ثمّ يقول: إنّ هذا لَغاية الظلم ونهاية الجَور. لقد نسب النصارى إلى اللّه تعالى ما يُنسب إلى شرار الآدميّين من الحقد والغائلة.

«أخبرني أيّها المغرور عن رجل أخطأ عبدُه في حقّه، فبقي بعده مدّة غاضباً عليه، ساكتاً على معاقبته، حتّى ولد لنفسه ولداً، فعمد إلى قتله بذنب العبد؟

---

(٧) **تثبيت دلائل النبوّة**، ص ١٩١.

(٨) **الردّ الجميل لإلهيّة عيسى بصريح الإنجيل** ص ١٤٢. **النَّوكى**، الذين بلغوا غاية الحمق.

«أخبرني! ما الذي أوجب لآدم عليه السلام أن يكون موصوفاً لديكم بهذه الشتائم، وهو أبو البشر، واللّه قد تاب عليه واجتباه؟.

«أخبرني أيّها المغرور عن موسى! كيف نفهم أنّ اللّه تعالى أدخله الجحيم وأخلده فيها بعد أن كلّمه واصطفاه وفضّله وبعثه إلى عباده نبيّاً وهادياً؟ وكذلك إبراهيم الذي كان قد اتّخذه خليلاً واصطفاه وفضّله بهدايته ونبوّته وأظهر على يديه توحيده؟»[٩].

وأمّا **شيخ الإسلام ابن تيميّة** فيقول عن النّصارى، بأنّهم، في قولهم بالصلب والفداء، إنّما يشتمون اللّهَ شتماً لم يشتمْه قبلَهم ولا بعدهم أحد. «فهم من أبعد الأمم عن توحيده، وتمجيده، وحمده، والثناء عليه. وذلك أنّهم يزعمون أنّ آدم، لمّا أكل من الشجرة، غضبَ الربُّ عليه وعاقبه، وأنّ تلك العقوبة بقيت في ذرّيّته إلى أن جاء المسيح وصُلب، وأنّه كانت الذرّيّة في حبسِ إبليس. فمن مات منهم ذهبتْ روحه إلى جهنّم في حبس إبليس، حتّى قال ذلك في الأنبياء، نوح وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وغيرهم»[١٠].

وينقل عن النصارى أنّهم يقولون بصلب المسيح كفّارة عن ذنوب آدم وذرّيّته؛ وذلك بأن احتالَ على إبليس وسلّمَه نفسه.

---

(٩) **مقامع الصلبان، أو "بين الإسلام والمسيحيّة"**، ص٢١١؛ ٢١٤-٢١٥

(١٠) **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، ١/ ٢٢١.

وفي رأي **عبد الله العلمي**، إنّ إسناد لقب "مخلّص" إلى المسيح ليس خاصّاً به وحده... ثمّ «إنّ المسيح لم يخلّص جميع العالم، ولم ينجّهم. بل بقي أكثرهم في حالة الهلاك إلى هذا اليوم. وإنّ مشروطيّة الخلاص بشرط الإيمان مزيّة مخصوصة بكلّ رسول ونبيّ. وليست خاصّة بالمسيح وحده». ثمّ إنّ المسيح لم يخلّصْ جميعَ الأمم، ولا حتّى الأمم النّصرانيّة (ص١٩٠).

وكذلك إسناد لقب "فادي" إلى المسيح فهو إسناد مجازي لا حقيقيّ، لـ «أنّ الفداء يُسند إلى اللّه حقيقة وإلى غيره مجازاً. وموسى جاء "فادياً" كالمسيح تماماً.

ثمّ «إنْ كان المسيح فدى الناس بلاهوته، فقد لزمك القول بأنّ اللاّهوت صلب ومات ودفن. وإنْ كان فدى الناس بناسوته فقد نفى أن يكون الإنسان فداء الآخر. فإذا كان الذي تألّم وصلب وقتل هو الناسوت الإنساني فقط، لم يصلح أن يكون "فادياً"» (١٩١-١٩٨).

وعن فداء عيسى يقول **داعي العصر أحمد ديدات** متهكّماً : «لماذا يعرض عيسى عليهم (أي المسيحيّين) الحل "المستحيل" بضرورة حفظهم للشريعة، وهو أمر لا طاقة لهم به، إذا كان هناك سبيلاً (كذا) أيسر "للخلاص" على وشك الحدوث؟ ألمْ يعلم المسيح ما كان سيحدث وأنّه كان سيصلب؟ ألم يكن هنا عهداً (كذا) بين الآب و"الابن" قبل بداية العالم بشأن دمه الفادي الذي كان سيراق؟! هل فقَدَ المسيح ذاكرته؟ كلاّ! فلم يكن هنا مثل هذا الاتفاق

الخيالي المختلق للتضليل في ما يتّصل بعيسى. فقد كان يعلم أنّه لا يوجد سوى طريقاً واحداً (كذا) إلى اللّه، وكان هذا الطريق كما قال عيسى، عليه السلام: "إحفظ الوصايا"!»[١١].

وعن الخلاص من الآثام، يقول ديدات، وهو، على ما يبدو، يردّ على قسّيس بروتستانتي يقول بأنّ الخلاص بالإيمان بيسوع المسيح لا بما يستحقّه الإنسان نتيجة أعماله، يقول: «ألخلاص من الآثام رخيص الثمن في المسيحيّة! لا يتعيّن على المسيحي أن يصوم ويصلّي ويستقيم في حياته، كما يلزم بذلك المسلم. على المسيحي فقط أن يؤمن، والخلاص من الذنوب مضمون له»[١٢].

ويعتبر **الشيخ محمّد علي برّو العاملي** عقيدةَ الفداء غير مقبولة في العقل، ولا تنطبق على اللّه، ولا على الإنسان الذي يتحمّل مسؤوليّة أعماله وحده. يقول: «قد فتح بولس باب العصيان والفساد للمسيحيّين على مصراعيه بفتحه باب الغفران بالاعتراف عند رجال الدين. ومن هنا فتحتِ الكنيسة باب الغفران وباعت صكوكه، وقسمت الجنّة إلى قطاعات باعتها لأصحاب الأموال، فجنتْ بذلك الأموالَ العظيمة.

«وهذا ما شجّع المسيحيّين على الاستهتار بالمحرّمات وارتكاب جميع أنواع المعاصي بحيث لم يبق هناك محرَّمٌ في المجتمع المسيحي، وخاصة الغربي؛ ولذا لا يشعر الكثير منهم بأي

---

(١١) **المسيح في الإسلام**، ترجمة وتعليق محمد مختار، ١٩٩٠؛ ص ١٤٣–١٤٤.

(١٢) **مسألة صلب المسيح، بين الحقيقة والافتراء**، ترجمة علي الجوهري؛ ص ١٢٨.

ذنب مقابل الجـرائم التي يرتكبونها. وقد ارتكبت الدول المسيـحيّة أعظم الجرائم في حقّ العالم الثالث في استعبادها لهم وإخضاعهم لسلطانها بشـتّى أنواع السلاح المدمّر. وإذا كان رجل الدين يـغفر كلّ شيء جناه العـاصي مـهمـا كان فـي أقل من طرفة عين، فـأيّ جريمة يتورّع عنها المسيحي؟»[١٣].

ويرفض **الدكتور مراد هوفمان**، سفير ألمانيا بالرباط، ألذي اعتنق الإسلام، أن يكون الإنسـان بحاجة إلى الخلاص، وأن يكون المسيح مخلِّصاً[١٤].

أمّا **الدكتور مصطفى شاهين** فيتخـيّل حواراً جرى بين اللّه الأب وابنه الذي أرسله لـيمـوت على الـصليب كـفّـارةً عن خطايا البشر. يقول : إنّ «المسيح، بعد صعوده إلى السماء، توجّه إلى أبيه قائلاً: سلِّمْ لي نفسكَ لأنتقمَ منك، لأنّك حكمتَ بموتي على الصليب دون وجه حقّ؛ وأنتَ قلتَ في كلامك لموسى: "مَن قَتل يُقتل"، وها أنتَ قـتلتَني. فسلِّمْ لي نفـسكَ لأقتلكَ. فـقال له الأبُ: ألا يكفـيك أن تكون أنتَ المسـئول عن محـاسبة الناس؟ فـرضي بذلك، وهو الآن منتظر على يمين أبيه»[١٥].

أمّا مفتي الجمهوريّة اللبنانيّة الشيخ **حسن خالد** فيأخذ على المسـيحـيّين إيمانَهم بفـداء عيـسى للبشـر. يقول : «إنّ الإسـلام

---

(١٣) **الكتاب المقدّس في الميزان**، بيروت ١٩٩٣؛ ص ٣١٧.

(١٤) **الإسلام كبديل**، ترجمة د. غريب محمّد غريب.

(١٥) **النصرانيّة، تاريخاً وعقيدةً.. وكتباً ومذاهب. دراسة وتحليل ومناقشة**؛ ص ١٠٨.

«يتصدّى لمفهوم الفـداء في النصرانيّة... هذا المفهوم الذي يرتضي فيه النصـارى الإعتقادَ بأنّ اللّه تعالى أرسل ولده الوحـيد –تعالى اللّه عن ذلك علوًا كبيرًا– ليُهان على أيدي الناس، وليُعذَّب، ويُبصَق عليه، ويُضـرَب بالقصـبة، ويُوضَع على رأسه إكلـيل من الشوك، ويُنشَر على الصليب، وتُسمَّـر يداه، ويَسيل دمُه، ويموت وهو على الخشبـة ليفدي الناس ويخلّصـهم من عذاب جهنم بسبب خطـيئة والدهم آدم. أجل يتصدّى الفكر الإسلامي لهذه الدعوى ويتساءل:

«لو صدقت (هذه العقيدة)، فما هو مصير موسى؟ هل أدخله الله تعـالى الجحيم وخلّـده فيهـا بعد أن كلّمــه واصطفاه وأكـرمه وأرسله رسولاً إلى بني إسرائيل؟ وما هو مصيرُ إبراهيم من قَبلُ، وهو مـصير كـلّ الأنبيـاء الذين سبـقوا ظهـور عيسـى، كيحـيى، وزكريا، ويوشع، وهارون، وداوود، وسليـمان، ويونس، وأليشع، وذي الكفل ويونـس، ويعـقـوب، واسـحق، واســمـاعـيل، ونوح، وادريس... هل سقط كل هؤلاء في جهنم؟!

«ولماذا لم تُنبِّـهِ التوراةُ إلى أنّ ذنب آدم ظلّ معلّـقًا في أعناق بنيه، وسـيظل حتى يأتيهم فـي آخر الزمان مَن يفـديهم منه بدمه وعذابه وموته؟ ولِمَ لم يصرّح بذلك الأنبياء والرسل على كثرتهم؟!

«نؤكّد بأنّ الإسلام يرفض دعوى الفداء أصلاً ويعتبرها غير متكـافئة مع عظـيمِ خيرِ اللـه ومَنِّه على عبـاده، وبخاصـة بعد أن تحقّقتْ توبةُ الله على آدم قـبل أن يُهبطَه إلى الأرض من الجنّة التي كان فيها.

«يضـاف إلى مـا تقـدّم أن آدم هو الذي عـصى وأثِم، وليس أولادُه من بعـده... ثمّ مـا ذنب إدريس ونوح وإبراهيم وإسـحـاق ويعقوب ويوسف وموسى والأنبياء كلّهم ومحمّد... ما ذنب هؤلاء جميعًا وهم لم يأكلوا من الشجرة؟!»(١٦).

ويعلّق **أحمد زكي** ببعض الطرافـة على حَدَثُ نزولِ عـيسى إلى الجحيم ليُخرِجَ منها الأبرارَ والأنبياء السابقين، فيقول : «باللّهِ، كيف يُنقذُ المسيحُ إبراهيمَ والأنبيـاءَ الآخرين، ويتركُ بقيّةَ المؤمنين الذين آمنوا بهؤلاء الأنبياء!..

«ثمّ، باللّهِ، فليُخـبرْنا أصحـابُ هذا المعتقـد المستحـيل: كيف دخلَ هؤلاء الأنبيـاء وغيرهم جهنّمَ في الوقت الذي لا يتمّ دخـولُها إلاّ يومَ الدينونة! والدينونة لم تقم!..

«ثمّ، باللّهِ، فليُخبرونا أيضـاً: مَن قال لهم إنّ مَن يدخلُ جهنّمَ يخـرجُ منها!؟». ويسـأل السيّـد زكي: «كـيف دخلَ المسيحُ جـهنّمَ بدون أن يأخذَ مفاتيحَ السـموات مِن بطرسَ بعد أن أعطاها له وهو على الأرض. لا سيّـما وأنّ أناجيلَهم لـم تخبرْنا أنّ المسـيحَ وجدها مغلقة»(١٧).

---

(١٦) **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة**؛ ص٦٨٩-٦٩٦.

(١٧) **أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**؛ ص ١١٤-١١٦.

الفصل التاسع

نزول عيسى آخر الزمان

ينقل **الحافظ أبو الفضل الحَسَني**(١٨)، عن بعض المسلمين، حديثاً متواتراً عن النّبي يقرّ بنزول عيسى على الأرض في آخر الزمان. يقول : « أخبر النبي (ص) –وهو الصادق الصدوق– أنّ عيسى ابن مريم، عليهما السلام، سينزل في آخر الزمان فيقتل الدجّال الأعور اللّعين الذي يدّعي الألوهيّة، وكذلك يقتل الخنزير أيضاً، ويكسر الصليب، ويقاتل الكفّار على الإسلام، ولا يقبل منهم الجزية، وينتشر في زمنه الأمن والعدل، ويكثر المال حتى لا يقبله الناس، وفي وقته يخرج يأجوج ومأجوج، ويهلكهم اللّه بدعائه، ويمكث في الأرض ما شاء اللّه أن يمكث، ثم يموت فيصلّي عليه المسلمون ويدفنونه».

يعلّق الحافظ أبو الفضل على هذا الحديث، فيقول : «تواتر هذا المعنى تواتراً لا شكّ فيه، بحيث لا يصحّ أن ينكره إلاّ الجهلة

---

(١٨) الحافظ أبو الفضل عبداللّه بن محمّد بن الصدّيق الحَسَني، **عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام** عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦؛ (١٤×٢٠)؛ ١٦٨ ص.

الأغبياء.. لأنّه نُقل بطريق الجميع حتّى استقرّ في كتب السنّة التي وصلت إلينا تواتراً بتلقي جيل عن جيل» (ص ٧)...

ثم يعدّد مئات المحدّثين والباحثين، في عشرات الصفحات (ص ٧–٣٠). ويقول: إنّ الأحاديث تدلّ صراحةً على أنّ عيسى لا يزال حيًّا في السماء؛ لأنّه، «لو كان ميتاً، لكان لا بدّ من إحيائه وخروجه ليقتل الدجّال واليهود، ثم يموت أيضاً. فيكون قد مات وأُحيِيَ أكثر من مرّتَين، وذلك مخالف لقوله تعالى: "كيف تكفرون باللّه وكُنتُم أمواتاً فأَحْياكُم، ثمّ يُحييكُم، ثمّ إليهِ تُرجَعون" (٢/ ٢٨) ، ولقوله تعالى "وقَالوا ربَّنا أمَتَّنا وأحييتَنا اثنتَين فاعترفْنا بذنوبِنا" (٤٠/ ١١).

« فالنصوص دالّة على حياته.. وأمّا كونه في السماء فلأنّ لفظ النزول والهبوط يقتضيانه؛ ولأنّه، لو كان في الأرض، لعُرِف محلُّه، ولَوَجب عليه أن يسعَى إلى رسول اللّه (ص) حين بَعْثِه، ويؤمِنَ به، ويجاهدَ معه، تنفيذاً للميثاق الذي أخذه اللّه عليه وعلى جميع الأنبياء.

« وقال في ذلك صاحبُ "عون المعبود" : "فلا يخفى على كلّ منصف أنّ عيسى الآن حيٌّ في السماء لم يمت بيقين". والدليل قوله تعالى: "ويُكلّم الناسَ في المهدِ وكهلاً" (٣/ ٤٦). والمراد بقوله "وكهلاً" بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان ويكلّم الناس ويقتل الدجّال... والكهولة هي لعيسى بعد "رفعه"، لانّه "رُفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.. وعندما ينزل

"يمكث في الأرض، بعد نزوله، أربعين سنة، كما دلّ عليه الحديث الصحيح» (ص ٣٠-٣٢).

وقيل للحسين بن الفضل: هل تجد نزول عيسى عليه السلام في القرآن؟ قال: نعم قوله: «وكهلاً»، وهو لم يكن بكهلٍ في الدنيا، وإنّما معناه وكهلاً بعد نزوله من السماء[١٩].

وثمّة أحاديث كثيرة للرسول تقطع بأنّ عيسى لا يزال حيّاً في السماء، وأنّه سيعود إلى الأرض في آخر الزمان. من ذلك قولُه لليهود : "إنّ عيسى لم يمتْ. وإنّه راجع إليكم قبل يوم القيامة"؛ وقوله: "كيف تهلك أمّة أنا في أوّلها وعيسى في آخرها؟!".

وعن أبي هُريرة: قال رسول اللّه: إنّي أَولَى الناس بعيسى ابن مريم، عليهما السلام، لأنّه لم يكن بيني وبينه نبيّ. ويوشك أن ينزل فيكم ابنُ مريم حَكَماً عدلاً، وإنّه نازل على أمّتي وخليفتي عليهم. فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنّه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الشعر، كأنّ رأسه تقطّر ولم يصبه بلل ، ينزل بين مخصَّرتَين.. ثمّ يلبث في الأرض أربعين سنة، ويتزوّج، ويولد له. يتوفّى، ويُصلّي عليه المسلمون. ويدفنونه في المدينة[٢٠].

أمّا معنى الآية: "إنِّي متوفِّيكَ ورافعُكَ إليَّ ومُطهِّرُكَ من الذينَ كَفروا" (٣/ ٥٥)، فإنّ اللّه قبضَ عيسَى ورفعه إليه، وطهّره

---

(١٩) راجع: الثعلبي، **عرائس المجالس**، ص ٤٠٣.

(٢٠) عن المرجع المذكور آنفاً، ص ٤٠٣-٤٠٤.

بنقله إلى السماء حتى لا يلحقه أذى. وهذا المعنى هو المؤيَّد بالنظر الصحيح، لأنّ التوفّي معناه، في اللّغة، قبض الشيء وافياً...

والدليل هو أن ليس في القرآن موت ذُكر معه الرفع، إلاّ في عيسى، لأنّ الميت يدفن ولا يرفع. وهو من قوله تعالى في شأن الإنسان: "ثمّ أماته فأقبره" (٨٠/ ٢١). ولذا قال القرطبي: إنّ اللّه تعالى رفعه من غير وفاة، ولا نوم. وهو رأي الطبري وابن عبّاس.

والرفع حقيقته اللّغوية النَّقل من أسفل إلى علوّ، كما قال أبو حيّان وغيره من أئمّة اللّغة والتفسير» [٢١].

وكان كعب الأحبار يقول: يتّسع الرزق في زمن عيسى، عليه الصلاة والسلام، حتّى إنّ الحيَّ ليمرّ بالميت فيقول: يا فلان! قمْ فانظرْ ما أنزلَ اللّهُ تعالى من البركة في الأرض.. ويكون الناسُ معه على خير زمان.

ومن المعلوم في إيمان المسلمين أن الساعة لا تقوم حتّى يمرّ عيسى ابن مريم بالروحاء حاجًا، أو معتمراً» [٢٢]... وعند قيام الساعة يقتل عيسى الدجّال، ثمّ تخرج دابّة الأرض تكلّمهم، ثمّ يأتي دخان يملأ ما بين السماء والأرض.. وتتمّ أشراط الساعة العشر، كما هو معروف.

---

(٢١) أبو الفضل الحسَني، **عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى**، ص ٣٥.

(٢٢) الشعراني، **مختصر تذكرة القرطبي**، ١٨٠...

الفصل العاشر

المصادر والمراجع

ألمصادر والمراجع نعني بها الكتب الإسلاميّة، القديمة والحديثة، التي وضعها مسلمون، وتناولوا فيها شخصيّة المسيح وتعاليمه وحياته وما علّمته الكنيسة في شأنه، والفِرَقَ التي انشقّتْ بعضها عن بعض بسبب نزاعاتها فيه.

نذكر من هذه المصادر الموجود منها والمفقود، للدلالة على سعة الموضوع وأهمّيته في الفكر الإسلامي. ما هو مفقود، ذكره المؤرِّخون وأصحاب الفهارس؛ وما هو مطبوع، بعضه متيسّر في المكتبات ودُور النشر، وبعضه غير متيسّر.

بعضها وضعه مفكّرون مسلمون كبار، وبعضها وضعه مسلمون مؤمنون اتُّخذوا بحماسهم لإسلامهم. بعضها كان ردّاً هادئاً من دون تشنّج وخصام، وبعضها الآخر كان ردّاً على جدال وخصام بأسلوب فظٍّ عنيف[1].

(١) يقول د. منير خوّام: «ولا بدّ لي من أن أصرّح أنّني لم أجدْ كتاباً واحداً تقريباً يتحدّث عن العقيدة المسيحيّة بروح الموضوعيّة (Objectivité) الحقيقيّة، رغم أنّ

في سردنا لهذه المصادر، نذكر القديمة منها بحسب ترتيبها الزمني، أي بحسب وفاة مؤلّفيها؛ أمّا الحديثة فبحسب ترتيب مؤلّفيها الأبجدي.

أوّلاً – المصادر القديمة

١–٢. ضرار بن عمرو أبو عمر القاضي، معتزلي من البصرة (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٦ م). ذكر له ابن النديم: **كتاب الرد على النصارى**.. وله أيضاً: كتاب يحتوي على عشرة كتب في **الردّ على أهل الملل.**

٣. **الهاشمي**، عبداللّه بن إسماعيل (ت ٢٠٥/ ٨٢٠). له: **رسالة عبداللّه بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحق الكندي يدعوه بها إلى الإسلام.** ورسالة الكندي إلى الهاشمي يردّ بها عليه ويدعوه إلى النصرانيّة. طبعت مراراً. ألرسالة والردّ، كلاهما، كما يُظنّ من يد الكندي. يعنينا، في هذه السلسلة، الرسالة دون الردّ.

٤. أبو سهل بشر بن المعتمر (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠ م). ذكر له ابن النديم: **كتاب الرّد على النصارى.**

٥–٦. ألمردار أبو موسى عيسى بن صُبيح، معتزلي من بغداد، لقّب «براهب المعترلة»، (ت ٢٢٦/ ٨٤٠). ذكر له ابن النديم: **كتاب الرّد على النصارى**. وله أيضاً: **كتاب على أبي قُرّه النصراني.**

٧. حفص الفرد (ت منتصف ق ٩). كان من المعتزلة ثم انفصل عنهم. له بحسب ابن النديم: **كتاب الردّ على النصارى.**

٨. أبو جعغر الإسكافي (ت ٢٤٠/ ٨٥٥). من رؤساء المعتزلة. له، بحسب القاضي عبد الجبّار: **كتاب في النصارى والردّ عليهم.**

المؤلّفين يعلنون رغبتهم باحترامها»، ص ٣٨.

٩-١٠. علي بن ربّن الطبري (ت ٢٤٧/ ٨٦١)، نصراني نسطوري، اعتنق الإسلام بعمر ٧٠ سنة. وهو أوّل مَن أشار إلى تنبّؤات التوراة والإنجيل على محمّد. ومَن جاء بعده عيالٌ عليه. له: **الردّ على النّصارى**، نُشر في بيروت سنة ١٩٥٩ بدون تحقيق، في ٣٠ صفحة من Mélanges de l'Université Saint Joseph, Tome XXXVI, Fasc.4. وهو أقدم أثر في باب «الردّ على النصارى». فيه بيان وجيز لشريعة الإسلام.. ومسائل نصرانيّة في التثليث، وألوهيّة المسيح، وتناقض شريعة الإيمان... وفيه يبيّن التناقض في أمانة النصارى، أي «قانون الإيمان النيقاوي»... وله أيضاً : **الدين والدولة في إثبات نبوّة النبي محمّد**، حقّقه وقدّم له عادل نويهض، بيروت، ١٩٧٧؛ (١٧×٢٤)؛ ٢٤٠ ص

١١. الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم الحسني الرسّي (ت ٢٤٦/ ٨٦٠). من أركان المدرسة الزَّيديّة. له : **الردّ على النّصارى**. فيه ثلاثة أقسام: قسم في التوحيد وإنكار أن يكون المسيح إلهاً أو إبن اللّه؛ وقسم في عقيدة الثالوث والتجسّد؛ وقسم في الردّ على هذه العقائد.

١٢. أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي (ت ٢٥٢/٨٦٦). فيلسوف شهير. له: **مقالة في الردّ على النّصارى**. لم يصلنا منها إلاّ مقتطفات أثبتها يحيى بن عدي ليردّ عليها.

١٣-١٤. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥/ ٨٦٩). من أبرز أدباء العرب. له : **كتاب الردّ على النّصارى**. وله أيضاً: **الرسالة العسلية في مسألة النصارى والردّ عليهم**. مفقودة، ذكرها القاضي عبد الجبّار.

١٥. محمّد بن سحنون (ت ٢٥٦/ ٨٦٩). من فقهاء أفريقيا. له بحسب القاضي عياد : **كتاب الحجّة على النصارى**.

١٦. أبو العياض الإيرانْشَهْري (ت بعد ٢٥٩/٨٧٣). له كتاب بدون عنوان، ذكر فيه عقائد اليهود والنصارى وما جاء في التوراة والإنجيل.

١٧–١٩. أبو الهذيل العلاّف (ت ٢٦٦/ ٨٧٩). شيخ معتزلة البصرة. ذكر له ابن النديم ثلاثة كتب: **كتاب الردّ على النّصارى**، و **كتاب علي عمّار البصري في الردّ على النصارى**، و **كتاب الردّ على أهل الأديان.**

٢٠–٢٤. إبن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦/ ٨٩٩). له كتب: "**المعارف**"، و "**مختلف الحديث**" و "**عيون الأخبار**" تدل على معرفة بكتب النصارى المقدّسة. وله أيضاً: كتاب "**البشارات بمحمد في التوراة**"، أو "**كتاب دلائل النبوّة**" الذي لم يصلنا.

٢٥. مجهول من أواخر القرن التاسع. له: **المنتقى من كتاب الرهبان.** نشره صالح الدين المنجّد، في كتابه: مختارات من كتاب الرهبان، سنة ١٩٥٦، ص ٣٤٩–٣٥٨.

٢٦. الناشئ الأكبر (ت ٢٩٣/٩٠٦). هو أبو العباس عبدالله بن محمّد الأنباري. يعرف بابن شرشير. شاعر ومتكلّم معتزلي. له: **الكتاب الأوسط في المقالات.** أحتفظ لنا منها الكاتب النصراني إبن العسّال (ت١٢٦٠م) بمقتطفات. نشرها المستشرق يوسف فان إس J.Van Ess في بيروت سنة ١٩٧١ مع كتابه «مسائل الإمامة».

٢٧–٣٠. أبو عيسى محمّد بن هارون الورّاق (ت ٢٩٧/ ٩١٠). من مشاهير المتكلّمين والفلاسفة. ابتدأ إعتزالياً وانتهى زنديقاً مانوياً ملحداً. له: **كتاب الردّ على النصارى الكبير**، و **كتاب الردّ على النصارى الأوسط**، و **كتاب الردّ على النصارى الأصغر**، و **كتاب المقالات.** لا نعرف عن الورّاق إلاّ ما جاء في ردّ يحيى بن عدي عليه، الذي ناقش نصّ الورّاق فقرة فقرة. «وتكمن أهمّيّة هذا الردّ في أنّه، من أوّله إلى آخره، مجادلة بالحجج العقليّة والمنطقيّة. فلم يلتجئ فيه قط إلى حجج نقليّة، سواء من القرآن أو من كتب النصارى المقدّسة... وإنّ ردّه هذا قد كان له أثر بالغ في الردود التي تلته»، على ما قال الشرفي (ص ١٤٦) . أنظر أيضاً: Abu

'Issa al-Warraq; Yahya Ibn 'Adi; **De l'incarnation**, édité par E.Platti, Corpus Scrip- torum Christianorum Orientalium; Lovanii, 1987; (17x24); 212 p. جواب يحيى بن عدي عن ردّ أبي عيسى الورّاق على النّصارى في الاتّحاد.

٣١. مؤلّف مجهول الإسم والعنوان (بداية ق ١٠). له: **ردّ على النّصارى**. نشره د. سورديل مع ترجمته إلى الفرنسيّة، ١٩٦٦.

٣٢. **قصّة أبي يزيد البسطامي** (+؟) **مع الراهب**. نشره عبد الرحمن بدوي في شطحات الصوفيّة، ص ٢١٨-٢٢٢.

٣٣. أحمد بن محمد القحطبي (ت٣٠٠/٩١٢): **الردّ على النصارى**.

٣٤. أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختي (ت بين ٣٠٠و٣١٠/٩١٢ و٩٢٢). متكلّم شيعي. ذكر له ابن النديم : **كتاب الآراء والديانات**.

٣٥. أبو علي الجبائي (ت٣٠٣/٩١٥). من مشاهير المعتزلة. له بحسب القاضي عبد الجبار : **كتاب الردّ على النصارى**.

٣٦. أبو عبد اللّه محمّد بن زيد الواسطي (ت ٣٠٦/٩١٩). متكلّم معتزلي بغدادي، تلميذ الجبائي. له، بحسب عبد الجبار، كتاب مفرد : **التبشير بمحمّد في التوراة**.

٣٧. محمّد بن جرير **الطبري** (ت٣١٠/٩٢٢)، **جامع البيان في تفسير القرآن**، قال فيه السيوطي: "وكتابه أجلّ التفاسير وأعظمها". وقال فيه النووي: "أجمعت الأمّة على أنّه لم يصنّف في التفسير مثل تفسير الطبري".

٣٨. أبو القاسم البلخي الكعبي (ت ٣١٩/٩٣١). هو أحد رؤساء معتزلة بغداد. له : **أوائل الأدلّة**. احتفظ بمقتطفات منها الفيلسوف اليعقوبي إبن زرعة (ت ٣٩٨/١٠٠٧) في ردّه عليها.

٣٩. أبو بكر الرازي، محمّد بن زكريّا (ت بين ٣١٠و٣٢٠/٩٢٢و٩٣٢).

فيلسوف عالم وطبيب. لنا مقتطفات من كتابه: **كتاب مخاريق الأنبياء أو نقد الأديان.**

٤٠. أبو الهاشم الجبائي (ت ٣٢١/ ٩٣٣). من أهل المعتزلة. له بحسب عبد الجبّار: **البغداديّات.** وفيها كلام على النصارى.

٤١. أبو إسحاق إبراهيم بن حماد بن إسحاق (ت ٣٢٣/ ٩٣٥). من فقهاء المالكيّة. ذكر له ابن النديم : **كتاب دلائل النبوّة.**

٤٢–٤٦. أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤/ ٩٣٥). مؤسّس الأشعريّة. له، كما ذكر ابن تيميّة: **مقالات غير الإسلاميّين.** "وهو كتاب أكبر من مقالات الإسلاميّين. وله أيضاً ما ذكره إبن عساكر: **كتاب الفصول**، و **كتاب فيه بيان مذهب النصارى**، و **كتاب فيه الكلام على النصارى**، و **كتاب في دلائل النبوّة.**

٤٧. أبو بكر أحمد بن علي بن الإخشيد (ت بين ٣٢٠و٣٢٧/ ٩٣٢و٩٣٨). متكلّم معتزلي. له : **كتاب المعونة.**

٤٨. أبو الحسن أحمد بن المنجم، المعروف بابن النديم (ت ٣٢٧/ ٩٣٨)، صاحب كتاب الفهرست. له : **كتاب إثبات نبوّة محمّد.**

٤٩. عيسى بن داود ابن الجرّاح (ق ٤/ ١٠). وزير وكاتب. له : **جواب عن كتاب ملك الروم إلى المسلمين.**

٥٠. أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣/ ٩٤٤). مؤسّس مدرسة عرفت باسمه. نازعت الأشعريّة في الانتساب إلى أهل السنّة. سلكت منهجاً وسطاً بين العقل والنقل. له : **كتاب التوحيد.** "تتلخّص آراؤه في أنّ المسيح لا يختصّ بالبنوّة دون سائرالبشر، وأنّ أفعاله ومعجزاته لا تدلّ على أنّه أتى بما يختلف به عن بقيّة الأنبياء. يقبل الماتريدي أن يكون المسيح ابناً "على الإكرام"، و"من جهة المحبّة والولاية، لا من جهة الولاد". "وله بعض الملاحظات الظريفة، مثل تعجّبه من أنّ النصارى «لم يكونوا في

حياته (عيسى) ومقامه في الأرض يرضون له رتبة الرسالة، مع ما له من البراهين؛ ثمّ بعد رفعه، أو موته عند عامّتهم، لم يرضوا بالعبوديّة والرسالة حتى جعلوا له رتبة الربوبيّة».

٥١-٥٨. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥/٩٥٦). رحّالة، مؤرّخ وأديب. اهتمّ بالنصرانيّة في العديد من كتبه. له : **أخبار الزمان ومَن أباده من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة**. وله أيضاً: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، و **التنبيه والإشراف**، و **أخبار الأمم من العرب والعجم**، و **خزائن الدين وسرّ العالمين**، و **مقالات في أصول الديانات**، و **المسائل والعلل في مذاهب الملل**، و **تقلّب الدول وتغاير الآراء والملل**.

٥٩-٦٠. السجستاني، أبو سليمان (ت ٣٧٥/٩٨٥). له : **كتاب التوحيد والكثرة والجوهريّة والأقنوميّة**، و **كتاب في مبادئ الموجودات**.

٦١. **الحسن بن أيّوب** (ت ٣٧٨/٩٨٨). له : **رسالة إلى أخيه عليّ**، في ٤٩ صفحة في كتاب "الجواب الصحيح"، لابن تيميّة (٢/٣٢٣-٣٧٢). يذكر فيها سببَ إسلامه، ويطعن بمن قال بثلاثة أقانيم؛ وبمن جحد نبوّة محمّد؛ ثمّ فصّل "شريعة النصارى". وقد خصّص الجزء الأوفر من رسالته لإنكار ألوهيّة المسيح، معتمداً على شواهد من العهدَين.

٦٢-٦٣. أبو الحسن العامري (ت ٣٨١/٩٩٢). له: **الإعلام بمناقب الإسلام**. وهو محاولة في التوفيق بين العقل والدين، والمقارنة بين الإسلام واليهوديّة والمسيحيّة والزرادشتيّة. بيّن فضيلة الإسلام عليها. نشره عبد الحميد غراب في القاهرة، سنة ١٩٦٧؛ وله أيضاً : **الإبانة عن علل الديانة**.

٦٤. أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤/٩٩٤). من لغويّي البصرة. ذكر له القفطي : **نقض التثليث على يحيى بن عدي**.

٦٥. أبو عبد الله أحمد بن محمّد الجيهاني الكاتب (ق ٤/ ١٠). ذكر له ابن النديم : **كتاب الزيادات في كتاب الناشئ في المقالات.**

٦٦. حميد بن سعيد بن بختيار المتكلّم (ق ٤/ ١٠). ذكر له ابن النديم: **كتاب على النصارى في النعيم والأكل والشرب في الآخرة وعلى جميع من قال بضد ذلك.**

٦٧. اليمان بن رباب (ق ٤/ ١٠). يذكر له ابن النديم : **كتاب المقالات.**

٦٨. أبو بكر الزهيري الكاتب (ق ٤/ ١٠). له بحسب عبد الجبار كتاب مفرد في **التبشير بمحمّد في التوراة.**

٦٩. أبو سليمان المنطقي (ت ٣٩١/ ١٠٠٠). له: **كلام في مبادئ الموجودات ومراتب قواها والأوصاف التي توصف الذات الأولى بها وعلى أي وجه وصفتها النصارى بالتوحيد والكثرة والجوهريّة والاقنوميّة.** نشرها G Troupeau وترجمها إلى الفرنسيّة بعنوان: Un traité sur le principe des êtres, attribué à Abu Sulayman al-Sigistani

٧٠. ألإمام القاضي أبو بكر محمّد بن الطّيّب الباقلاني (ت ٤٠٣/ ١٠١٢). يعتبر من دعائم المدرسة الأشعريّة. كان فقيهاً مالكيّاً مشهوراً بمناظراته. له : **كتاب التمهيد**، عني بتصحيحه ونشره الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، منشورات جامعة الحكمة في بغداد، سلسلة علم الكلام، ١؛ ألمكتبة الشرقيّة، بيروت ١٩٥٧. ألباب الثامن من ص ٧٥-١٠٣.

٧١. ألشيخ المفيد إبن المعلّم، أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان (ت ٤١٣/ ١٠٢٢). شيعي. له : **رسالة في ذبائح أهل الكتاب.**

٧٢-٧٤، ألقاضي عبد الجبّار بن أحمد الهمذاني (ت ٤١٥/ ١٠٢٤). له : **ألمغني في أبواب التوحيد والعدل.** الجزء الخامس: الفِرَق غير الإسلاميّة. في حوالي ٧٠ صفحة عن النصارى. وله أيضاً : **شرح الأصول**

لخمسة، و **تثبيت دلائل النبوّة**، حيث «ركّز على فكرة أساسيّة عنده، وهي أنّ دين النصارى مخالف لدين المسيح في الأصول والفروع معاً. فهم، في نظره، أعداء المسيح من حيث لا يشعرون» (الشرفي، ص ١٥٨). ويتّهم بولس في إدخال عناصر وثنيّة روميّة إلى المسيحيّة. ويقول بتأثّر العقائد المسيحيّة بالوثنيّة ويأخذ على الملك قسطنطين دورَه في إثبات العقائد المسيحيّة، وفشوّ الزنا، وعدم الختان، والخصاء، وسلوك "الديرانيّات". ويأخذ على القسّيسين مغفرتهم للخطايا، وأكلهم الخنزير.. ثم تذمّر عبد الجبار من اتّخاذ ملوك المسلمين للنصارى كتّاباً ووزراء... إلخ.

٧٥. رسائل الحكمة (٤١١-٤٢٧/ ١٠٢٠-١٠٣٥)، سلسلة "الحقيقة الصعبة"، رقم ٧؛ دار لأجل المعرفة، ديارعقل ١٩٨٥. فيها : **خبر اليهود والنصارى** (رقم ٣)؛ **الرسالة الموسومة بالقسطنطينيّة المنفذة إلى قسطنطين متملّك النصرانيّة** (رقم ٥٣)؛ **الموسومة بالمسيحيّة وأمّ القلائد النسكيّة، وقامعة العقائد الشركيّة** (رقم ٥٤)؛ **الرسالة الموسومة بالتعقّب والافتقاد لأداء ما بقي علينا من هدم شريعة النصارى الفسقة الأضداد**، (رقم ٥٥).

٧٦. المسبّحي، محمّد بن عبيد اللّه بن أحمد (ت ٤٢٠/ ١٠٢٩). أمير مؤرّخ في بلاط الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر اللّه. له كتاب مفقود : **كتاب دَرك البُغية**.

٧٧-٧٩. أبو الريحان البيروني (ت بعد ٤٤١/ ١٠٥٠)، **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، و **كتاب تاريخ الهند. تحقيق ما للهند من مقولة..**، و **تذكرة في إرشاد إلى صوم النصارى والأعياد**.

٨٠. أبو العلاء المعرّي (ت ٤٤٩/ ١٠٥٧). شاعر فيلسوف له : **رسالة المسيحيّة**. أهداها إلى الأمير عبد القاسم الحسين المغربي. مفقودة.

٨١. أبو الحسن علي بن محمّد **الماوردي** (ت ٤٥٠/١٠٥٨)، **تفسير الماوردي.**

٨٢-٨٣. ألمصري، أبو الحسن علي بن جعفر (ت٤٦١/١٠٦٨). طبيب ومنجّم مصري، خصم حنين بن إسحق. طبيب الحاكم بأمر اللّه الخاصّ. له، بحسب ما ذكر ابن أبي أصيبعة : **مقالة في الردّ على أفرانيم (أفرائيم) وابن زُرعة في اختلاف الملل؛** و **مقالة في بعث نبوّة محمّد من التوراة والفلسفة.**

٨٤-٨٥. إبن حزم، أبو محمّد علي بن أحمد (ت ٤٥٧/ ١٠٦٤). شاعر، مؤرّخ، فقيه، فيلسوف، متكلّم أندلسي. له : **الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِحَل.** خمسة أجزاء. ما يعود إلى النصارى موجود في الجزء الأوّل، ص ٤٨-٦٥؛ و٩٨-١١٧؛ وفي الثاني ٢-٩١. وله أيضاً : **كتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم ممّا لا يَحتمل التأويل.** مخطوط

٨٦. ألباجي، أبو الوليد (ت ٤٧٤/ ١٠٨١). فقيه أندلسي شهير. له: **ردّ على راهب من فرنسا إلى المقتدر باللّه ملك سرغوسا.** **La lettre du "moine de France" à al-Muqtadir billah, roi de Saragosse, et la Réponse d'Albayi, le Faqqih Andalou**, (Présentation, Texte arabe, Traduction); in Al-Andalus, 1966; Vol.XXXI, Fasc.12; 73-153 pp. تحقيق.Abdelmagid Turki وعنوانها : **رسالة الراهب من إفْرَنسَه** – دمّرها اللّه– **إلى المقتدر باللّه صاحب سرقسطة** (ص ٨٤-٨٧). ويليه: **جواب الفقيه القاضي الجليل الفاضل أبي الوليد الباجي** –رحمة اللّه عليه– **على هذه الرسالة.** الترجمة إلى الفرنسيّة من 116-153.

٨٧. الجويني، أبو المعالي عبد المالك بن عبد اللّه، إمام الحرمَين (ت ٤٧٨/ ١٠٨٥). من أشهر متكلّمي الأشعريّة. إستاذ الغزالي. له : **شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل.**

٨٨. إبن جزلة، أبو علي يحيى بن عيسى (ت ٤٩٣/ ١١٠٠). طبيب نصراني كان في خدمة المقتدر الخليفة العباسي، اعتنق الإسلام سنة ٤٦٦/ ١٠٧٤. له : **رسالة في الردّ على النصارى.**

٨٩. ألغزالي، أبو حامد محمّد (ت ٥٠٥/ ١١١١). من أشهر مفكري الإسلام. من الأشعريّة والصوفيّة: **ألردّ الجميل لإلهيّة عيسى بصريح الإنجيل؛** تقديم وتحقيق وتعليق د.محمّد عبد اللّه الشرقاوي؛ دار الجيل بيروت، ومكتبة الزهراء القاهرة، ط ٣، ١٩٩٠؛ (١٧×٢٤)؛ ١٨٤ ص.

٩٠. أبو محمّد الحسين بن مسعود المعروف بالفراء **البغوي** (ت ٥١٠/ ١١١٦). فقيه شافعي محدّث مفسّر. ملقّب بمحيي السنّة ركن الدين. كان تقيّاً ورعاً زاهداً قانعاً. له كتاب **معالم التنزيل**، وهو كتاب متوسّط، نقل فيه عن مفسّري الصحابة والتابعين ومَن بعدهم. وصفه الخازن في مقدّمة تفسيره بأنّه "من أجمل المصنّفات في علم التفسير، وأعلاها، وأنبلها، وأسناها". وقال فيه إبن تيميّة: "والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي".. طبع هذا التفسير مع تفسير الخازن.

٩١. محمود بن عمر بن محمّد اللّغوي المعتزلي، **الزمخشري** (ت ٥٣٩/ ١١٤٤)، الملقّب بجار اللّه. له: **الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.** إنّه نموذج للتفسير الاعتزالي، وهو "أحد الكتب الأساسيّة الأصيلة في التفسير"، بحسب ما قال جولدزيهر.

٩٢. أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل **الطبرسي** (ت ٥٤٨/١١٥٣)، **مجمع البيان لعلوم القرآن.** "أثبت في هذا التفسير عقائد الشيعة الإماميّة الإثني عشريّة"

٩٣. ألشهرستاني، أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت ٥٤٨/ ١١٥٣). باحث عن التشيّع. له : **كتاب الملل والنحل.**

٩٤. ألشيخ محيي الدين محمد بن علي الطائي الأندلسي، المعروف بـ **ابن**

عربي (ت٥٦٠/ ١١٦٤)، **تفسير ابن عربي.** تفسير على طريق أهل التصوّف، " غالبه يقوم على مذهب وحدة الوجود. ذلك المذهب الذي كان له أثره السيّء في تفسير القرآن الكريم " .

٩٥. إبن ظفر، أبو عبد الله محمّد بن أبي محمد الصقلّي (ت ٥٦٥/ ١١٦٩). باحث من صقلّية. له : **خير البِشَر بخير البَشَر.**

٩٦. الإستبي، أبو بكر محمّد (ت ٥٦٦/ ١١٧٠). من أصل إسباني، ولد في مصر. له كتاب نقدي ضد المسيحيّة لم يصلنا.

٩٧. إبن عساكر الدمشقي، ولد وتوفي في دمشق (ت ٥٧١/ ١١٧٥). له : **سيرة السيِّد المسيح،** تحقيق سليمان علي مراد، ألمعهد الملكي للدراسات الدينيّة، دار الشروق الاردن، ط ١ سنة ١٩٩٦، (١٤×٢١)، ٣٧٦ ص.

٩٨. ألخزرجي، أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد (ت ٥٨٢/ ١١٨٦). سنّي. مؤرخ وأديب أندلسي. له : **مقامع الصلبان** نشره عبد المجيد الرافعي سنة ١٩٧٥ تونس. ونشره محمد شامة، تحت إسم "**بين الإسلام والمسيحيّة**"، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٩٧٢؛ ط ٢، ١٩٧٥؛ (١٧× ٢٤)؛ ٤٣٢ص

٩٩. ألكاتب، محمّد بن عبد الرحمن (ق٦/ ١٢). له : **ألدر الثمين في مناقب المسلمين ومثالب المشركين.**

١٠٠. مجهول من (ق ٦/ ١٢)، من أصل مغربي. له، حسب حجي خليفة في كشف الظنون، ص ٨٣٨ : **ردّ على النصارى.**

١٠١. أبو عبد اللّه محمّد الطبرستاني **فخر الدين الرازي،** ألمعروف بابن الخطيب الشافعي (ت ٦٠٦/ ١٢٠٩). له: **مفاتيح الغيب.** "وهو تفسير أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام وفي علوم الكون والطبيعة. فنّد آراء المعتزلة وردّ عليها.

١٠٢. ألرهاوي، أبو محمّد بن عبد الله (ت ٦١٢/ ١٢١٥). سنّي. رحّالة. عالم. من الرُّها. له : **ردّ النصارى**. ذكرها ح. خليفه.

١٠٣. يوسف اللّبناني (ت ٦٢٣/١٢٢٦). له : **رسالة في الردّ على النصارى**.

١٠٤. ألسامري، يوسف بن أبي سعيد (ت ٦٢٤/١٢٢٧)، طبيب، وزير الملِك الأمجد. له بحسب حاجي خليفة: **شرح التوراة**.

١٠٥. مجهول من تونس، وضع سنة (٦٢٨/ ١٢٣٠) كتاباً بعنوان : **نقاط لتاريخ الردود ضد النصرانيّة في الغرب الإسلامي**.

١٠٦. ألبغدادي، عبد اللطيف، ألمعروف بابن اللّباد (ت ٦٢٩/ ١٢٣١). عالم موسوعي المعرفة. له : **مقالة في الردّ على اليهود والنصارى**.

١٠٧–٨. ألجعفري، تقي الدين بن الحسين (ت بعد ٦٣٧/ ١٢٣٩). متكلّم أديب. له : **تخجيل من حرّف الإنجيل**. ٧٤٤ صفحة. له أيضاً : **بيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود**.

١٠٩. ألقفطي، جمال الدين أبو الحسن، القاضي الأكرم (ت ٦٤٦/١٢٤٨). مؤرّخ. لغوي وأديب. له : **كتاب الردّ على النصارى**.

١١٠–٢. ألزاهدي، نجم الدين مختار بن محمود (ت ٦٥٩/ ١٢٦٠). فقيه حنفي. له : **الرسالة النّاصريّة**، حققها وعلّق عليها محمّد المصري، تحقيق التراث، رقم ١١. منشورات المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط ١، ١٩٩٤، (١٧×٢٤)، ٨٨ صفحة. سبب تأليف هذه الرسالة، كما يقول محمّد بن إبراهيم الشيباني، مدير عام مركز المخطوطات والتراث والوثائق، في الكويت: «الدلالة على حقّيّة رسالة محمد (ص)، وذكر شيء من معجزاته * في ذكر المخالِفين لنبوّته والردّ عليهم * في المناظرة بين المسلمين والمسيحيّين، ونصرة من أضحوا للإسلام أنصاراً. ومناظرة بين شيخ مسلم هو الباقلاني وقساوسة

النصارى» (ص ٥). وله أيضاً في باب "المناظرات" : **رسالة في ذكر المخالفين لنبوّة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم، والجواب عن شبههم.** ذكرها حاجي خليفه ص ٨٦٦. وله أيضاً : **رسالة في المناظرة بين المسلمين والنصارى، وذكر أسئلتهم.**

١١٣. زيادة الله بن يحيى الرأسي المهتدي (ت ٦٦٢/١٢٦٣). مسيحيّ اعتنق الإسلام. له : **كتاب البخت الصريح في أيّ دين هو الصحيح.**

١١٤-٥. أبو عبدالله محمّد بن أحمد الأنصاري، **القرطبي**، (ت ٦٧١/ ١٢٧٢)، له: **الجامع لأحكام القرآن.** وله أيضاً: **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوّة نبيّنا محمّد عليه الصلاة والسلام.** نشره كاملاً د.أحمد حجازي، نسخَه عن مخطوطة واحدة، القاهرة، دار التراث العربي، ١٩٨٠.

١١٦. القرطبي، أبو جعفر بن نصر الروادي (كان لا يزال حيّاً سنة ٦٧٧/ ١٢٧٨). له: **الأموال**. كتاب فقه في حقوق غير المسلمين.

١١٧. إبن رشيق، أبو علي الحسين بن عتيق بن الحسين التغلبي (ت ٦٨٠/ ١٢٨١)، له : **كتاب الرسائل والوسائل.** نقاش بين المؤلّف و"جماعة من القسّيسين والرهبان" حول إعجاز القرآن.

١١٨. ألسكسكي، أبو الفضل عبّاس التريمي (ت ٦٨٣/ ١٢٨٤). فقيه متكلّم. له : **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان.**

١١٩-٢٠. ألقرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي (ت ٦٨٤/ ١٢٨٥). متكلّم. مفسّر. مالكي له : **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة.** وهو ردّ على أسقف صيدون بولس الأنطاكي؛ دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٨٦؛ (١٧×٢٤)؛ ١٩٦ ص. وله أيضاً : **عجباً للمسيح بين النصارى.** قصيدة شعريّة على وزن الخفيف. ذكرها حاجي خليفة.

١٢١. الإمام ناصر الدين أبو سعيد بن عمر **البيضاوي** (ت ٦٩١/ ١٢٩١م)،

أنوار التنزيل وأسرار التأويل. "وهو كتاب جليل دقيق، جمع بين التفسير والتأويل، على أصول أهل السنّة".

١٢٢. غازي بن الواسطي (ت ١٢٩٢/٦٩٢). له : **الردّ على أهل الذمّة ومَن تبعهم.**

١٢٣. ألبوصيري، شرف الدين أبو عبد الله محمّد الصنهاجي (ت ٦٩٦/ ١٢٩٦). صوفي شهير بقصيدته "البردى". له: **ألحرج المردود في الردّ على النصارى واليهود.** شعر.

١٢٤. الدميري، عزّ الدين أبو محمّد (ت ١٢٩٧/٦٩٧). فقيه شافعي. مؤرّخ ومبشّر. له: **إرشاد الحيارى في الردّ على النصارى.**

١٢٥. أبو البركات عبد الله بن أحمد بن حمود **النسفي** الحنفي (ت ٧٠١/ ١٣٠١)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل.** "اختصره النسفي من تفسير البيضاوي ومن تفسير الكشّاف؛ غير أنّه ترك ما في الكشاف من آرائه الاعتزاليّة، وجرى فيه على مذهب أهل السنّة والجماعة. وهو تفسير وسط، ليس بالطويل المملّ ولا بالقصير المخلّ.

١٢٦–٧. إبن الرفعة، نجم الدين أبو العبّاس (ت ٧١٠/ ١٣١٠). فقيه. شافعي. ذكر له خليفة، ص ٨٨٦–٨٨٧ : **رسالة في الكنائس والبيع.** وله أيضاً : **ألنفائس في هدم الكنائس.**

١٢٨–٩. ألطوفي، نجم الدين أبو الربيع (ت ١٣١٦/٧١٦). حنبلي. له: **كتاب الإنتصارات الإسلاميّة وكشف شبْه النصرانيّة؛** دراسة وتحقيق د. سالم بن محمّد القرْني، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٩؛ جزءان. وله أيضاً: **تعليق على الأناجيل الأربعة وكتب الإثنَي عشر.**

١٣٠. أبو علي عمر السّكوني (ت ١٣١٧/٧١٧). له : **عيون المناظرات،** تحقيق سعد غراب، كلّيّة الآداب والعلوم التونسيّة، منشورات الجامعة التونسيّة، ١٩٧٦؛ (١٧×٢٤). يحتوي على ١٦٠ مناظرة من القرآن

والصحابة والخلفاء والفرق الدينيّة والفلسفيّة وعلماء الكلام. مناظرات حول الإلهيات مع اليهود والمجوس والنصارى والمشركين والمرتدين...

١٣١. سعيد بن حسن الإسكندراني (ت ٧٢٠/ ١٣٢٠). يهودي اعتنق الإسلام. له : **مسالك النظر في نبوّة سيّد البشر.**

١٣٢. إبن جماعة، بدر الدين محمّد بن إبراهيم (ت ٧٢٢/١٣٢٣). فقيه شافعي. عالم في الدين تولّى منصب القضاة في سوريا ومصر. له: **كشف الغِمّة في أحكام أهل الذمّة.**

١٣٣. شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبدالله الأنصاري (ت ٧٢٧/١٣٢٧). صوفي. له : **جواب رسالة أهل جزيرة قبرس.**

١٣٤–٨. إبن تيميّة، تقي الدين أبو العبّاس أحمد (ت ٧٢٨/١٣٢٨)، شيخ الإسلام. حنبلي. له : **ألجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح.** مطبعة المدني بمصر، ١٩٥٩؛ (١٧×٢٤)؛ ٣ أجزاء. وله أيضاً : **ألتخجيل لمن بدّل التوراة والإنجيل**، أو: **تخجيل أهل الإنجيل والنهج الصحيح على من بدّل دين عيسى بن مريم المسيح**، أو أيضاً: **تخجيل أهل الإنجيل**؛ و **الرسالة القبرسيّة**؛ وكتاب (أو مقالة) **في الكنائس**؛ و **كتاب الصارم المسلول على شاتم الرّسول**؛ طبع سنة ١٣٢٢ هـ، في مطبعة مجلس دائرة المعارف، بحيدرأباد؛ وأعادت طباعته دار الجيل، بيروت ١٩٧٥؛ (١٧×٢٤)، ٦٠٠ صفحة.

١٣٩. نظام الدين الحسن محمّد **النيسابوري** (ت ٧٢٨/١٣٢٨)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان.** "وهو مختصر لتفسير الفخر الرازي مع تهذيب كبير".

١٤٠. ألهاشمي، أبو علي عمر بن عبد السيّد (ت ٧٣١/ ١٣٣٠). قاضي تونس. له : **إدراك الصواب في أنكحة أهل الكتاب.**

١٤١. إبن عبد الرافع، أبو إسحق إبراهيم بن حسن (ت ٧٣٣/١٣٣٢).

مالكي وقاض كبير في تونس. له : **الردّ على المتنصّر.**

١٤٢. علاء الدين علي بن محمّد بن إبراهيم البغدادي الصوفي، المعروف بـ**الخازن** (ت ٧٤١/ ١٣٤٠)، **اللّباب في معاني التنزيل.** يُعنى بالمأثور، لا يذكر السند. وله ولوع بالتوسّع في الروايات والقصص"

١٤٣. أثير الدين أبو عبد اللّه محمّد بن يوسف بن علي بن يوسف **أبو حيّان الأندلسي** الغرناطي (ت ٧٤٥/ ١٣٤٤)، **البحر المحيط.** "أكثر مؤلّفه من مسائل النحو في كتابه مع توسّعه في مسائل الخلاف بين النحويّين، حتّى أصبح الكتاب أقرب إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير".

١٤٤-٥. إبن قيِّم الجوزيّة، شمس الدين أبو بكر محمّد بن أبي بكر الزرعي (ت ٧٥١/ ١٣٥٠). متكلّم مجتهد حنبلي تلميذ إبن تيميّة. له : **كتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى**؛ توزيع الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة؛ المملكة السعوديّة؛ ١٣٩٦هـ؛ (١٧×٢٤)؛ ١٩٤ صفحة. وله أيضاً : **أحكام أهل الذّمّة.** وفيها : **الشروط العمريّة.**

١٤٦-٧. ألسُبكي، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي (ت ٧٥٦/ ١٣٥٥). شافعي. له : **كشف الدسائس في ترميم الكنائس.** وله أيضاً : **كشف الغِمّة في ميراث أهل الذّمّة.**

١٤٨. إبن النقّاش، شمس الدين أبو أُمامة المصري (ت ٧٦٣/ ١٣٦١). فقيه مفسّر. له : **المَذمّة في استعمال أهل الذّمّة.**

١٤٩. ألتروحي، أبو بكر بن علي (ت ٧٧٢/ ١٣٧٠). له : **الجواب بالنفثات الصبوحيّة عن رسالة أهل الملّة النصرانيّة.**

١٥٠. جمال الدين أبو محمّد عبد الرحيم الأسنوي الشافعي (ت ٧٧٢/ ١٣٧٠)؛ ألشيخ الإمام العالم العلاّمة القدوة، جمال الدين، حجّة المناظرين، لسان المتكلّمين، شيخ المدرّسين، مفتي المسلمين، نجل السلف الصالحين، بقيّة المجتهدين؛ **كتاب النصيحة الجامعة،** أو **رسالة في**

استخدام أهل الذمّة وتحريم استخدامهم، أو الكلمات المهمّة في مباشرة أهل الذمّة، نشرها وعلّق عليها Moshe Perlmann، (١٧×٢٤)؛ University Brookline, Mass., U.S.A.، بدون تاريخ. لها عنوان آخر: **نصيحة أولي الألباب في منع استخدام النصارى**. وعنوان آخر أيضاً من حاجي خليفة: : **الإنتصارات الإسلاميّة**؛ وعنوان من السيوطي: **جهد القريحة في تجريد النصيحة**.

١٥١. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل **بن كثير** القرشي الدمشقي الشافعي (ت ٧٧٤/١٣٧٢)، **تفسير القرآن العظيم**. "من أصح التفاسير بالمأثور، إنْ لمْ يكنْ أصحّها جميعاً. وقد التزم صاحبُه تفسيرَ القرآن بالقرآن

١٥٢. إبن العطّار، شهاب الدين أحمد الدُنَيسَري (ت ٧٩٤/١٣٩٢). أديب مصري، وفقيه. ذكر له حاجي خليفة، ص ١١٨٠ : **العهود العُمريّة في اليهود والنصارى**.

١٥٣. ألفيروزابادي (ت ٨١٧/ ١٤١٤). من أئمّة اللّغة والأدب. له **القاموس المحيط**.

١٥٤–٥. **الجلالان**: جلال الدين محمّد **المحلي** (ت ٨٦٤/ ١٤٥٩)، وجلال الدين عبد الرحمن **السيوطي** (ت ٩١١/١٥٠٥)، **تفسير الجلالين**، "وهو تفسير قيّم، سهل المأخذ، مختصر العبارة".

١٥٦. محمّد بن عبد الله **الشوكاني**، زيدي (ت ١٢٥٠/ ١٨٣٤)، له **فتح القدير**، "الجامع بين فنّي الرواية والدراية في التفسير".. يعتبر الشوكاني عمدة المفسّرين في عصره وإمام المجدّدين في القرن الثالث عشر الهجري.. كسر قيود التقليد وحارب المقلّدين، ونادى بالاجتهاد والرجوع إلى الينابيع الأصليّة للشريعة"

١٥٧. العلاّمة شهاب الدين السيّد محمّد **الألوسي** البغدادي مفتي بغداد (ت١٢٧٠/ ١٨٥٤)، **روح المعاني**. "من أجلّ التفاسير وأوسعها

وأجمعها.. لخّص البيضاوي والرازي والسيوطي".

١٥٨. **الإمام محمّد عبده** (ت ١٣٢٣/ ١٩٠٥)، تفسير القرآن الحكيم، المشتهر باسم تفسير المنار.

١٥٩. علاّمة الشام محمّد جمال الدين **القاسمي** (ت ١٣٣٢/ ١٩١٤)، **محاسن التنزيل** كان "آية في المحافظة على الوقت والمواظبة على العمل والقدرة على المواءمة بين هدى السلف والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن.. والقاسمي شيعي مستنير يغلب عليه الطابع العلمي مع رغبة في التجديد".

١٦٠. **الشيخ طنطاوي جوهري** (ت ١٣٥٨/ ١٩٤٠)، **الجوهر في تفسير القرآن العظيم**، من ٢٥ مجلّد، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣١.

١٦١. أحمد مصطفى **المراغي** (ت ١٣٦٣/ ١٩٤٣)، **تفسير المراغي**.

١٦٢. **سيّد قطب**، (ت ١٣٨٦/ ١٩٦٦)، **في ظلال القرآن**.

١٦٣. محمّد حسين **الطباطبائي**، **الميزان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١-١٩٨٥.

١٦٤. محمد حسين فضل الله، **تفسير من وحي القرآن**، **٢٤ مجلّد**.

ثانياً - المصادر الحديثة

١. إبن الشريف (د. محمود)، **الأديان في القرآن**، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠.

٢. أبو ريّه (محمّد)، **دين الله واحد، محمّد والمسيح إخوان**، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة، د.ت.

٣. أبو زهرة، الشيخ الإمام محمّد، **محاضرات في النّصرانيّة**؛ (بحث في الأدوار التي مرّت عليها عقائد النّصارى وفي كتبهم وفي مجامعهم

المقدّسة وفرقهم)؛ دار الفكر العربي؛ ألقاهرة، ط ٣؛ ١٩٨٢؛ (١٧×٢٤)؛ ١٩٦ صفحة.

٤. أحمد (د. الشفيع الماحي)، **عيسى ابن مريم، من الميلاد حتّى الوفاة**، دار الوراق ودار النيريين، بيروت ٢٠٠٤، ٤٠٢ ص.

٥. آل كاشف الغطاء، سماحة الإمام الأكبر محمّد الحسين؛ **ألتوضيح في بيان حال الإنجيل والمسيح**؛دار الغدير؛ توزيع التوجيه الإسلامي؛ بيروت، ط٢؛ ١٩٨٠؛ ١١٢ ص.

٦. آل معمر، عبد العزيز، **منحة القريب في الردّ على عباد الصليب**، دار ثقيف الطائف ١٣٩٨ هـ.

٧. أنور شاه الكشميري (الشيخ محمّد)، **التصريح بما تواتر في نزول المسيح**، مكتب المطبوعات الإسلاميّة، حلب ١٩٦٥.

٨. أيّوب، د. محمود، **ألحوار مع المسيحيّين في منظور إسلامي**، في كتاب: «**نحو الجدال الأحسن**، محاورات إسلاميّة مسيحيّة، ألمطران جورج خضر والدكتور محمود أيّوب، تحقيق جورج مسّوح وكاترين سرور، مركز الدراسات المسيحيّة الإسلاميّة؛ جامعة البلمند، ١٩٩٧.

٩. البلاغي، ألعلاّمة الشيخ محمّد جواد (ت١٩٣٣)؛ **ألرحلة المدرسيّة والمدرسة السيّارة في نهج الهدى**؛ بيروت، ط ٢؛ سنة ١٩٨٣؛ (١٧× ٢٤)؛ ٥٢٦ ص.

١٠. حبنكه الميداني (عبد الرحمن)، **العقيدة الإسلاميّة وأسسها**، ط ١، دمشق، ١٩٦٦.

١١. ألحَسَني، ألحافظ أبو الفضل عبد الله بن محمّد بن الصدّيق، **عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام**، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٦، (١٤×٢٠)، ١٦٨.

١٢. حسين (د.محمّد كامل)، **قرية ظالمة**، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، ١٩٥٤.

١٣. الحاج، د. محمّد أحمد، **النصرانيّة من التوحيد إلى التثليث**، دار القلم دمشق، والدّار الشاميّة بيروت؛ ١٩٩٢؛ (١٧×٢٤)؛ ٣١٨.

١٤. حَومَد، الدكتور أسعد محمود، **دعوة الإيمان في القرآن وفي كتب أهل الكتاب**، ردّاً على كتاب "قسّ ونبيّ"، لا دار نشر، دمشق، ١٩٩٨؛ (١٧× ٢٤)، ٣٣٦ ص

١٥. الخطيب، عبد الكريم، **المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل**؛ دار الكتب الحديثة؛ القاهرة، ١٩٦٦ م.

١٦. خالد، ألشيخ حسن، سماحة مفتي الجمهوريّة اللّبنانيّة؛ **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنّصرانيّة**؛ سلسلة «الدراسات الإسلاميّة»؛ معهد الإنماء العربي؛ بيروت؛ ١٩٨٦؛ قياس (١٧×٢٤)؛ ٨١٢ صفحة.

١٧. ديدات، أحمد، **المسيح في الإسلام**، ترجمة محمّد مختار، مكتبة ديدات، القاهرة، ألمختار الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٠، (١٢×١٦,٥)، ١٨٢ ص.

١٨. ديدات، أحمد، **محمّد. ألخليفة الطبيعي للمسيح**، ترجمة رمضان الصفناوي، مراجعة محمود غنيم، مكتبة ديدات، ١٥؛ المختار الإسلامي، القاهرة، ١٩٩١، (١٢×١٦,٥)، ١٢٠ ص.

١٩. ديدات، أحمد، **مَن دحرج الحجر؟** تقديم ومراجعة فايزة محمّد بكري، ترجمة وتحقيق الإستاذ ابراهيم خليل أحمد، سابقاً: القس ابراهيم خليل فيلبّس، راعي الكنيسة الإنجيليّة وإستاذ بكليّة اللاّهوت بأسيوط؛ القاهرة، ١٩٨٨، (١٤×١٩)، ٦٤ ص.

٢٠. ديدات، أحمد، **مسألة صلب المسيح، بين الحقيقة والافتراء**، ترجمة علي

الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٨٩، (١٧×٢٤)، ٢٠٨ ص مع الأصل الإنكليزي.

٢١. رمضان، محمّد محمّد (الواعظ العام)؛ **عيسى بن مريم وأمّه على إشعاع العلم**، مطبعة الاستقامة، بمصر، ١٩٤٤؛ (١٧×٢٤)؛ ١٠٤ ص.

٢٢. راضي (د.علي عبد الجليل)، **المسيح قادم...**، مكتبة النهضة المصريّة، مصر ١٩٦٠.

٢٣. الزعبي، محمّد سعيد، **السيّد المسيح يلوح بالأفق**، بيروت ١٩٧٣.

٢٤. زكي، أحمد، **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**؛ توزيع دار الحداثة؛ بيروت؛ ١٩٩٥؛ قياس (١٧×٢٤)؛ ٩٠٨ ص.

٢٥. سحّار (عبد الحميد جودة الـ..)، **عيسى المسيح بن مريم**، الكتاب الفضّي، نادي النهضة، ١٩٥٩.

٢٦. ألسقّا، د. أحمد حجازي، إستاذ مساعد في كلّيّة أصول الدين، جامعة الإمام محمّد بن سعود بالرياض، **البشارة بنبيّ الإسلام في التوراة والإنجيل**، دار الجيل بيروت، ١٩٨٩، (١٧×٢٤)؛ج١=٣٨٢ ص؛ ج٢=٤٣٣.

٢٧. ألشرفي، عبد المجيد، **ألفكر الإسلامي في الردّ على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/العاشر**، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – تونس، السلسلة السادسة، المجلّد ٢٩؛ الدّار التونسيّة للنشر، والمؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر ١٩٨٦؛ (١٧×٢٤)؛ ٥٨٢ ص.

٢٨. شلبي، د. أحمد، **مقارنة الأديان** (المسيحيّة)، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، ط ٤؛ ١٩٧٣.

٢٩. شلبي، د.رؤوف، **أضواء على المسيحيّة**، ألمكتبة العصريّة، صيدا، ١٩٧٥.

٣٠. صبري، ألهمام الفاضل والألمعي الكامل عزّتلو أيوب بك، **كتاب بهجة التفريح بحقيقة السيِّد المسيح**، ص ١٢٧–٣٢٤(في كتاب السيف الصقيل، رقم ١٣).

٣١. عبد المجيد (عبد العزيز)، **المسيح**، سلسلة: اخترنا لك، دار المعارف، مصر (د.ت.).

٣٢. عبد الوهّاب (المهندس أحمد)، **المسيح في مصادر العقائد المسيحيّة**، مكتبة وهبه، القاهرة ١٩٧٨.

٣٣. عبد العزيز، منصور حسين، **دعوة الحقّ**، أو **الحقيقة بين المسيحيّة والإسلام**، مكتبة علاء الدين، الإسكندريّة، ١٩٧٢ (١٧×٢٤)، ٦٣٢ ص.

٣٤. عزين، ألفات، **محمّد والمسيح**، دراسة مقارنة؛ ترجمة بسام مرتضى، دار الأمير، بيروت، ١٩٩٦، (١٤×٢١,٥)؛ ١٦٤ ص.

٣٥. ألعقّاد، عباس محمود، **حقائق الإسلام وأباطيل خُصومه**، دار الإسلام، القاهرة، ١٩٧٢؛ (١٧×٢٤)؛ ٢٧٦ صفحة.

٣٦. عقّاد، عبّاس محمود، **حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث**، ط ٢، كتاب الهلال ١٩٥٨.

٣٧. عثمان (فتحي)، **مع المسيح في الأناجيل الأربعة**، مكتبة وهبه، القاهرة، جمهوريّة مصر العربيّة، ١٩٦١.

٣٨. الفضل، نبيل، **هل بشّر المسيح بمحّمد؟** رياض الرّيس للكتب والنشر، لندن ١٩٩٠؛ (١٣,٥×٢١,٥)؛ ٢٠٢ صفحة.

٣٩. مرزوق (د. إبراهيم محمّد)، **كتاب نور الإسلام: المسيح وأمّه على ضوء العلم**، المطبعة المتوسّطة، مصر ١٩٣٦.

٤٠. ناصف، عصام الدين حَفني، **ألمسيح في مفهوم معاصر**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩؛ (١٤×٢٠)، ١٦٠ صفحة.

٤١. هاشم، شريف محمّد، **الإسلام والمسيحيّة في الميزان**؛ مؤسّسة الوفاء؛ بيروت؛ ١٩٨٨؛ قياس (١٧×٢٤)؛ ٧١٢ ص. ألكتاب في قسمين: الأوّل في الرّدّ على كتاب «قسّ ونبيّ» لأبي موسى الحريري؛ والثاني في الردّ على المسيحيّة.

٤٢. الهلالي، د. تقي الدين، **البراهين الإنجيليّة على أنّ عيسى داخل في العبوديّة**؛ مطابع دار الثقافة، مكّة المكرّمة، سنة ١٣٩٣ هـ.

٤٣. الهندي رحمة اللّه بن خليل الرحمن، **إظهار الحقّ**؛ دار الجيل، بيروت ١٩٨٨، (١٧×٢٤)، جزءان: ٣٥٨ و٢٤٢ ص. وهو مناظرة جرت بين المؤلف والقسيس فندر صاحب كتاب "ميزان الحقّ" في أكبرأباد. دوّنت بلسان أردو، ثمّ ترجمها إلى العربيّة الشيخ رفاعي الخولي. يدور الكتاب حول ستة أبواب: ١. في بيان كتب العهد العتيق والجديد؛ ٢. في إثبات التحريف والتبديل؛ ٣. في إثبات النسخ؛ ٤. في إبطال التثليث؛ ٥. في إثبات كون القرآن كلام اللّه ومعجزاً؛ ٦. في إثبات نبوّة محمّد.

٤٤. **هوفمان** (د.مراد، سفير ألمانيا في الرباط)، **الإسلام كبديل**، ترجمة د. غريب محمّد غريب؛ مجلّة النور الكويتيّة، مؤسّسة بافاريا للنشر، سلسلة نافذة على الغرب ١؛ (١٧×٢٤)؛ ٢٥٤ ص.

خاتمة الكتاب

يتوافق المسيحيّون مع القرآن المكّي، في نظرته إلى المسيح والمعتقدات المسيحيّة؛ ولكنّهم لا يتوافقون أبداً مع موقف القرآن المدني، ولا مع موقف المسلمين عبر التاريخ:

الآيات المكّيّة لم تتطرّق إلى هويّة المسيح، كما فعلت الكنيسة في تحديداتها العقائديّة الكثيرة، ولم يكن يعنيها سوى الدعوة إلى الإيمان بإله واحد، خالقٍ، يُثيب المحسنين في جنّات النعيم، ويعاقب المجرمين في نيران جهنّم. وقد بالغت في التشديد على أعمال الرحمة وفعل الصالحات مع المحتاجين والبائسين.

هذه الآيات كانت، كما يقول ميشال حايك، «كثيرة الحنان على النصارى، تفيض بالنعومة على مسيحهم ورهبانهم وقسّيسيهم»[1].

أمّا الآيات المدنيّة، كما يقول أيضاً، فكانت «شديدة الوطأة» على المسيح وعلى النصارى وعلى المعتقدات المسيحيّة عامّة: لقد

---

(١) ميشال حايك، **المسيح في الإسلام**، دار النهار، بيروت، ط ٣؛ ٢٠٠٤، ص ٢٥-٢٦.

تنكّرت للنصارى، ورفضت رفضاً قاطعاً ألوهيّة المسيح، وصلْبه، وموته، وقيامته، وفدائه للبشر كافّة

ومن نقاط التوافق أيضاً ما ذكره القرآن والحديث والعلم الإسلامي من معجزاتٍ تميّز بها عيسى، منذ طفولته، على جميع الأنبياء والرسل الذين يعدّهم المسلمون: ١٢٤ ألف نبيّ ورسول. وليس من نبيّ أو رسولٍ منهم أتى بمعجزاتٍ كالتي أتى بها المسيح من حيث الكمّيّة والنوعيّة... وهي ميزة أُعطيت لعيسى وحدَه دون سواه من الأنبياء والرسل، ومن بينهم محمّد نفسه.

وتنفرد رسالة المسيح، أيضاً، بحسب القرآن، بمميّزاتٍ عدّة، ترفعها على رسالات الأنبياء والرسل أجمعين: **١.** لقد كان المسيح منذ ولادته نبيًّا، **٢.** وجمع في نبوّته، ومنذ مولده، الوحيَ القديمَ كلَّه، **٣.** واختصّ دون الرسل أجمعين بتأييد روح القدس له، **٤.** وانفرد بالرفع الى السماء من دون العالمين، **٥.** وهو وحده عنده علِمْ الساعة ،**٦.** ووحده الوجيه والمقرَّب من اللّه، **٧.** ووحده سيجيء في يوم الدين.

هذه الميزات السبع تدلّ على تفوّق المسيح وسموِّه على جميع الأنبياء والرسل، وحتّى على محمَّد نفسه، الذي وُجِد، بحسب القرآن نفسه، «ضالاً فهدى» (٩٣/٧)، وما دعاه اللّهُ إلى الرسالة إلاّ في الأربعين. وكم اقترف محمّدٌ، في غزواته مع أعدائه، وفي حياته الخاصّة مع نسائه، من مُنكراتٍ لا تليق بمن دعاه اللّه إلى النبوّة وإلى الكلام بإسمه.

ومن نقاط الالتقاء أيضاً بين الإسلام والمسيحيّة مريم البتول التي تفرّدت بمكانة لم يدركْها أحدٌ غيرها من البشر : وحدَها من بين النساءذكرها القرآن باسمها. ووحدَها وُلدت معصومةً من أذى الشيطان الذي يطعن كلَّ مولود منذ ولادته. ووحدَها كأنثى قُرِّبتْ نذيرة للّه في حين لا يُنذَر له إلاّ الذكور. ثمّ رُزقتْ وهي في الهيكل، من جنى الفردوس. وبشّرَها الملاكُ بما لم يُبشِّر به أحداً من البشر، وهي أن تحمل في أحشائها كلمة اللّه وروحه. وهي البتول التي لم تقترن بزوج. وسَلَّمتْ عليها الملائكةُ مردِّدةً على الأجيال في الإسلام: "يا مريم! إنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ عَلى نِساء العالَمِين". وآواها ربُّها إلى "ربوَةٍ ذاتِ قرارٍ ومعين"، قد تكون الجنّة. ويكون في ذلك انتقالها إلى النعيم...

«ومضى بعد ذاك علماء الإسلام يردّدون إعجابهم، فقالوا فيها أجمل ما يُقال في امرأةٍ. وعيَّد لها الشعبُ الإسلامي أحياناً، وصام وصلّى. فهي بين العالَمين الإسلامي والمسيحي نقطة الالتقاء الكبير»[٢].

***

وفي الختام، نحن في حيرة عظيمة من موقف القرآن والمسلمين من شخصيّة يسوع المسيح. أيّ موقف نقفه؟ الموقف الذي يتميّز به المسيح عن جميع الأنبياء والرسل، أم الموقف الذي

---

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٦٥.

يكفّر به جماعةً من المسيحيّين «غلوا» في إيمانهم بالمسيح.. وهنا لا مأخذ لنا على القرآن، بل على المسيحيّين أنفسهم الذين اختلفوا، آنذاك، على هويّة المسيح وطبيعته!

ولا نزال في حيرة في أمرنا، طالما نجد في القرآن موقفَين متناقضَين شديدي التناقض. وقد لا نحسم أمرنا إلاّ عندما نعود والمسلمون إلى تبنّي موقف القرآن المكّي، ونُعيد إلى الآيات معانيها الأصليّة. فالأصل في القرآن ما جاء في مكّة؛ بينما الفرع ما جاء في المدينة. والأصل أولى.

والأسف الشديد أن يستمرّ المسلمون اليوم على ما جاء به القرآن المدني، لأنّه، في نظرهم، «نسخ» ما في القرآن المكّي. وأبحاث المسلمين لم تُنصف أمرين: لا ما جاء في القرآن المكّي، ولا ما جاء في الأناجيل القانونيّة. فما جاء في مكّة «نُسخ»، وما جاء في الأناجيل القانونيّة، «حُرِّف». ونحن بين النسخ والتحريف في دهشة وغرابة.

فهرس الكتاب

